

الرقم التسلسلي : .....

رقم التسجيل: ط 1 : 98457609

رقم التسجيل : ط 2 : 02259286

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

# الأنا والآخر في شعر

أبي القاسم الشابي

إشراف :

أ. د. عباس بن يحي

إعداد الطالب (ة) :

سليمة تركي

فريدة شيباني

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
بوزيد رحمون	استاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
عباس بن يحي	استاذ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
حجاب عبد اللطيف	استاذ محاضر ب	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ / 2020 - 2021 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الإهداء

نشكر الله سبحانه و تعالى على فضله و توفيقه لنا، نتقدم بإهداء ثمرة عملنا هذا:

إلى أعز الناس على قلوبنا الوالدين الكريمين

أطال الله في عمرهما، و أدامهما تاجا فوق رؤوسنا

إلى أزواجنا الكرام

حفظهما الله لنا

إلى قرّة أعيننا و فلذات أكبادنا أولادنا الأعزاء

عبد الهادي، إلياس، أيوب، وائل

آدم، زياد

جعلهم الله ذخرا لنا

إلى كل إخواننا و أخواتنا، و زوجاتهم و أزواجهم،

و أولادهم و بناتهم

فبارك الله في الجميع و سدّد خطاهم

لكل خير

# شكر و تقدير

الحمد لله حمدا يوافي نعمه و يدفع نغمه نحمده و نشكره كثيرا على تيسيره و عونه لنا

لإتمام هذا العمل المتواضع

و نتقدم بالشكر الكبير إلى الأستاذ المشرف الدكتور عباس بن يحي

الذي لم يبخل علينا بمساعداته و توجيهاته

جزاه الله عنا خير الجزاء

و نشكر لجنة المناقشة

و نتقدم بالشكر الجزيل إلى أزواجنا لمساعدتهما لنا في إنجاز هذا العمل

و دعمهما الكبير لنا

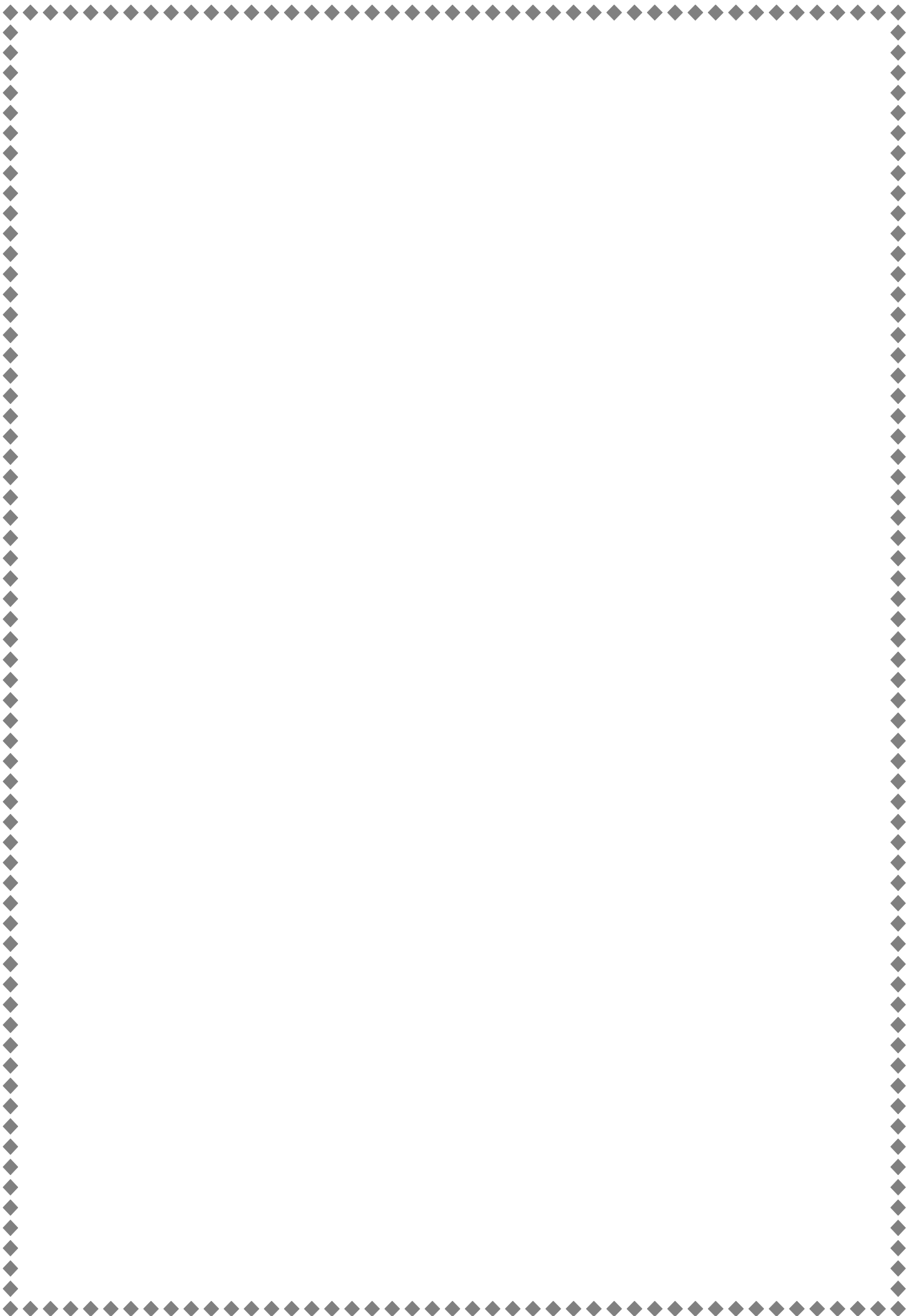
في مواصلة دراستنا

و إلى كل أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي

خاصة أساتذة الأدب العربي الحديث

و المعاصر

شكرنا و تقديرنا واحترامنا



حَقِيقَةٌ

حَقِيقَةٌ



## مقدمة

تشكّل ثنائية الأنا و الآخر محورا رئيسيا في كثير من الدراسات الاجتماعية و الفلسفية و الأدبية، التي تعنى في جانب من جوانبها بدراسة العلاقة بين الفرد و الجماعة، و إذا كان ثمة من يرى أن لا وجود فعليا للفرد خارج إطار الجماعة و حياتها، على ما تؤكد النظريات الاجتماعية فإنّ ثمة من يحرص على ألاّ تغطى شروط المجتمع و أعرافه على ذاتية الفرد و خصوصيته.

فإشكالية " الأنا " و " الآخر " من أهم المسائل و القضايا التي تناولها الأدب العربي خاصة الشعر، فكانت هذه الثنائية واضحة و بارزة في الكثير من الأعمال الشعرية، فهناك من بين لنا بشاعة و همجية و دناءة الآخر / الغرب، لأنّ الأنا العربية عانت القهر و القمع و الاضطهاد، الذي مورس عليها من طرفه (الآخر)، فجسد لنا هذا الشعر الصراع و الصدام القائم بين الغرب و الشرق منذ الأزل، فنظرت إليه بنظرة سلبية و انغلقت على ذاتها، و رفضت كلّ ما هو أجنبي بحكم أنه عدوّ لدود، و سببا في تخلفها و انحطاطها، و تشتتها و تمزقها. كما أنّ الشعراء ذهبوا عكس هذا الاتجاه في متونهم الشعرية، حيث جسّدوا، و صوروا الآخر الغربي على أنه ملاك روحاني معصوم من الخطأ، فانفتحوا على كلّ ما جاء و نادى به رغبة منهم في الاستفادة من خبرته و علومه، و حضارته لبناء دولة قويّة تواكب العصر المتقدّم ، حتى و إن كان على حساب بعض المبادئ و الأسس و الثوابت ، فهو شعر الاندهاش و الانبهار، و الاعجاب " بالآخر الغربي " و بما وصل إليه، و بما حقّقه من تقدم و رقي و ازدهار، فنظرت إليه نظرة إيجابية و إلى نفسها بنظرة سلبية، أي احتقار و تدني، فمجّدت حضارته.

و من الشعراء الذين تعرضوا أو صوروا، و وصفوه في شعرهم شاعر تونس الخضراء - أبي القاسم الشابي - فقد صور لنا انفتاح و انبهار الأنا العربية / على الآخر الغربي. فالشابي تجاوز هذه الثنائية، فبدّل معاداته و لا بد من الاستفادة من خبرته و علومه و حضارته كما فعل المسلمون القدامى لما انفتحوا على الحضارات المجاورة الروم الفرس و اليونان... وغيرها.

و لهذا فموضوع دراستنا هو " الأنا و الآخر في شعر أبي القاسم الشابي " .

إنّ أهمية الدراسة تتجلى في الاطلاع على ظاهرة " الأنا " و " الآخر " و التعرف عليها من أجل معرفة إلى أيّ مدى تجلّت هذه الظاهرة في الشعر العربي، و معرفة المسارات التي تمخضت عن هذا التجلي، كما كان هدفنا من هذه الدراسة التعريف بإنتاج الشابي من جانب معين حددها في تمثلات " الأنا " و " الآخر " . و لقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع، و هذه الدراسة لأسباب تلخصها فيما يلي:

1- أنّ الأنا العربية لا تزال إلى يومنا هذا تعاني الاضطهاد و القمع و القهر من طرف الآخر الغربي، و هذا ما تعيشه فلسطين.

2- أنّ قضية الأنا و الآخر قضية متجددة، تواكب كل العصور، و مدلولاتها تتغيّر بتغيّر العصور.

3- أن الشاعر ظاهرة جديدة في بلاده و عصره و تجربته الشعرية تجربة معاناة حقيقية في الحياة و الحب و التحدي.

4- لأن نهج الشابي مستمد من العقيدة الإسلامية حيث يدعو لرفض الظلم و الاستبداد و إعطاء النفس البشرية حقها خاصة المرأة.

5- أنه سمى بالنفس الإنسانية إلى الرقي و التقدم. و لهذا أردنا الوقوف على أبواب هذا الموضوع في شعر الشابي و لدراسته من كافة جوانبه طرحنا الإشكالية التالية:

كيف تجلّت و تمظهرت صورة الأنا و الآخر في شعر الشابي؟ و تتدرج تحتها عدة تساؤلات منها:

- ما مفهوم الأنا و الآخر؟

- كيف صور الشابي الأنا في مرآة الآخر؟

- و كيف يبدو الآخر في مرآة الأنا؟

- و من هو هذا الآخر؟

- كيف تشكل صراع الأنا مع الآخر؟

- و ما الذي يجعل الأنا في صراع دائم مع الآخر؟

و للإجابة عن هذه الأطروحات اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي، فقمنا بوصف الظاهرة و تصويرها عن طريق جمع المعلومات، ثم تحليلها و تفسيرها، كما استعانة الدراسة بالمنهج التاريخي من خلال تتبع مسار هذه الظاهرة عند العرب و الغرب و المنهج النفسي.

و قد اقتضت الدراسة خطة منهجية لهذا الموضوع، حيث استلهمت بمقدمة، ثم تلاها مدخل عنون بـ:

مفهوم الأنا و الآخر"، و حوى العلاقة بين " الأنا و الآخر"، ثم أعقبناه بفصلين.

الفصل الأول: حمل عنوان " الأنا و تحولاتها"، و أدرج تحته أهم تجليات الأنا في شعر الشابي من دراسة

الذات المتألّمة و المثال البعيد، و الأنا من خلال الطبيعة و الوطن إل احتقار الذات للثقافة العربية و

المحلية.

أما الفصل الثاني فعنون بـ: " صورة الآخر بين التقبل و الرفض"، و تناولنا فيه انبهار الشابي بفن الغرب

و الثقافة الجديدة و سحرها، و ماذا حقّقه باتصاله بهذا الفنّ، كما تطرّقنا فيه إلى تمرد الأنا (الشرق) في وجه

الاستعمار (الغرب).

ثمّ الخاتمة. و فيها ختمنا البحث بأهم النتائج الموصول إليها، و الاستنتاجات الذي خرجنا بها من هذا

الموضوع و أجبنا من خلالها على الإشكالية المطروحة في المقدمة.

و قد اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من الدراسات السابقة التي تضيئ طريقها و توضح الرؤيا أمامها و

أهمها:

- البعد الوطني في شعر أبي القاسم الشابي، رسالة ماستر.

- الصورة الفنية في شعر أبي القاسم الشابي رسالة ماجستير.
  - تجليات الرومانسية في شعر أبي القاسم الشابي رسالة ماستر.
  - كما اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر و المراجع، نذكر منها:
  - الخيال الشعري عند العرب لأبي القاسم الشابي.
  - ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي.
  - التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر لأحمد ياسين السليمانى .
  - دراسات عن الشابي لأبي القاسم محمد كرو
- أما الصعوبات التي واجهتنا فتمثلت في تناول الموضوع بطريقة مختلفة عن الدراسات السابقة، بالإضافة إلى بعض الضغوطات النفسية.
- و نتقدم في الأخير بالشكر و التقدير لأستاذنا المشرف عباس بن يحيى، على ما تفضل به من متابعة، فقد تكرم علينا بصبر عالم كرمه الله بخلق العالمين علما و إنسانية فله منا عظيم الامتنان و التجليل و وافر العرفان و التقدير، راجينا من الله التوفيق.

## مدخل:

## مفهوم الأنا والآخر

## تمهيد:

لقد اختلفت رؤى الفلاسفة والمفكرين حول مفهومي " الأنا والآخر " تبعا لاختلاف التيارات الفلسفة والمذاهب الفكرية، وتعددت بذلك تصوراتهم لهذين المفهومين، اللذان كانا نتاج الجدالات الفلسفية الراهنة منذ الحقب الأولى لتطور الفكر الفلسفي، وقد نتجت عن هاته المفاهيم عدة ثنائيات ارتبطت بمفهومي " الأنا والآخر " من بينها: ثنائية الشرق والغرب التي كانت نتاج الفكر الاستشراقي الغربي. وهذا الأمر أفرز لنا صراعا بين الأنا وبين الآخر، حيث أن معرفة حقيقة الذات في القول " بالانا " يستوجب بالوعي " بالآخر " إن غاب أو انعدم هذا الأخير فإنه من الصعب الحديث عن إدراك حقيقي بالذات أو الأنا بشكل عام، لذلك كان من الطبيعي يكثّر التساؤل حول إشكالية " الأنا والآخر " بعد الأحداث المتراكمة في الحياة البشرية والتي شهدها العالم حتى أصبح السؤال قائما حول هذا المصطلح في معظم الدراسات الأدبية خاصة الشعرية فما هي ماهية " الأنا والآخر " وما العلاقة التي بينهما؟

## 1- مفهوم الأنا:

لقد شكل حضور الأنا في الشعر العربي ظاهرة أدبية استدعت اهتمام النقاد و الدارسين، فهي ظاهرة لا تختص بعصر دون آخر، كما أشار بعض المحدثين معتقدين بأن الأنا ارتبطت بالشعر المعاصر فقط و بغض النظر عن توظيف الأنا الشعر العربي في هذا الزمن أو ذاك أو في هذه التجربة دون ذلك يظل لهذا التوظيف دلالات تكاد تكون متشابهة، إن لم تكن واحدة ، فهي الالتفات إلى الذات المبدعة أو أنها بأية صورة من الصور و هو ما استدعى دراسة سلوك الفرد و معرفة الطاقة التي تكمن وراء تفاعلاته مشكلا بذلك الأنا فما مفهوم أو المعنى الذي يعطيه الأنا؟

من الصعب تحديد مفهوم الأنا، وذلك أن عديد العلوم تتشارك فيه من فلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب... إلخ، فكل علم عرفه تعريفا خاصا حيث ذكر عباس يوسف الحداد قائلا: <<الأنا مفهوم مراوغ يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي، لأنه يدخل مشاركة كبيرة في أغلب فروع العلوم الإنسانية...>><sup>1</sup>

ويقول أيضا: << تطابقت الأنا مع الذات المفكرة بوصفها عقلا، وقد تأرجحت الأنا بين العقل والنفس في الفلسفة العربية حتى أصبحت أقرب إلى النفس منها العقل>><sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي، ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، اللاذقية، ط2، 2009 ص 189.

<sup>2</sup> المرجع نفسه 108.

فجاءت الأنا بمعنى التقريبي " النفس " وهذا عند الفلاسفة خاصة عند ديكرت الذي ربط بين الأنا فكرا والأنا وجودا بقوله: <<أنا أفكر إذن أنا موجود >> 1

كما دلت الأنا على الجانب الشعوري من الشخصية وهذا نجده عند سيجموند فرويد (Sigmund Freud) الذي يرى << أن السلوك له دافع داخلي من قوى لا شعورية تكونت عبر تاريخ الشخص وخاصة من خلال علاقته بوالديه >> 2

أي أن كل ما ينتج من سلوك من قبل شخص ما، ما هو إلا فعل ناتج عن الجهاز النفسي المكون من: الهو (الليبدو)، الأنا (الضمير)، والأنا الأعلى (المجتمع).

وهناك من يقول أن الأنا نفسها هي الذات وهناك من يفصل بينهما أمثال بول ريكور وكارل جوستاف يونغ. فالذات عندهم أوسع من الأنا لاحتضانها أكثر من ذات، بمعنى أن الذات تشمل الأنا الفردية والأنا الجماعية فيكون للأنا دور في تشكل هذه الذات.

ومن هنا يمكن القول أن الأنا تتحدد دلالاتها عند الفلاسفة والمفكرين كل يعرفها حسب نظرتة وعلى حسب الخلفية الفكرية التي ينطلق منها، فمرة يرمز لها "بالأنا" ومرة "بالذات" فليس من الغريب إذن عدم وصول المنظرين إلى وضع مفهوم مجدد لهذا المصطلح وكل ما يتصل به (الأخر). ارتبطت الأنا بمنظومة الضمائر وهذا نجده عند احمد ياسين بتعريفه للأنا على أنه: << ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته لا ينازعه او يشاركه في ذاتيته، وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره، وإن كان منتجا له وناتجا عن علاقته به >> 3 1 أما بالنسبة للأنا الشعرية وهذا الذي يهمنا نحن يصعب نوعا ما تحديد مفهوم واضح لها في الكتب الأدبية والنقدية في شقها الإجرائي، حيث تحاول هذه الكتابات << أن تقدم تصورا أدبيا لحضورها في النص الشعري >> 4

يعني أنه لا يوجد تعريف صحيح للأنا الشعرية إلا ما تم تناوله عنها في الكتب، وبالضبط في الجانب الإجرائي وفي الدراسات النقدية وحتى في المذكرات الأكاديمية، فلا تكاد بوسع أي كاتب أن يحدد مفهوم الأنا الشعرية لعدم وجود تعريفات شاملة ودقيقة في معاجم المصطلحات الأدبية.

ويرى عباس يوسف الحداد: << بأنها ذلك الضمير الشعري الذي يحول في النص الشعري لتحقيق الوعي الذاتي داخل النص ويظهر بضمير المتكلم والمخاطب والغائب، إنه مجموعة الضمائر التي تشد الوحدة فيما بينها لتشكل في نهاية الأمر مفهوما كلياً عاماً للأنا الشعرية داخل النص، و على ذلك يصبح لكل نص شعري أنا الشعرية التي تحدد من خلال تفاعل تلك الضمائر داخل النص، وعن طريق شبكة العلاقات

1 أحمد ياسين سليمان: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص 192.

2 مأمون صالح، الشخصية (بنائها، أنماطها، اضطراباتها)، دار أمامة، ط1، عمان، الأردن، 2008، ص 21.

3 أحمد ياسين سليمان، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، ص 192.

4 عباس يوسف الحداد: الأنا في الشعر الصوفي، ص 194.

النحوية المتعلقة بفعل الأنا وبموقعها»<sup>1</sup>

فاللانا الشعرية هنا هي تلك الضمائر داخل النص الشعري كيفما كان بصيغة المتكلم أو المخاطب أو الغائب ويتحدد هذا الضمير من خلال تواجده بصيغة الحال في النص فيكون متواجد في ثنايا النص الشعري.

## 2- مفهوم الآخر:

يشكل موضوع " الآخر " قضية مركزية في جل الدراسات السياسية والاقتصادية والأدبية، كما يعد من أكثر المفاهيم حضورا في الكتابات المعاصرة الفكرية والثقافية والنقدية خاصة منها الشعرية، كما لا ننسى المؤتمرات والندوات والملتقيات في معظم مناطق العالم على حد سواء، وقد اختلفت رؤى الفلاسفة والمفكرين حول مفهوم الآخر تبعا لاختلاف التيارات الفلسفية والمذاهب الفكرية ومن خلال هذا أصبح مفهوم الآخر في واقعنا المعاصر يمثل بأوجه عديدة. نظرا لأهميته ووظيفته فما المقصود بالآخر؟ .

إن " الآخر " في أبسط صورة نقيض " للذات " (الأنا)، أي كل ما هو خارج الذات المدركة أو مستقلة عنها والضدية والعدائية أحيانا.

فجاء الآخر بمعنى الغيرية (altérité) بالنسبة للانا في الفلسفة المعاصرة خاصة عند جان بول سارتر،

ميشال فوكو، جان لاكان، ايمانويل ليفيناس فيري سارتر أن الآخر هو الجحيم لمقولته الشهيرة التي كانت خاتمة مسرحية (لا مخرج) >> الآخرون هم الجحيم << 2

كما يرى فوكو أنه >> يمثل الهاوية ويراها الهامشي... هو الماضي الذي يقصيه الحاضر... لكنه جوهرى بالنسبة لكيثونة الخطاب الذي يستبعده فنحن لا نعرف الذات دون الآخر، فالآخر هو معالم الانقطاع والفصل الذي يحاول التاريخ استبعاده ليؤكد استمراريته << 3

فالآخر ليس بالضرورة هو البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي أو التتافس الدائم إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها، او يحارب بعضها البعض الآخر 4

فكما يكون الآخر فردا يكون في أحيانا أخرى جماعة، وكما يكون الآخر معروفا للذات، وقريبا منها، فإنه يكون في أحيانا أخرى في أماكن بعيدة وحتى في أزمنة مختلفة.<sup>1</sup>

1 المرجع السابق، ص 194.

2 ينظر، ميجان الرولي وسعد البازغي، دليل الناقد الادبي، إضاءة لأكثر من تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا-المركز الثقافي في العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2007، ص 21.

3 المرجع نفسه، ص 22.

4 حيدر إبراهيم علي، صورة الآخر المختلف فكريا، سيولوجية الاختلاف والتعصب، الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر - العربي ناظرا ومنظور إليه-ص 111.

فالآخر ليس شيئاً ثابتاً باستمرار بل تتغير خصائصه بتغير الظروف والمواقع. أما عند مارتن هيدجر، مفهوم الآخر مرتبطاً بالوجود، فالوجود من دون الآخرين هو نفسه صورة الوجود مع الآخرين<sup>1</sup> بمعنى أنه ليس ثمة ذات دون العالم فإنه ليس ثمة ذات من دون الغير. ومن هنا يتضح لنا أن مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلفاً عنها ولهذا لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة، فهو فقط يختلف عن الأنا. قال المتنبي:

ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى.

فالآخر تعني كل ما هو مخالف للذات وتتغير صورته حسب موقع الأنا فقد يكون الأجنبي أو المرأة أو المحبوب.....وغيرها

ويرى عمر عبد العلي علام أن الآخر هو تركيب خاص يتكون من مجموعة من الصفات والخصائص البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية، هذه الخصائص يقوم نسبها شخص ما إلى الآخرين ويرى بصورة أعمق أن أي شيء ينطبق عن الأنا قد ينطبق عن الآخر مثلاً أن الأنا الشرقي يتضاد مع الآخر الغربي والعكس أيضاً حينما يصبح الغربي بدوره (أنا) والشرقي (الآخر) بالنسبة إليه، فالأنا تختلف عن الأنا الأخرى في الجنس والانتماء والفكر بحيث تصبح هذا الآخر آخر في نفس الوقت. ويقول بو شعيب الساوري: >> الآخر هو الذي يخالف الذات والعقيدة والثقافة ويظهر الآخر كالمستعمر للأنا والعلاقة معه معكوسة بالتصادم والمواجهة<<<sup>2</sup>.

### 3- علاقة الأنا والآخر:

إنَّ جدل العلاقة القائمة بين الأنا والآخر هو جدل قديم جداً، وقد تعود جذوره إلى بداية الخلق في الأرض، بوجود آدم عليه السلام وحواء، ثم بعدها تعمق الوعي لدى الإنسان وأدرك أنه كتب عليه من خلاله الشقاء على هذه الأرض جراء وسوسة الشيطان (الآخر) والذي تمثله اليوم وجه عدّة تثبت فاعلية الصراع بينه وبين "الأنا" حيث الوعي بالذات يستوجب الوعي بالآخر إن غاب أو انعدم.

ويمكن أن نلاحظ في هذا الكون في جميع أجناسه وأصنافه متناقضات، وهذه الأخيرة تمثل جزءاً من هذا العالم (ذكر، أنثى/ صغير، كبير/ أسود، أبيض). لكن ليس هذا موضوع دراستنا، بل نبحت في الكشف عن العلاقة الكامنة والموجودة بين الذات والآخر لكن ليس بالضرورة أن تكون هذه الذات هي صورة ضدية للآخر، فالعلاقة بينهما تختلف باختلاف المقام والمكان والزمان، فقد نجد علاقة اتصال (تجلي الأنا في ذاتها) أو انفصال (اغتراب نفسي) أو تنافر (الشرق والغرب).... سنحاول التطرق إلى بعض صور العلاقة الموجودة بين الذات والآخر بالرغم من اختلافها وتعدادها.

1 زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، (د ط)، مصر، (د ن)، ص 135.

2 بوشعيب الساوري، رابطة أهل العلم، ط 1، 2008، ص 52.

بالرغم من التّضاد المتغلغل بين الذات والآخر إلاّ أنّه بإمكانهما أن يشكلان علاقة اتصال وتواصل تربطهما مع بعض، ليصبجا طرفا واحد كالذات وذاتها أو الحبيب ومحبوبته ويصير مرآة لها كما يقول عبد القادر الغزالي: << الآخر هو مرآة الذات التي تعكس صورها المتلاحقة >> 1<sup>1</sup>

تتعدد صورة الآخر في الكتابات العربية خاصة، فقد نجد الآخر المحبوب (المرأة) وكذلك الرجل، و الغربي هو الآخر أيضا بالنسبة للعربي أو الشرقي بصفة عامة، و هناك صور أخرى للآخر في العصر الجاهلي مثلا للآخر هو الملك أو السلطة... الخ و نجد في النصوص الشعرية على كثرتها مثلا تلك الأنا الشاعرة في علاقة اتصالية مع الآخر المحبوب (المرأة) و بالرغم من تباعدها إلاّ أنّهما مثلا زمان و يختلفان باختلاف هذه النصوص الشعرية و ليس الآخر في الغالب هو المحبوب بالضرورة فقد يختلف إلى صيغة الذات و تصبح هذه الذات في حالة اغتراب نفسي مع أناه و بالتالي يتغيّر الآخر حسب موضع الأنا فالآخر أيضا هو أنا أخرى في مواجهة الأنا الأولى و العكس و لا تبرز الأنا في النصّ الشعري عادة نسفا منعزلا عن الآخر أما حدود ظهورها فهي محصورة في نطاق ذاتها و هي محدودة و نلاحظها في أثناء مناجاة الشاعر لنفسه و غنائيته الداخلية . 2

يبين الكاتب أحمد ياسين أنّ الأنا في الخطاب الشعري في الحالات الغالبة لا تظهر منعزلة أو كنسق منعزل عن الآخر يعني أنّ حدود هذا الظهور يكون محصورا في نطاق الذات الشاعرة، ويظهر ذلك جليا في نبرة الشاعر أو الشاعرة وغنائيتها الكامنة في الذات أي داخليا، ويحدّث الكاتب نفسه عن علاقة الذات والآخر بقوله: << و إذ لا يمكن النظر إلى الأنا متجردة من الآخر في الأغلب، فإنّ من المستحيل أن نجد الآخر بارزا في النصّ الشعري دون أنا، لأنّ الأنا تشكل المحور الرئيسي في العلاقة الثنائية بينهما و بين الآخر، حتى في حالة تكلم الشاعر عن هذا الآخر و جعله النصّ قائما على الحديث عنه فإنّ الأنا تظهر في النصّ من قريب أو بعيد بأنّ الأنا الشاعرة هي التي شكّلت هذا الآخر، بل هي التي خلقت في النصّ و أقامت علاقته به. 3

يظهر لنا استمالات ظهور الآخر في النصّ الشعري بمعزل عن الأنا، لأنّ هذه الأخيرة تشكل المحور الأساسي في العلاقة مع ذاتها و مع الآخر، و يشير " أحمد ياسين السليمان " أيضا إلى أنّ الشاعر و إن تكلم في نصّه عن الآخر و أفاض الحديث فيه فهذا لا يمنع ظهور الأنا بأي شكل من الأشكال، سواء أكانت من قريب أو غير ذلك لأنّه و حسب رأيه أنّ هذه الأنا هي التي صنعت هذا الآخر و شكّلتها في النصّ الشعري و أوجدت له علاقة مع الآخر، أو نتحسس قبوره في السياق الشعري دون أن يكون ثمة (أنا) فاعلة في توليده، و مشكلة لكيانه و قواعده الأساس، و مفاصله هو - أي الآخر - عنها. 4

1 عبد القادر الغزالي: الصورة الشعرية وأسئلة الذات قراءة في الشعر حسن حنيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار البيضاء ط1، ص159.

2 أحمد ياسين، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر ص 425.

3 المرجع نفسه، ص 425.

4 المرجع نفسه، ص 425.

وعليه أصبحت العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" علاقة جدلية معقدة. فالعلاقة التي تجمع بينهما ارتبطت بعدت ثنائيات كثنائية التراث والحداثة، الشرق والغرب، اندرجت ضمن سياقات تاريخية وفكرية موسومة بالإخضاع والتبعية، وتارة بالانبهار والاعجاب، الأمر الذي يجعل العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" جدلية قائمة في الحياة، فلا وجود لأحد دون الآخر، بأن علاقتهما إلزامية بغض النظر عن نوعها (تتافر أم تجاذب)، فبالأنا يعرف الآخر وبالأخر تحاول فهم الأنا لدرجة أنهما أصبحتا >> ذاتان منفصلتان متصلتان في الوقت نفسه متفرقتان ومتحدتان (...). فلا تكون الذات إلا بوجود الآخر و هذه بديهية (ربما باستثناء الذات المطلقة ذات الإله) و الأمر بمجمله يشبه صفحتي ورقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. 1 أي أن هاتين الثنائيتين هي علاقة إلزامية، " فصورتنا عن ذاتنا لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أن صورة الآخر تعكس بمعنى صورة الذات". 2

وعليه تصبح عملية نفي " الآخر " نفيًا للذات في الوقت نفسه، لأن "الآخر" مكمل " للذات " ومن يختزل " الآخر " يختزل ذاته، فالأنا التي نعنيها في دراستنا هي التي ترمز " للشرق " والآخر هو يرمز إلى ذلك " الغرب الأوربي"، فنحن لا نستطيع التحدث عن الذات العربية أن نتجاهل هذا الآخر/ الغرب، سواء بوجه إيجابي أو سلبي. وبهذا لا يمكن تجاهل الدور الذي يقوم به الآخر بشأن تصور الذات لذاتها ولا يمكن تجاهل الصراع الذي يحصل بينهما سواء بوجه الايجاب أو السلب، كما أن اهتمام العرب بالغرب قد تجلّى في " قوة التيار الغربي في التغلغل في الجسد العربي المثخن بالهزائم والجراح". 3

فإشكالية العلاقة مع الغرب لا تزال تأخذ بعدا مزدوجا فهي بحث وتأمل في " الأنا" وفي "الآخر"، فقد وصل العرب إلى أن هذه العلاقة باعتبارها ناتجا عن رد فعل بفاعل اتجاه سطوة واندفاع الغرب، لذلك لا بد أن تمر بالضرورة عبر التفكير في الذات، ومن ثم العودة إلى التراث والبحث فيه، إما من أجل تمجيده أو من أجل تصفية العلاقة معه والتكسر له. وهذه العلاقة بين " الشرق والغرب" نلمسها في الأعمال الشعرية لشاعر تونس الخضراء الذي هو موضوع بحثنا وذلك بدراسة نماذج من شعره والكشف عن تجليات " الأنا والآخر".

1 حسن العويدات، الآخر في الثقافة العربية من مطلع القرن العشرين، دار الساقى، ط1، 2010، ص19.  
2 الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي، ناظرا ومنظورا إليه، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1999، ص8.  
3 عبد الرحمان بوعلي، الرواية العربية الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط2، وجدة-المغرب، 2001، ص327.

الفصل

الأول

## الفصل الأول

### الأنا وتحولاتها

أولاً: الذات المتألّمة والمثال البعيد

1-الموت

2-المرأة

3-الكآبة والغربة

ثانياً: الأنا من خلال الطبيعة

1 -الطبيعة المثقلة بالألم والكآبة

1.1. مرارة الموت

1.2. الكآبة المجهولة

2 -الطبيعة المشحونة بالغضب والتحدي

2.1. التمرد السياسي

2.2. الغضب الاجتماعي

3-الطبيعة المفعمة بالتفاؤل والاشراق

3.1. الرؤية التقديسية للغاب

3.2. تجربة الحب

ثالثاً: الأنا من خلال الوطن

1-الوطن والوطنية

رابعاً: احتقار الذات للثقافة العربية والمحلية

## أولاً: الذات المتألمة والمثال البعيد

## 1- الموت:

تقاطرت أنواع الهموم حول الشاعر منذ نعومة أظفاره وأخذت تجر روحه حبا وأملا وإيمانا فمن وفاة الوالد إلى فقدان الحبيبة إلى مفاصد وجهل يحيط به من كل جانب، لكنه لم يستكن فرغم حياة الشباب وثقل المسؤولية عن العائلة بعد رحيل والده، راحت الآخزان تحاصره، يقول في رسالة إلى صديقه محمد الحليوي معبرا عن حالته عند وفاة والده: >> إن استمعت إلى نفسي لم أَلْف إلا الأسي يبكي أو أصغت إلى قلبي لم أسمع إلى النحيب، أو قلبت طرفي فيما حولي لم أبصر إلا ظلمات تتدجى من فوقها ظلمات <<. 1

نفس مليئة بالأسي ومحيط مليء بالظلمات أي عذاب ها الذي يلقي الإنسان الذي لم يهدأ رغم كل الأحزان التي تأتيه تلو الأحزان والآلام تحيط به كالظلام فلا مفر من الأحزان يردد صورة الحزينة بندب حظه العاثر بأهات تخرج من قلب غمرته الحسرة والألم والحزن، ولنستمع إلى أنات قلبه في تساؤله واستغرابه وحيرته لم حل به من ضياع، وذلك بعد وفاة والده عام 1929 م فصدمة كانت شديدة تركت في نفسه أثرا عنيفا، حيث كان له معلما وصديقا وراعيا له وعطوفا عليه ومتحملا عنه تكاليف الحياة.<sup>1</sup>

ومما زاد من ألمه أنه لم يكن يدري من شؤون الحياة شيئا فوجد نفسه مصطلعا بأعباء عائلة كبيرة، وراعيا لكل ما خلفه له والده فصارت حياته بلا معنى حيث فقد مستودع السر والأمل الباسم وعزف في ظلام الأسي يصف حالته تلك فيقول: 2

يا موت! قد مزقت صدري	وقصمت بالأرزاء ظهري
وفجعتني فيمن أحب	ومن إليه أبث سري
وأعدده فجري الجميـ	ل إذا أدلهم علي دهوري
وأعدده وردي ومـ	ماري وكاساتي وخمري
وأعدده غابي ومحـ	رابي وأغنيتي وفجري
ورزأتني في عمدتي	ومشورتي في كل أمر
وهدمت صرحا لا أـ	ذ بغيرة وهتكت ستري

فهذه الأبيات تنطلق بلوعة الذات التي تفيض بالحزن الشديد على فراق أبيه الذي كان سدا قويا له وفجره وصرحه وعدته وأغنيتيه ومشورته في كل أمر.

وهذه الصور يعبر بها الشابي عن ضعفه أمام رحيل والده في صورة المهزوم أمام الفاجعة، اليأس المستسلم للرحيل، ولكن لم يدم ذلك طويلا بل أطل صباح الحياة ليأخذ التغيير يدب في نفسه حسب الظروف المتجددة فيقول عن هذه القصيدة: >> هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظية من

1 محمد الحليوي: رسائل الشابي، دار المغرب العربي-تونس، ص 36.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 85،86.

شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قلتها في أيام الأسى التي تلت نكبتي ب وفاة الوالد رحمه الله>> 1. 1<sup>1</sup>

وتتحول صورة الحداد على أبيه إلى صورة الإقبال على الدنيا، التي خلق لها ابن آدم وهذا ما نجد في قوله: 2:

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي  
أني سأظماً للحياة وأحتسي  
وأعود للدنيا بقلب خافق  
تحركت السنون واقبلت  
فإذا أنا ما زلت طفلاً مولعاً  
ومشاعري عمياء بالأحزان  
من نهرها المتوهج النشوان  
للحب والأفراح، والألحان  
فتن الحياة يجرها الفتان  
بتعقب الأضواء والألوان

ثم يقرر في نهاية القصيدة علاقة ابن آدم بالدنيا فيقول: 3

ان ابن آدم في قرارة نفسه  
عبد الحياة الصادق الايمان

وتبقى الحياة ممرا للإنسان يصنع فيها حياته ويصارع لبلوغ المنى، وانى له ذلك؟ فالشاعر يريد حياة صادقة وهذا طموح للخروج عن دائرة الحياة العادية، ولكن كيف يترك الأسرة التي تعلقت به بعد وفاة الوالد، والتي وقفت عائناً أمام طموحه، حيث يرى الحياة الحقيقية حياة سامية يسعى ورائها كل من يسمو بنفسه وفنه فوق مغريات الحياة اليومية، ولم يقف الشاعر عند ذلك بل صور في أبيات أخرى أنه يفقده لأبيه فقد الراحة والهناء، إذ عليه أن يدبر شؤون أسرته التي أصبح عائلها وعمادها فيقول: 4

وأود ان أحيا بفكرة شاعر  
إلا إذا قطعت أسبابي مع الد  
لكنني لا أستطيع فإن لي  
وصغاراً إخوان، يرون سلامهم  
فقدوا الأب الحاني فكنت لضعف  
ويقيهم وهج الحياة ولفحها  
هجمت بي الدنيا على أهوالها  
فتحطمت نفسي على شطآنه  
فأرى الوجود يضيق عن أحلامي  
نيا وعشت لوحدي وظلامي  
أما، يصد حنانها أوهامي  
في الكائنات معلقا سلامي  
هم كهفا يصد غوائل الأيام  
ويذود عنهم شره الآلام  
وخضمها الرحب العميق الطامي  
وتأججت في جوه آلامي

يصور الشاعر في هذه الأبيات صورة المسؤولية الجمة التي أصغى يواجهها مؤثراً إياها على رغبته في عيش حياة شعرية عامرة بالأحلام لأن الأسرة تجذبه إلى الواقع، وأمورها تحرمه من تحقيق أمنيه ورغباته، وهذا ما جعل شعره يتلون بهذا اللون الحزين، ويشعر بالغبن وبحرب الزمان له فيقول: 5

1 المرجع السابق، ص 85.  
2 المرجع السابق، ص 157.  
3 المرجع السابق، ص 157.  
4 المرجع السابق، ص 145.  
5 المرجع السابق، ص 68/69.

في جبال الهموم، أنبت أغصاني  
وتغشاني الضباب فأورقت  
وتمايلت في الظلام وعطرت  
وبمجد الحياة والشوق غنيت  
وتغزلت بالربيع وبالفجر  
فماذا ستفعل الريح بعدي

ويواصل الشاعر في دوامة حزنه بعيد عن حزن أبيه، فالشابي عاش تجربة غرامية في حياته وحبا حقيقيا، غمره وساقه في موكب حافل من العواطف الجامحة والأخيلة الواسعة، ليكن الموت اختطف حبيبته فبكاها الشاعر ونظم فيها قصائده العاطفية ردا كل شيء في حياته إلى الحب فيقول: 1

مات الحبيب وكل ما  
فاصبر على سخط الزما  
فسوف ينقذك المنو

ويقول عنها في قصيدة (مأتم الحب): 2 1

في الدياجي  
كم أناجي

ات نحبي، وشجوني

مسمع القبر بغصـ

فأرى صوتي فريد

◆ ◆ ◆

فأنادي

يا فؤادي

للحد قد ضم الحبيب  
فبك من الحزن المذيب

مات من تهوى! وهذا  
فابك يا قلب نما

ابك يا قلب وحيد

◆ ◆ ◆

ذل قلب

مات الحبيب

الليل، الدراري عبرات  
د ودع آفاق الحياة

فاذر في يا مقلّة  
حول حبي فهو قـ

بعد أن ضاق اللهب

◆ ◆ ◆

واندبيه

واغسليته

بدموع الفجر من  
وادي فنيه بخلال  
أكواب زهر الزنبق  
في ضفاف الشفق

ليرى روح الحبيب

ففي هذه القصيدة الذي يصور الشاعر لنا صورة الحزن الكبير الذي يعاني منه إثر فقدانه لحبيبته فتركته يرثيها إذ بقيت في نفسه حاضرة يشعل طيفها عينيه، فهو يتصورها كما كان يعرفها حية ويصحبها شبحها وما كانت عشرة صباح هذه بجنة شاعر أو حلم كاذب. <sup>1</sup> 1  
لقد كانت تجربة الحب الطفولي قاسية على الشاعر، إذ تركت في نفسه جراح عميقة لم تتدمل مع كثر الأيام، ولهذا جاء شعره في هذا الصدد مملوء بالحزن والكآبة وبالجنش والشوق إلى ذلك الماضي الذي انطوى على ذكرى جميلة، كما يصورها ذلك فيقول: 2

لست يا أمسي  
سلبته مني  
إنما أبكيك للحب  
يملاً الدنيا فأنى  
وهو في قلبي الذي  
أبكيك لمجد أو لجاه  
الدنيا وبزنتي رداه  
الذي كان بهاه  
سرت في الدنيا، أراه  
عانقه الفجر إله

وقد ظلت ذكرى حبه الطفولي تسيطر عليه، فلا تبرح خياله ولا يستطيع نسيانها، لهذا نجده كثيرا ما يرتد إلى ماضيه يستلم منه الأغاني العذبة والأنغام الشجية ويظهر ذلك حليا في قوله: 3

بالأمس قد كانت  
واليوم قد أمست  
قد كان لي ما  
يجري به ماء  
حياتي كالسما الباسمة  
كأعماق الكهوف الواجمة  
بين أحلامي الجميلة جدول  
المحبة طاهرا يتسلسل

ثم يقول وهو يتحصر على زمن حبه الضائع، ويبكي ماضيه الجريح: 4

كنّا كزوجي طائر  
نتلو أناشيد المنى بين  
في دوحة الحب الأمين  
الخمائل والغصون

فالشاعر يصور حالته اليائسة وهو يبكي أمسه ويندب حبه الذي ضاع منه، وهو ينكر كيف كان متنعما فرحا حينما كان مع حبيبته جنبا إلى جنب، وكيف صار إلى الشقاء واليأس بعدما فقد ذلك الحبيب الذي كان يزرع فيه حب الحياة ويدفع عنه أشباح السأم.

1 عمر فروخ، الشابي شاعر الحب والحياة، منشورات دار العلم للمنشورات، بيروت 1960، ص 174.

2 أبي القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 311/312.

3 المصدر نفسه، ص 296.

4 المصدر نفسه، ص 302.

ويواصل الشاعر في تصوير ذاته الحزينة المتألّمة التي كان مصدر حزنها وألمها هو الحب كما يقول: 1<sup>1</sup>

أيها الحب! أنت سر بلائي وهمومي، وروعتي، وعنائتي

ونحولي، وأدمعي، وعذابي وسقامي، ولوعتي، وشقائتي

وهنا يعترف الشابي اعترافاً صريحاً بأنّ الحب هو مصدر بلائه وأوجاعه وضعفه وحزنه.

زما زاد من معاناته ما أصيب به من مرض تضخم القلب، الأمر الذي جعل الأطباء ينصحونه بترك القراءة

و الكتابة، لكنه لم ينأى عن عمله الفكري و الأدبي، و أضحي حديث الأوساط الأدبية في لوطن العربي شرقاً

و غرباً، و أوكل إليه الدكتور أحمد زكي أبو شادي تصدير ديوانه (الينوع) و غادر مدينة (توزر) و قصد

المصطفات الجبلية كعين الدراهم بالشمال التونسي عام 1932 م، و شرع أثناء مصيف 1934 م في جمع

ديوانه (أغاني الحياة) يقصد طبعه في مصر، إلا أنّ المنية قد فاجأته بعد أن اشتدّ به المرض فتوفى في

اليوم التاسع من شهر أكتوبر عام 1934 م، ثم نقل جثمانه إلى بلده حيث قبره.

فمرض اشابي كان عنصر مهما من عناصر المأساة الخاصة التي عاش الشاعر فيها وأثرت في شعره تأثيراً

كبيراً، مما جعله يكثر في شعر من الحديث عن قلبه الذي يتهدده الموت بين لحظة وأخرى فيقول: 2

يا شعر أنت فم الشعب —ور وصرخة الروح الكئيب

يا شعر أنت صدى نحيب —ب القلب، والحب الغريب

يا شعر قلبي مثلما —تدري شقي مظلّم

فيه الجراح النجل يق —طر من مغاورها الدم

جمدت على شفّتيه أر —زاء الحياة العابسة

فهو التعس يذّيبه —نوح القلوب البائسة

ويقول في موضع آخر مخاطباً قلبه: 3

جفّ سحر الحياة يا قلبي الباكي —فهيا نجرب الموت هيا

ومن شدة الأحزان وتراكمها عليه —وفقدانه الأمل في الحياة

أشعاره ينادي الموت فيقول: 4

يا موت! ماذا تبتغي من —سي وقد مرّقت صدري؟

ماذا تودّ، وأنت قد —سوّدت بالأحزان فكري

وأجوب صحراء الحياة، —أقول: << أين تراه قبري؟ >>

ماذا تودّ من المعذ —ب في الوجود من غير وزر

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبو القاسم الشابي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ط4، ص 3.

2 المرجع نفسه، ص 15.

3 المرجع نفسه، ص 175.

4 المرجع نفسه، ص 87/86.

ماذا تود من الشقي  
 إن كنت تطلبني فيها  
 أو كنت ترقبني فيها  
 خذي إليك فقد تبخ  
 خذي إليك فقد ظمئ  
 خذني فقد أصبحت أر  
 خذني فما أشقى الذي  
 يا موت! قد شاع الفؤا  
 يا موت! نفسي ملت الدن  
 وعندما أحس بدنو أجله أنشر قائلاً: 1  
 صلّ يا قلبي إلى الله  
 صلّ فالنافع لا يبقى  
 بغيشه، النكد المضر  
 ت الكأس، أشربها بصبر  
 ت السهم، أرشقه بنحري  
 ر في الفضاء الهم عمري...  
 ت لكأسك، الكدر، الأمر...  
 قب فضاك الجون فجري  
 يقضي الحياة بمثل أمري  
 د، وأقفرت عرصات صدي  
 يا، فهل لم يأن دوري؟  
 فإن الموت آت  
 له غير الصلاة

فالشاعر وهو يناجي الموت كان يحس بالراحة النفيسة والحب الإلهي والرغبة في لقاء الخالق المنان شعور لا ينبع من قلب شخص مقبل على الانتحار، إنما هو شعور تبثه روح شخص مؤمن بأن الموت نصف الحياة المبتسم بالهدوء فلا ثورة ولا غضب بل حساب على ما مضى.

فأخذ الموت وكان له ما تمنّاه الثائر الباكي

فكان الصباح الجديد وأصبح شعبه يردد قوله: 2

أسكني يا جراح  
 ما عهد النواح  
 وأصلّ الصباح  
 وأسكني شجون  
 وزمان الجنون  
 من وراء القرون

فالوداع الوداع يا شاعر الخضراء، يا شاعر الحب أهاتك تبقى ومالها انتهاء وشعبك الثائر قوي الأداء، فقد

ضلّ عليه الصباح وأصبح لا سكت على أي اعتداء، ليتك كنت حاضرا وماذا سيكون العطاء؟

فلا شك أنّ الشابي قد عانى معاناة شديدة من فقد هذا الحب (الوالد والحبيب) الذي اختفى فجأة وتركه حزينا يعاني الوحدة والفراق والمرض والألم، فدفعه ذلك إلى البحث عن حب جديد ينسيه حبه الأول، فاهتدى إلى أن يتحدث عن المرأة بصفة عامة ناشدا فيها، ولا شك أنّ هذا التمجيد الذي نالته المرأة في شعر الشابي، إلّا لنصرتها ورفع القيود التي كبلها على مرّ السنين، وإعطائها مكانة مرموقة في مجتمعها.

اختلفت النظرة على المرأة ما بين مؤيد ومخالف، أو رافع من شأنها ومحط من قدرها، فبعض الشعراء

الرومانسيين يرون: >> أن المرأة ملك هبط من السماء يظهر قلوبنا بالحب ويرقى بعواطفنا، ويدكي شعورنا،

1 المرجع السابق، ص 40.

2 المرجع السابق، ص 150.

## 2- المرأة:

ويشجعنا على النهوض بأعباء واجباتنا الخلقية والسياسية والوطنية... ولكن إلى جانب هؤلاء كان قليلا منهم يرون في المرأة رأيا مناقضا فهي عندهم شيطان يضل الناس ويغويهم، وكثيرا ما كان يلجأ إليه الشعراء حين يصفون من غدلان يهم من النساء <<1.

لقد كان حظ المرأة في الأدب الكلاسيكي خاصة من الخيال الشعري حضا ضيقا يكاد ينحصر في إطار الحس والمظاهر المادية المحضة ليس إلا في جميع العصور والأجيال بل كانت نظرة دنيئة سافلة منحطة إلى أقصى قرار من المادة، لا تفهم من المرأة إلا أنها جسد يشتهي ومتعته من متع العيش الدنيء... <<2

فرفض الشاعر هذه النظرة القاصرة ولم يحاول الشاعر العربي أن يحس بما وراء الجسد وروح جميلة ساحرة، تحمل بين خبيها سعادة الحب ومعنى الأمومة، وهما أقدس ما في الوجود، ولا بذلك القلب النقي الذي يزخر بأسمى عواطف الحياة وأشعارها... وبين المرأة من اتصال وثيق، حتى كأن قلبها الإنساني الذي يحمل بسمه الفجر، وبأس الظلام، <<1

>> إن قلب المرأة لا يتغير مع الزمن، ولا يتحول مع الفصول، قلب المرأة ينازع طويلا ولكنه لا يموت، قلب المرأة يشابه البرية التي يتخذها الإنسان ساحة لحروبه ومذابحه، فهو يقتلع أشجارها ويحرق لأعشابها، ويلطخ صخورها بالدماء ويغرس تربتها بالعظام والجماجم، ولكنها تبقى هادئة، ساكنة، مطمئنة، ويظل فيها الربيع ربيعاً والخريف خريفاً إلى آخر الدهور... <<3؟

فكم هي سماوية هذه النظرة وكم هي روحانية هذه الكلمات حيث يتغنى فيها جبران بحنو المرأة وعطفها، فكأنها هي قلب هذا الكون بما فيه من بسمه الفجر وإشراقه الشمس وهفيف النسيم وشذى الزهور...

إنها النظرة الرومانسية التواقفة دوما إلى عالم الروح والمثال لم يعرف العرب ولا الشاعر العربي تلك النظرة السامية التي نجدها عند الشعراء الغرب >> تلك النظرة الفنية التي تعد المرأة كقطعة فنية من فنون السماء يلتبس لديها من الوحي والإلهام ما تضمن به ينابيع الوجود... <<4

فكيف كانت مكانة المرأة في الشعر الشابي؟ وكيف كانت نظراته إليها؟ وهو الشاعر الأثري الذي تتخطفه أحلام الروح، ولربما تتضارب الآراء وتتباين عندما يرتبط الأمر بالجانب العاطفي عند الشابي، لكن الحقيقة التي لا مفر منها هي أن الشاعر قد عرف المرأة وتزوج وأنجب أطفالا غير أنه ظل يتشوق في شعره إلى

1 الرومانتيكية د/محمد غنيمي هلال، ص 149.

2 الخيال الشعري عند العرب، أبو القاسم الشابي، ص 46.

3 جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت (د ت)، ص 52.

4 الخيال الشعري عند العرب، أبو القاسم الشابي، ص 46.

المثال الذي يرضى طموحه ويشبع روحه، والشعر الذي قاله في المرأة لا نستطيع أن نعثر فيه على امرأة معينة، لها شخصيتها وطباعها ومزاياها التي تتفرد بها.

لقد كانت نظرة الشابي إلى المرأة نظرة طهر وجمال، وسمو خالص من وصف لا يليق بها أو تصوير يقلل من قدرها ومكانتها، لذا جاء شعره فيها وعنها خاصا بالجانب الإنساني الرفيع فيهان، ومزح بين وصفها ووصف مظاهر الطبيعة الجميلة، وهذا ما جعله يثور على ومكانتها في مجتمعه، وعلى وضعها في الادب العربي القديم.

والشابي في هذه النظرة متأثر بالظاهر حداد، الذي عرف في تونس بأنه نصير المرأة حيث يقول في كتاب له: >> إذا كنا نعتقد المرأة، ولا نعبأ بما فيه من هوان وسقوط، وإذا كنا نحبها ونحترمها، ونسعى لتكامل ذاتها، فليس ذلك إلا صورة من حبنا واحترامنا لأنفسنا وسعينا لتكميل ذاتنا << 1

ونظرة الشابي وغيره إلى المرأة لا تنفصل عن نظرة الشعراء الرومانسيين لها، فالشاعر الرومانسي حين ينفصل شعوره عن العالم الواقعي فإنه لا يعيش في فراغ، وإنما يعيش بخياله مع أطيايف الحب وصوره، ويبني لنفسه عالما من أغصان الطبيعة وأزهارها يأوي إليه، ويرتاح فيه ليفكر في قلبه وفي حبيبته الموعودة، والشابي كان شاعرا رومانسيا فلا عجب أن نرى أشعار الحب وذكر المرأة عنده حين تشتد به المحن وتكثر عليه الخطوب، فهو لا ينسى حبه وإنما يشرب من نهره الزاخر ليطفئ اللهب المشتعل في صدره. 2 وهذا ما جعله يعلن في قصائده عن ثورة على وضع المرأة ومكانتها في المجتمع العربي فيربط بينها وبين الطبيعة ومظاهرها الجميلة فيقول: 3 1

أنت كالزهرة الجميلة في الغاب	ولكن ما بين شوك ودود
والرياحين تحسب الحسك الشرير	والدود من صنوف الورود
فافهمي الناس إنما الناس خلق	مفسد في الوجود، غير رشيد
ودعيهم يحيون في ظلمة الإثم	وعيشي في طهرك المحمود
كالملاك البريء، كالوردة البيضاء	كالموج في الخضم البعيد
كأغاني الطيور، كالشفق الساحر	كالكوكب البعيد السعيد
كالثلوج الجبال يغمرها النور	وتسمو على غبار الصعيد
أنت تحت السماء روح جميل	صاغه إليه من عبير الورود
وبنو الأرض كالقروذ، ومأضي	يع عطر الورود بين القروذ

فالشاعر يوضح في بيته الثالث والرابع والتاسع سبب ثورته على الناس في مجتمعه بأنهم خلق مفسد غير رشيد يعيشون في الأرض كالقروذ ويحيون في ظلمات الإثم، فيطلب من المرأة أن تفهمهم وتتأى عن طريقهم،

1 أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة، ص 238، وينظر مجلة عالم الفكر، ص 71.

2 الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د/عبد القادر القط، ص 289.

3 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 68.

لأنها زهرة جميلة ووردة بيضاء وملاك بريء وعناء طير، وشفق ساحر وكوكب سعيد وثلوج جبال من نور وروح جميل وعطر ورياحين.

وتعد قصيدة الشابي في (صلوات في هيكل الحب) ثورة في تاريخ الشعر العربي الحديث، وتاريخا خليقا بأن يؤرخ به لمدرسة جديدة في أدب العاطفة المحلقة ففي هذه القصيدة الخالدة، نراه يعالج جانبا وجدانيا وعاطفيا فيه دعوة للخروج من النمط التقليدي تجاه العاطفة والمرأة بوجه الخصوص، فالشابي ينظر إلى المرأة من خلال القصيدة نظرة مليئة بالحزن والأسى ربما الأول الذي انتهى وهو في حسرة عليه فكانت نظرتة إلى المرأة تصل إلى نوع من التقديس مما جعل بعضنا من الناس لا يتقبل هذا الأمر وذلك مثل قوله في القصيدة:

يا ابنة النور إنني أنا وحدي من رأى فبك روعة المعبود

إضافة إلى ذكره الآلهة اليونانية، وصلوات هي قصيدة وفق الشاعر في اختيار بحر الخفيف التي تفعيلته أكسبت القصيدة عذوبة وخفة وذوبانا في اللاكون وتحليق في عالم الأسر والعبودية. ووفق أيضا في اختياره لقافية الدال، والدال هو من حروف الشدة توحى بالحزن والأسى، فهو يبدأ بخطاب موجه، فهو يبتعد عن

المقدمات ويتوجه مباشرة إلى ما يريد فيقول: 1

عذبة أنت كالطفولة، كالأحلام كاللحن، كالصباح الجديد  
كالسما الضحوك كالليلة القمراء كالورد، كابتسام الوليد  
يا لها من وداعة وجمال وشباب منعم أملود

وهنا الشاعر يشير إلى حرصه على رفع مكانة المرأة في مجتمعه، حيث ذكر فيها تسعة أوصاف.

فتتزامن الصور لنرى فيها امرأة عذبة فذكره لكثير من الأشياء الجميلة (الطفولة، الأحلام، اللحن، الصباح، ابتسام الوليد) فهي البراءة والجمال الأمنية في الأحلام، وهي الألحان وانسياب الموسيقى فنلاحظ تلك المعاني الواضحة البسيطة، وهذه التشبيهات التي لا يعمد فيها إلى الأعراف والأغراب بالمعاني البعيدة، فكلها معان بسيطة تعتمد على التشبيه الإضافي أو الوصفية أي يصف شيئا بشيء كالسما الضحوك، كالليلة القمراء، كابتسام الوليد ويقول: 2<sup>1</sup>

يا لها من طهارة، تبعث التقديس  
يا لها رقة تكاد يرق الور  
أي شيء تراك؟ هل أنت فينيس  
لتعيد الشباب والفرح المعسو  
أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر  
يس في مهجة الشقي العنيد  
د منها في الصخرة الجلود  
تهادت بين الوري من جديد  
ل للعالم التعيس العميد  
ض ليحيي روح السلام العهد

ونلاحظ نظرة الطهر والتقديس من خلال رؤيته للمرأة باعتبارها شيئا مقدس، بل إنها تتناسب رقة وهو نوع من المعجزة التي برق منها الورد في الصخرة الجلود ثم يظل السؤال ملحا دائما أي شيء تراك؟ لأنه لا يدرك

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 60.

2 المرجع نفسه، ص 60.

فحواها، فهو يحاول أن يرسم صورة لما يحس به، فلا يصل إلى الغاية فهو يصورها " كفينوس " إله الجمال عند اليونان، (وهذا رمز له دلالة وأبعاده وهو التغيير عن واقعه النفسي واحساسه الدقيق ليكشف عن باعث تجربته ووضوحها)، فهي عادي لتعيد الشباب والفرح لهذا العالم المليء بالأحزان، بل هي ملاك قدسي من الفردوس، روح سلام ومحبة، وكم يربط بين المرأة والطبيعة فيقول: 1

أنت...، ما أنت؟ أنت رسم جميل      عبقرى من فن هذا الوجود  
فياك ما فيه من غموض وعمق      وجمال مقدس معبود  
أنت...، ما أنت فجر من السحر      تجلى لقلبي المعمود

يقول أحد الأدباء عن هذه القصيدة إذا تأملنا الأبيات السابقة فإننا نعثر على الخصائص الأساسية لشعر الشاعر، حيث تتسم الرومانسية التعلق في السماء عالية بجناحين من الألم والجمال، وقد تراكمت فيها الصور الوصفية، تلك الصور التي تفيض بالإحساس العميق بالنشوة والإكبار لهذا الجمال.

وقد رسم فيها لوحة ذات بعدين للجمال، البعد الأول الباطن الروحي الذي يعبر عن سمو والبراءة والنشوة والتألق وذلك من خلال الألفاظ (الطفولة، الأحلام، اللحن، الصباح الجديد) والبعد الثاني الخارجي وذلك من خلال قوله (الورد، السماء، الليلة القمر... ) ومن خلال هذين البعدين تأتي صورتان للجمال الحسي والمعنوي في عدد كبير من التشبيهات الجديدة البعيدة عن التقليد، وعدد وفير من ألفاظ التعجب كقوله: (يا لها من وداعة وجمال، يا لها من طهارة، يا لها من رقة...)

هذا بالإضافة إلى ما تضمنته الأبيات من استفهام يؤكد المعاني التي يحاول كشف أبعاده كقوله (أي شيء تراك، هل أنت فينيس...) وبعد أن يستفهم يعود فيقرر وكأنه يقول لنا بأن استفهامه ليس من جهل بالحقيقة وإنما عن دهشة وتعجب وذهول لروعها وبهائها فيقول: 2

أنت روح الربيع، تختال في      الدنيا فتتهتر رائعات الورد

إنها ربه الربيع، ولا يأتي ذكر الربيع هنا لمجرد الاستدعاء اللفظي. ف (فينيس) هي ربة الربيع والخضرة والماء والخضب ولا يتحقق كل ذلك إلا في هذا الفصل كما هو معروف فهي جوهر الربيع، حيث فاق جمالها جمال كل الورد، وأزهار الربيع فتفتحت بمجرد ملامستها لتويجاتها، وازدادت نضرة وتألق وجمالاً، تجلى في استقبالها للمحبة، فهي ترقص فرحاً وطرباً للقيها.

وتمضي المحبوبة لتهب الحياة معناها ووضاءتها، وهي حتى تختال بين أزهار الربيع الفواحة بالأريج، فتستمد منها الزهور عطرها الذي تتعش الناس به، فيتملون برائحة طيبها، ويصحح الكون بأعذب الألحان والأغاني فيقول: 1

وتهب الحياة سكرى من العطر      ويدوي الوجود بالتغريد

1 المرجع السابق، ص 60.

2 المرجع السابق، ص 61.

ثم يعود ليصوّر المرأة رمزا للحياة والخصب وهي جمال الخضرة وهي تفتح الأزهار والأشجار، وكل البدايات الجميلة، ويجعلها في النهاية كأسا تتذوقها الحياة فتتهادى بالنسائم التي تعطر الوجود، ليزغرد طربا بها، فيخفق قلبه بحب الحياة ويسرد محبته لهذه الحياة الجميلة بعد أن استلبتها منه الأحزان والهموم، فترفرف أوراق عمره، وتصفق فرحا لاستقبال السعادة والهناء والسرور وتعم البهجة قلب الشاعر الذي كان يقتله الحزن والغم فتنتشي روحه التي كانت خرجة كئيبة وتغنى كالبلبل الصداح بأجمل الأشعار وأزهى الصور فيقول: 2

1  
كلما أبصرتك عيناى تمشين      بخطو موقع كالنشيد  
خفق القلب للحماة ورف الزهر      في حقل عمري المجرود  
وانتشت روجي الكئيبة بالحب      وغنت كالبلبل الغريد

وتنتهي صلوات العاشق في هيكل حبه وترانيمه، وقد عادت له محبوبته بالغة الفتنة والجمال، فتذهب الوحشة ويتلاشى الحزن والكآبة وتنتفض روحه الوثابة للحياة مرة أخرى، تنشد أجمل الألحان وأعذبها، حتى تضاهي بشدوها البلابل الغريدة الصداحة وبعودة سيدة الحب تسترد الحياة قيمتها ومعناها ويسترد الشاعر عافيته، واقباله على الحياة، منشدا مغردا بأجمل القصائد فيعود الشباب والفرح لكل شخوص الدنيا وللعالم التعيس القعيد.

فتتحول المرأة المحبوبة عند الشابي إلى رمز للبحث وتجدد الحياة، ويصبح استدعاؤها مطلبا ضروريا لذاته التي باتت حزينة مكتئبة لا تشعر بمعنى لوجودها وهنا يتوجه الشاعر إلى قدس أقداس آلهة الحب والخصب يناجيهما ويترنم لها لعلها ترد له ذاته الغائبة، وتمنحه معنى للوجود وتبعث فيه الحياة بعد أن تجردت حياته من كل معنى جميل.

ثم يستمر في خطابه للمرأة الي يقدها لأنها من وجهة نظره إله تغير في الحياة وتبدل فيها وتصنع في الفؤاد وتشع فيه الحياة من جديد فيقول: 3

أنت تحيين في فؤادي ما قد مات      في أمسي السعيد الفقيـد  
وتشيدين في خرائب روجي      ما تلا شيء في عهدي المجدود  
من طموح إلى الجمال إلى الفن      إلى ذلك الفضاء البعيد  
أنت أنشودة الأناشيد عنا      إله الغناء ربه القصيد

يربط الشاعر بين فينيس و " شالوميت " الراعية في نشيد الأنشاد الوارد في العهد القديم حيث تتعت فيه المحبوبة بأوصاف متعددة. إذا هي صفات روحية تختص بهذا الملاك المقدس " المرأة " لم يخرج إلى وصف الجسد ونادرا ما يصف الرومانسيين الجسد، فهو يركز على عالم الروح والأشياء الباطنية، ويهيم في فضاءات الخيال فيقول: 1

فتمايلت في الوجود كلحن      عبقري الخيال حلو النشيد

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 61.

2 المرجع نفسه، ص 61.

3 المرجع نفسه، ص 61.

خطوات، سكرانة بالأناشيد      وصوت كرجع ناي بعيد  
وقوام...، يكاد ينطق بالألحان      في كل وقفة و قعود

فالأبيات تصف جمال المحبوبة في تمايل عودها وفي تراقص إيقاع مشيتها، وتتحول الأبيات إلى غنائية موازية للصور الواردة في نشيد الأناشيد حيث يتجلى الإيقاع في صورة المتعددة، فهي خطوات ثلثة مترنمة، وصوت رقيق كرجع الناي، والناي كما نعلم هو الآلة الموسيقية المعروفة، وهذه اللفظة في التعبير الشعري يوحي بمشاعر الحزن والأسى استوحاه من الأساطير اليونانية، لأنّ الناي بطبيعته لا يخرج في الغالب إلا أنغاما شجية، لكنّ الشاعر هنا لم يستخدم اللفظة لمجرد الأسى والحزن، وإنما جعله وسيلة للتعبير عن معاناة أناه و عن حالته النفسية و الوجدانية، كما نلاحظ أنّ رمز الناي تكرر كثيرا في قصائده لما يوحيه. وقوام ينطق باللحن العذب في وقفة وقعود، ثم يجعلها هي حياة نفسها وهو إصرار على لغة الخطاب >> انت << ليوثق الصلة بينه وبينها، رغبة في التوحيد المعاني التي يقولها، وهي وقفة البحث عما يكون كأنه يفكر برهه، ثم ينهي هذه الصورة بأنّها حياته كاها بل حياة الناس من قدس وصباح ووجود فهي كل شيء جميل في حياته فيقول: 2<sup>1</sup>

أنت.. ، أنت الحياة في قدسها السامي      وفي سحرها الشجي الفريد  
أنت.. ، أنت الحياة في ورقة      الفجر في رونق الربيع الوليد  
أنت..، أنت الحياة كل أوان      في رواء من الشباب جديد  
أنت..، أنت الحياة فيك وفي      عينيك آيات سحرها الممرود

والشاعر يرى أنّ الجمال ليس مجرد مظهر فتان في الطبيعة والإنسان وإنما الجمال لون من تجريد الذات من الحزن والعراك الخاسر والعذاب والدمار، فهو يعرض عليها أحزانه وينتظر منها أن تكون سبيل الخلاص له 3 ثم يصرح بأنّها أعلى مرتبة من الخيال، فهي تتجاوز كل شيء وأنه لا يستطيع أن يحيط بها فيقول: 4

أنت الدنيا من الأناشيد والأحلام      والسحر والخيال المديد  
أنت فوق الخيال والشعر والفن      وفوق النهي وفوق الجودود  
أنت قدسي، ومعبدي وصباحي      وربيعي، ونشوتي، وخلودي  
فدعيني أعيش في ظلك العذب      وفي قرب حسنك المشهود  
عيشة للجمال والفن والإلهام      والطهر، والسني، والسجود  
عيشة الناسك البتول يتاجى الر      ب في نشوة الذهول الشديد

فهو لم يكتف بعد أن قال كل هذه الأشياء بل نراه يتحدث عن نفسه وعنّها وعن موقفه منها، فهو يرى أن فيها إبداع الخالق ويرى أنها تستحق العبادة ثم يصرح بأنّه يريد العيش تحت رحمتها وفي قرب حسنها الفاتن

1 المرجع السابق، ص 61.

2 المرجع السابق، ص 61.

3 محمد إبراهيم أبو سنة، تجارب نقدية وقضايا أدبية، دار المعارف، ط1، ص 169، 181.

4 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 62.

البديع، وإن كان خروجاً عن القيم ولكنه عالم الشاعر الرومانسي وقيمه فأرأينا الملاك المقدس في عالم الشابي وكيف هي المتابعة بين المفردات، فكل لفظة توحى بالجمال، وبمعنى منفرد عن الأخرى فهو يريد أن يحيا حياة العابد المتبتل المنقطع لمناجاة ربه ولكن هيهات... ثم يقول: 1<sup>1</sup>

وامنحني السلام والفرح الروح	حي يا ضوء فجرى المنشود
وارحميني، فقد تهدمت في كو	ن من اليأس والظلام مشيد
أنقذيني من الأسي، فلقد أسيب	ت لا أستطيع حمل وجودي
وانفخي في مشاعري مرح الدنيا	وشدي من عزمي المجهود
وابعثي في دمي الحرارة علي	أتغنى مع المنى من جديد
وأنت الوجود أنغام قلب	بلبلي، مكبل بالحديد
أنقذيني، فقد سئمت ظلامي	أنقذيني فقد مللت ركودي

وهنا يتحدث عن تأثيرها الجمالي والروحي عليه، فصورتها في قلب تحمل معنى القداسة، فهو قدم صورة لحياته قبل أن يراها، وطلب منها أن تتقده وتأخذه إليها فهي ابنة النور فهو يريد أن يخرج من عالم الظلمة إلى عالم النور، وكما يريد أن تخرجه من الحزن والكآبة والأسي، فكانت مفاجأة الشابي مفاجأة لعاشق مسكن إلى محبوبه لم تحمل صورة عادية بل هي صورة المرأة التي تصل إلى مرحلة التقديس فهي أكوان في عالم اللاكون عند أبي القاسم الشابي.

مما سبق لا شك في أن نظرة الشابي إلى المرأة ماهي إلا تأييد منه لتصحيح وضعها ومكانتها في مجتمعه ورفع القيود التي كبلتا، وتغيير النظرة القديمة عنها، وقد حاول الشاعر أن يطوع شعره لتلك النظرة الروحية، وأن يستجيب لضمئه الروحي إلى مثال رفيع للمرأة بملاً قلبه ومشاعره، ولهذا نجده يقول عنها:

>> المرأة هي الطيف السماوي الذي هبط إلى الأرض ليؤجج نيران الشباب ويعلم البشرية طهارة النفس وجمال الحنان.

لق اتضحت صورة الألم والكآبة والأحزان في أشعار الشابي منذ بدايات كتابته للشعر اصطدم بمحيط متخلف فرغم بذل الجهد الكبير للخروج إلى ما يراه من آفاق جديدة، ليكن دون جدوى، لأن النظرة التشاؤمية في أشعاره ظاهرة جلية وواضحة.

### 3-الكآبة والغربة:

فظاهرة الكآبة عند الشابي لها بعدا فلسفيا وصوتا باحثا عن الحقيقة ولأن الشعر عنده كان وسيلة للتنفيس، ومنطلقاً لأشجانه، وتعبيراً عن أحلامه التي أورثته الحزن والكآبة وليست الكآبة هنا عارضا وجدانيا، أو علة لكنّها منطلقاً للأمل وسببا للنهوض، وسبيلا إلى الإبلاغ الشعري الخلاب.

1 المرجع السابق، ص 62.

فالكآبة عنصر من عناصر المذهب الرومانسي، فالشابي يعيشها ليندمج مع الرومانسية وليكون رمزا من رموزها في الأدب العربي فلا يكاد القارئ لشعر الشابي خاصة الديوان أن يغفل عن ذلك النغم الحزين الذي يئن في غالب قصائده، فهو يرى أن الألم نهجا يسير عليه فالكآبة عنده تختلف عن صورتها المعروفة عند الناس فيقول: 1<sup>1</sup>

كآبة الناس شعلة، ومتى  
أما اكتئابي فلوعة سكنت  
مرت ليال خبت مع الأمد  
روحي وتبغي بها على الأبد

فالشابي عاش حياته بكل طاقته الوجدانية، وتقلب مع أحواله المضطربة سواء في نشأته وترحاله، ووفاته أبيه، وفقدانه الحبيبة وتكفله بإعالة أسرته، ومن تم مرضه المزمن الذي جعل منه نبعا لأفكاره وما هما لشعره، فيحكى أنه يوما انتابته الضائقة الصدرية ولما هدأت النوبة، بدأ يسوي ثيابه ورقبة قميصه، ثم تكلم منشرجا وقال: أعطني ورقا وقلم من جيب فرملي، فأعطوه ما طلب فأخذ يكتب تحت الحلة النفسية الجامعة ونفسه سكرى بأحزانها الدامية وألمها المتشحة بالهيب فيقول: 2

يا إله الوجود هذي جراح  
هذه زفرة يصنعها الهم  
في فؤادي تشكو إليك الدواهي  
إلى مسمع الفضاء الساهي

ومن هنا نرى أن الشابي قد تمكن من تسخير مرضه وآلامه الحسية الجسدية في شعره، ومما لا شك فيه أن لهذا الداء أثر في خلق تصور جديد للحياة.

وزيادة على ذلك اضطراب حياته الاجتماعية وزواجه من امرأة لا يميل إليها لإلحاح والده، لأنه كان يميل لامرأة ماتت باكرا كما سبق ذكر ذلك، وما رأيناه من أثر في نفسه من خلال أشعار الفترة الأولى من حياته.

كما نلمس فهمه الشعر على أنه حيلة الكئيب فيقول: 3

يا شعر أنت فم الشعور  
يا شعر أنت صدى يخيب  
يا شعر أنت مدامع  
يا شعر أنت دم  
وصرخة الروح الكئيب  
القلب والصب الغريب  
علقت بأهداب الحياة  
تفجر من كلوم الكائنات<sup>2</sup>

ومن منابع شعره الكئيب أيضا ضعف أمته الموضوع الذي أتبعه و انعكس على حالته الصحية التي تزداد كلما استجد حادث خارجي، و خير مثال على هذا قصيدته المجنونة ب: " إرادة الحياة " فهذه القصيدة

1 أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ط1، 1994، ص 45.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 178.

3 المرجع نفسه، ص 15.

1 أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ط1، 1994 م، ص 80.

2 المصدر نفسه، ص 80.

3 المصدر نفسه، ص 80.

صرخة في سماء الأمة و تنبيه لها و دعوة إلى الثورة، و هي من أشهر القصائد في العصر الحديث، مليئة بالآلام و الأحزان التي يعتصر فؤاد الشابي، و هناك قصائد أخرى يستصرخ فيها أمته مثل: 'إلى الطاعنة فهي تضج بالحسرة، و يغمرها إيقاع شديد، تتفجر من أعماقه لتعلو في جو السماء و يسمعها الشعب الذي من بينه حاقدون و معادون لهذا الشاعر.

وهذه العداوات الشخصية والحسد الذي يواجهه أبو القاسم أيضا يعد عاملا مهما في مسيرته الشعرية ونسج أهم قصائده، (نشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثيوس) فهي قصيدة قوية وصارخة وتشبيهات تعبر عن قلقه الشديد، من هذه العداوات العنيفة كما أن المجتمع وتقاليده يعد عداوة كبرى في وجه الرومانسيين مما يضطر إلى الصدام أو الانكفاء على الذات والرومانسية في شأنها كانت حركة تشاؤمية، تزدهم بذكر مظاهر الشؤم والعقم في الوجود وتركن إلى الهروب من الواقع إلى عالم الأحلام والخيال والذكريات والطفولة. وهذا ما نجده في شعر الشابي فهو قاموس متكامل عن الكآبة معبرا فيه عن التجربة المرة التي مرّ بها. فصورة الكآبة لوعة انطوت في روح الشاعر إلى الأبد، لوعة لا تعرف الهدوء أو الانقضاء فقصيدة " الدموع " كتبها عام 1928 م باحثا فيها عن أسباب الألم الذي يجد صورته وقد تجسدت في عناصر الحياة التي أحاطت به:

- الأول: صورة الزمن الذي ينقض دون أن يحقق الشاعر أمانيه التي ضاعت بين الألم والصبر فيقول: 1

ينقضي العيش بين شوق ويأس      و المنى بين لوعة وتأس

- الثاني: يجده في فساد المجتمع فيقول: 2

هذه سنة الحياة ونفسي      لا يؤدّ الرحيق في كأس رجز

ملئ الدهر بالخداع، فكم قد      ضلل الناس من إمام وقش

- الثالث: يتعلق بنفسية الشاعر وحظه حيث صار الباطل حقا في الحياة، باطل يصطدم به لأنه ينظر إلى الحياة بمنظار صادق يطمح من خلاله لتحقيق الخير والحب ولكن الحياة تخالف آماله وأحلامه ويبقى يتجرع كؤوس الحزن والخيبة التي لا تنقضي حيث يقول: 13

فسئمت الحياة إلا غرار      تتلاشى به أناشيد يآسي

وسقتني من التعاسة أكوابا      تجرعتها، فيا شدّ تعسي!

ويتابع مبينا أسباب كآبته وحزنه فيقول: 1

تلك أوجاع مهجة عذبتها      في جحيم الحياة أطياف نحس

ومن خلال هذه العناصر ظهرت صورة الألم في نفس الشاعر وحياته، وهو في ذلك يحدد عوامل الألم، الذي لم يكن صدوره ناجم عن التقليد لما ظهر في الشعر الرومانسي فحسب بل تبدو أسبابه في تربية الدينية التي تربها في مدرسة والده التي كانت تدعو إلى قيم الحق والخير والجمال.

وفي بعض الأحيان تكون أسباب حزنه غير معروفة وهذا ما جعله يكتب قصيدة " الكآبة المجهولة " التي يعبر فيها عن مدى كآبته التي جعلته غريبا في عالم الإنسان الذي يحيا فيه، مقارنا فيها بين كآبة الناس التي تخبو مع مرور الليالي، فيما كآبته تزداد نارها، بل إنها باقية الدهر وهي في النهاية تفوق كآبة نل البشر. فهي قصيدة تحمل ملامح تجديدية على مستوى المضمون الذي يعبر عن الهموم الذاتية وتجربته الشعرية، حيث وصف كآبته وحزنه ومعاناته الداخلية، بتوظيفه قدرًا كاف من الصور الشعرية التي لها دور في إضفاء الجمالية على النص وإعطائه بعدا تخييليا والتعبير عن حالته النفسية وعليه استطاع الشابي التجديد في صورته من ناحية كونها معبرة على ذاته وصادرة عن وجدانه، معبرا عما يجيش في صدره من ألم وكآبة وحزن عميق حيث يقول: <sup>1</sup> 2

أنا كئيب

أنا غريب

كآبتي خالفت نظائرها	غريبة في عوالم الحزن
كآبتي فكرة مغردة	مجهولة من مسامع الزمن
سمعتها، فأنصرفت مكتابا	أنشدو بجزني كطائر الجبل
كآبة الناس شعلة، ومتى	مرت ليال خبت مع الأمد
أما اكتبني فلوعة سكنت	روحي، وتبقى بها إلى الأبد

أنا كئيب، أنا غريب

وليس في عالم الكآبة من	يحمل معشار يعض ما أجد
كآبتي مرة، وإن صرخت	روحي فلا يسمعها الجسد
كآبتي ذات قسوة صهرت	مشاعري في جهنم الألم
كآبتي شعلة مؤججة	تحت رماد الكون تستعر

ويبدو أن أراء الشاعر وأفكاره ودوره في مجتمعه كان سببا في عداة وكرهية لبعض الناس له فهاجموه حاولوا أن يعزلوه عنهم وشككوا في شاعريته، مما أصابه الاكتئاب وحزن والإحساس بالغرابة في وطنه

فيقول: <sup>1</sup> 2

يا قوم عيني شامت	لجهل في الجو نارا
تتلو صاحبا ركاما	يتلو قتاما مثارا

1 المصدر السابق، ص 81.

2 المصدر السابق، ص 27، 26.

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 80، 81.

2 المرجع نفسه، ص 68 وينظر أغاني الحياة، ص 114.

3 المرجع نفسه، ص 84.

يثير في الأرض ريحا  
تلفي الشديد صريعا  
يهيج فيها غبارا  
تبقى الأديب حمارا

إلى أن يقول:

يا ليت قومي أصاخوا  
يا شعر! أسمعت لكن  
لما أقول جهارا  
فلا تبال إذا ما  
وأصبر على ما تلاقي  
وأصدع وقيت العثار

ويحاول الشاعر أن ينأى عن شعبه الذي يغمره الحزن ويغلفه اليأس ويعيش حياة الجمود فيقول: 2

لا أعني نفسي بأحزان شعبي  
وبحسبي من الأسى ما بنفسي  
فهو من معدن السخاء والإفك  
ويعيد عن المدينة والناس  
فهو حي يعيش عيش الجمد  
من طريق مستحدث وتلاد  
بعيدا عن لغو تلك النوادي  
ومن ذلك الهراء العادي

لذا فقد قرّر أن يهجر مجتمعه حتى لا تقع عيناه على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، فلا يرضي بذلك وضميره فيقول: 3

ما في وجود الناس من شيء به  
فإذا استمعت حديثهم الفتية  
وإذا حضرت جموعهم ألفتني  
متوحدا بعواطفني، ومشاعري  
ينتابني حرج الحياة كأنني  
فإذا سكت تضجروا وإذا نطقت  
آه من الناس الذين بلوتهم  
ما منهم إلا خبيث غادر  
يرضى فؤادي أو يسر ضميري  
غثا يفيض بركة وفتور  
ما بينهم كالبلبل المأسور  
وخواطري، وكآبتي، وسروري  
منهم بوهدة جندل وصخور  
تذمروا من فكرتي وشعوري  
فقلوتهم في وحشتي وحبوري  
متربص بالناس شر مصير

فالشاعر يصور نفسه بين الناس كأنه سجين، لا يجد من يشاركه عواطفه ومشاعره وأحاسيسه وهم لا يتكونه ولا يرضون سكوته ولا يعجبهم إنكاره، يتصفون بالخبت والغدر لذا فإن الشابي يشعر بينهم بالغرابة ويحيي فيهم في حزن وهم وكآبة.

والشعور بالغرابة يورث صاحبه الكآبة والأحزان والأحلام حتى وإن اجتمعت له كل أسباب الفرح واللهم فيقول:

1<sup>1</sup>

1 المرجع السابق، ص 25، 24 وينظر أغاني الحيلة، ص 85.

2 المرجع نفسه، ص 22.

3 الأعمال الشعرية، أبي القاسم الشابي، ص 249.

مهما تضاحكت الحيا	ة فإنني أبدا كئيب
أصغي لأوجاع الكآ	بة لا تجيب
في مهجتي تتأوه البلـ	وى، ويعتلج النحيب
ويضج جبار الأسى	وتجش أمواج الكروب
إني أنا الروح الذي	سيظل في الدنيا غريب
ويعيش مضطحا بأحد	زان الشيببة والمشيب

وهذه الغربة قد فرضت على نفسها فرضا، لأن حبه لشعبه ووطنه لم يكن يدانيه حب، وحرصه على تقدمه والنهوض به مازال قائما، فالغربة نشأت من تباين رؤيته للأمور ورؤيته الناس لها، ومنهجه في منهجهم، فأصبحوا لا يتفاعلون معه ولا يتجاوبون مع ثورته ولا يفتنون إلى أهدافه ومراميه، ويعلن الشبابي شكواه وتبرمه ممن لا يفهمون صدى نفسه ولا يقدرّون معاني بؤسه وشدة غربته.

فهو كالتائه في ظلام العدم فيقول: 2

يا صميم الحياة كم أنا في الحياة غريب	أشقى بغربة نفسي
بين قوم لا يفهمون أناشيد فؤا	دي ولا معاني بؤسي
في وجود مكبل بقيود	تائه في ظلام شك ونحس
فاحتصني وضممني لك كالما	ضي فهذا الوجود علة يأسى
لم أجد في الوجود إلا شقاء	سرمديا ولذة مضمحة

وكان في غربة الشبابي وفراره إلى الطبيعة، أن يسكن إلى الذكريات ويعيد إلى عوالمه الحزينة الأيام الخوالي حيث الطفولة المرحّة النشوانة، ومراتع الصبي والحياة البريئة فيقول: 3

أيام كانت للحياة	حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل	وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور	بين جدول الماء النмир
أيام لم تعرف من الدنيا	سوى مرح السرور

وانكسارها وانطوائها وعزلتها، تكمن قضايا الواقع المحطم وأزماته، فالشاعر يعيش في اضطراب وأزمة وعليه أن يجد طريقة للوصول إلى برّ الأمان فعمره ابتعاد واغتراب متواصل لكنه يلتفت إلى الوراثة بحنين. لقد أصبح الشعور بالغربة، الانفصال عن الخالق والطبيعة والمجتمع شعورا بالعجز في تحقيق الأماني والطمأنينة للذات الإنسانية وبالأخص الشعراء ولهذا ضم مصطلح الاغتراب إلى المصطلحات الحديثة لأنه سمة العصر الحاضر فالشعر العربي صور هذه الظاهرة بأبعادها الزمانية والمكانية خاصة عند شعراء المهجر فكانوا أكثر اهتماما بظاهرة الغربة، فشاعر المهجر يحث عن أمنه الذاتي في الطبيعة، في الحب، في الإقبال على الحياة، في البكاء على غربته، في اكتشاف ذاته وطاقته النفسية، في الثورة على المستعمر. فالشبابي عاش لوعة الغربة بعيدا عن وطنه وأحبابه داخل وطنه بعض مجتمعه وخارج الوطن في المهجر.

كما أنّ شعراء الرومانسية أصبحوا يشعرون بغربة نفسية حادة فهم يعيشون حالة انفصام تام بين الواقع الذي يعيشون فيه وبين تجسيد ذواتهم كما يريدون.

وفي الأخير نختم ظاهرة الغربة عند الشابي بأبيات تبين شدة قهره وبؤسه وكآبته بسبب الغربة التي يعيشها بين قومه وأهله فيقول: 1

يا صميم الحياة! كم أنا في الدنـ

يا غريب أشقى بغربة نفسي

بين قوم لا يفهمون أناشيد

فؤادي ولا معاني بؤسي

كما نجده يبكي غربته وسط قوم لا يفهمون معاني شعره الحزين المعذب فيقول: 2

قصيت أدوار الحياة مفكرا

في الكائنات معذبا مهموما

فكلمة مهموما استخدمها الشابي للدلالة على حجم الأحزان والمآسي التي يعيشها وتابع يقول: 3<sup>1</sup>

شردت عن وطني! الجميل أنا الشقـ

ي فعشت مشطور الفؤاد يتيما

في غربة، روحي ملعونة

أشواقها تقضي، عطشا، هياما

يا عزبة الروح المفكر! إنّه

في الناس يحيا سائما مسؤولا

فما أشد وأقصى غربة الإنسان وهو بين أهله وخالنه، فغربة الوطن ولا غربة الأهل.

## ثانيا: الأنا من خلال الطبيعة

### تمهيد:

الكون والطبيعة مكونان أساسيان في الصورة الشعرية لدى الشاعر، فالطبيعة هي الملاذ عند الهم، وهي المؤنس عند الوحشة، فيها الرحمة والعطف والحنان، تحمل المفاهيم والقيم، تعطي ولا تنتظر المقابل، فمن النادر نجد قصيدة تخلو من صور الطبيعة، لأنّ روحه تظهر من خلال صورها، فالشاعر يجد خلاصه الروحي في الطبيعة، لذا هو يعيش بخياله وحواسه ومشاعره في الطبيعة ويستمد صورة فنية منها. فالطبيعة هي المصدر الأول والأهم لصور الشاعر، تارة تحمل الهموم والألم والأحزان، وتارة أخرى تكون متفائلة مبتهجة، والباعث على ذلك التضاد في الصور الشاعر عوامل داخلية وخارجية، عندها يلجأ إلى الطبيعة لأنها المتنفس الوحيد الذي يحمل همه فيبث فيها أشجانه فيرتاح لها ويطمئن معها. فالشاعر يقوم باستمرار بخلق الطبيعة خلقا فنيا فيصوغها على حسب حالته النفسية لذا فإنّ المعرفة في الشعر هي ذاتية فكل ما في الكون يعيش في أعماق الشاعر، وتكون صورها حسب ما ترسمه ذات الشاعر. وعلى سبيل المثال ما نجده عند الرومانسيين فميلهم إلى الطبيعة مرحلة حضارية، وهي فكرة الثورة على القيود والتقاليد والظلم، فتناولوا من مناظرنا ما يتلاغم مع أحاسيسهم في حياتهم، فالطبيعة عندهم صورت

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي ص 112.

2 المرجع نفسه، ص 129.

3 المرجع نفسه، ص 129.

شكل رائع، وتفاصيل مشرقة، فكانت صلة وثيقة بنفسية الشاعر وشخصيته واهتمامهم بمظاهرها بلغ حد أنهم جعلوا عناصر عناوين لقصائدهم.

فالشابي ألف ما يقارب تسعة وعشرون قصيدة تضم عناصر الطبيعة منها: الظلام، أنشودة الرعد، أيها الليل، بقايا الخريف، مناجاة العصفور، قبضة من ضباب، تحت الغصون.... وغيرها حيث يتوافق ومشاعره فكيف صور الطبيعة؟ وكيف عالج مواضيعها؟ وهل صورها مجرد مظاهر أو امتزجت روحه بها؟ بمعنى آخر كيف تمثلت الأنا في الطبيعة؟

تتربع الطبيعة على رقعة شاسعة في شعر الشابي خاصة " أغاني الحياة " والقارئ له يجد الشاعر تغني بسحرها فيه، فالشابي لا يصور الطبيعة بنية اتخاذها مطية للتسلية والراحة، بل يصفها لأنه يقدها >> وينظر إليها نظرة عاطفية << 1 مثالية.<sup>1</sup>

رغم أن الشابي لم يخصص للبيعة قصائد كاملة أو مستقلة، ولم يسرف في تنويع مناظرها وتعداد مشاهدتها، إلا أنه وفق في وصفها وبرع فيه، ولم يعتمد على الوصف الخارجي، بل وصفها وصفا يأجج العاطفة وهذا يبين عمق تأمله وحدة شعوره.

والملاحظ لشعر الشابي يجد ظاهرة إغفاله لذكر أسماء الأماكن وتعيين حدودها المتميزة، وهذا ما لفت انتباه دارسي أدبه، والسبب يمكن أن يكون ميله، إلى التجريد والتخصيص في الوطن وهما خاصيتان تعدان من طباع الرومانسية. فالشابي يكسب الطبيعة في شعره وضعا عاما شاملا، إذ يرى الأشياء فيحاول أن يتخطى حدودها الحسية ليصل إلى المجرد أو إلى عالم المثال، حيث الانفعالات من دائرة الزمان والمكان، وهذه الخاصية تؤكد أنه لم يقتصر وصفه على التصوير الفوتوغرافي، بل كان يتناول موضوعه كمادة حسية نفسية، وما الرومانسية في الحقيقة سوى شعور بالضيق والقلق إزاء العالم وما تعجب به من أحداث، ذلك أن الشاعر صهر تأثراته في عمق معاناته، فتجلى شعره قطعة من روحه المتموجة بلون الأسى والآلام والحرمان.

## 1- الطبيعة المثقلة بالألم والكآبة:

### 1.1. مرارة الموت:

استخدم الشابي الطبيعة ليوصل أفكاره وأحاسيسه، ومزج بين مظاهر الطبيعة والأغراض الشعرية، واختلطت مشاعره نحو الطبيعة بمشاعر الوحدة والألم والكآبة والمرارة... وغيرها من الأحاسيس والخلاجات، ومن المواضيع البارزة في ديوانه نجد الموت بكل ما تحمله هذه الكلمة من مرارة وألم ووحدة.

1 خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، ط5، دار العربية للكتاب، ليبيا، 1984، ص 65.

حرم الموت الشاعر من أعز الناس على قلبه، الأب والحبيبة وهو في سن مبكرة إل أنه عاش، وقد لزمه الخوف الدائم من شبح الموت، بسبب مرضه، كل هذا أثر في نفسيته وانعكس في شعره، فغلب عليه الحزن والألم. قال الشابي: >> الخريف والموت صوتان متصاعدان من فيثارة العدم، الموت جرعة في أعماق كأس الحياة << 1

فالشابي يطلب الموت لا حبا فيه وإنما يطلبه للخلاص من حياته ومتاعبه وآلامه، تقول نازك الملائكة في ذلك: >> إن مظاهر عشق الشابي للموت تنتشر في شعره << 2 وهو يقبل على الموت ويتعلق به باعتباره راحة له من حياته ومتاعبها، وأصبحت حقيقة لا مفرّ منها فتحول بغضه للموت إلى حب وترحيب فيقول: 3

إلى الموت، فالموت روح جميل      يررف فوق تلك الغيوم

ويقول:

إلى الموت، فالموت حام روى      لمن اضمأته سموم الفلاة

ويقول:

إلى الموت، بالموت مهد وثير      تنام بأحضان الكائنات

ويقول:

إلى الموت، لا تخشى أعماقه      ففيه ضياء السماء الوديع

ويقول: 14

هو الموت طيف الخلود الجميل      ونصف الحياة الذي لا ينوح

هناك خلف الفضاء البعيد      يعيش المنون القوي الصبور

يضم القلوب إلى صدره      ليأسو ما ضمها من جروح

ويبعث فيها ربيع الحياة      ويهجهها بالصياح الفروح

فالشاعر هنا أخذ يعدُّ لاستقبال الموت، فجعل منه حياة وعلى أنه روح جميل ومهد وفير وطيف الخلود الجميل، ونصف الحياة الصبوح وربيع الحياة، وذلك ليخفف عن نفسه مرارة كأسه وهول مفاجآته. فالملاحظ أن الألم له تأثير كبير على إبداع الفرد، إذ أنه يمكن إلى حد ما أن يكون مصدرا للمعرفة الروحية. وقد عبّر الشابي عن آلامه وفاجعته (كما تناولنا سابقا) في فقدان والده في قصيدة " يا موت " حيث قال: 1

يا موت قد مزقت صدري      وقسمت بالأرزاء ظهري

وفجعتني فيمن أحب      ومن إليه أبث سري

1 أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، ج2، ص13.

2 نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، ط14، 2007، ص 41.

3 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 55-56.

4 المرجع نفسه، ص 56.

وأعدّه غابي ومحرا  
يا موت ماذا تبتغي مني؟  
بي وأغنيتي ونحري  
وقد سودت بالأحزان فكري

فالموت كما قال الشابي حطم ظهره وسلبه فجره الجميل وغابه ومحرابه فهذه الأحاسيس والمشاعر تمثلها في الطبيعة بالفجر والغابي، فالشاعر يخرج إلى الطبيعة فهي رسم عبقرى فيها الغموض والسحر فيبث آلامه ومعاناته، ويسبغها بشعوره لتعطينا صورة شعرية امتزج فيها الألم بالجمال.  
وهناك في حياتي تجربة قاسية، قل إن يمرُّ بها إنسان دون أن تجعله شاعرا وهي فتاة أحبها لكنّها ماتت، وهي برعم لم يتفتح وأثرت هذه الفاجعة عليه كثيرا فتعجرت في حناياه بواعث العذاب وانطواء قلبه على أسمى لا رجعت فيه، فخيم في فكره الموت وما يصاحب هذا المعنى من وحشة وظلام وفراغ، فانشد قصيدة يفرق فيها بين أمسه ويومه فيقول: <sup>1</sup> 2

بالأمس قد كانت حيا  
واليوم قد أمست كأعد  
تي كالسما الباسمة  
سماق الكهوف الواجمة  
ثم اختفت خلف السما  
ء وراء هاتيك الغيوم  
حيث العذارى الخالد  
ات يمس ما بين النجوم  
نحو السماء وها أنا في  
الأرض تمثال الشجون

فقصيدة " ماتم الحب " تصور لنا تجربة عاطفية عميقة انتهت بالفشل بسبب الموت الشاعر طعنة قوية مزقت وجدانه وأدمت قلبه حزنا على فراق محبوبته والتي مطلعها: <sup>3</sup>

في الدياجي  
كم أناجي  
مسمع القبر بغص  
ثم أصغي علني  
سات نحبي وشجوني  
أسمع ترديد أنيني  
فأرى صوتي فريد

إلى أن يقول:

ذلّ قلبي  
مات حبي  
فاذرفي يا مقلة  
حول حبي، فهو قد  
الليل الدراري عبرات  
د ودع آفاق الحياة  
بعد أن ذاق اللهب  
واندبيه

1 ديوان أبي القاسم الشابي، ص 68.

2 أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 69.

3 ديوان أبي القاسم الشابي، ص 77،78.

واغسلية

بدموع الفجر من  
وأدفيه بجلال  
أكواب زهر الزنبق  
في ضفاف الشفق

ليرى روح الحبيب

فحزنه تقاسمه مع الطبيعة وخاصة مع الليل، لأنَّ المتنفس الوحيد لآلامه في هذا الوجود والطبيعة تعتبر الوعاء الكبير التي تصب فيه كل المشاعر والخواطر فيقول: >> أحببت من قبل وليس لي أن أحب من بعد لأنَّ الحب واحد كجوهر الحياة خالد لن يستحيل وفتح قلبي الحب ثم أوصده الموت، وما أوصده الموت لا تستطيع فتحه الحياة << 1 1<sup>1</sup>

فهذان الحدثن الأليمان (موت الوالد والحبيبة) أثر على نفسيته وحياته وهذا ما نحسه من قراءتنا لديوانه فهو مليء بالأسى والحزن وولد في قلبه رهبة الموت فقال: 2

ما للمنية لا تر  
سيان أفئدة تئـ  
ق على الحياة النائحة  
ن أو القلوب الصادحة  
يا شعر هل خلق المنو  
ن بلا شعور كالجمال  
لا رعشة تعرف يد  
يه إذا تملقه الفؤاد

ومفردات الموت حاضرة حضورا قوي في شعر الشبابي في كل مراحل حياته الإبداعية بشكل يلفت الانتباه مثل: الموت، المنون، الردى، القبر، الرمس، الأجداث ... وغيرها من المفردات التي تحيل الذهن إلى الموت مثل: الخراب، الهدم، الجحيم، المأتم... وهذا الحضور الذهني للموت يعبر عن وعي الشبابي الدائم بالموت فينقل مع تجربته الذاتية التجربة الإنسانية و الانفعالية، و هذه التجربة يستمدتها من لحظة الانفعال الراهنة و الرؤية الشعرية التي تخامر وجدانه، تتزاحم في ذهنه أسئلة الحياة و الموت و البداية و الانتهاء، مستندا في تلك التجربة إلى لحظة الانفعال التي تتنابه، فحين يستبد به الحزن و التمزق و الضياع و الاغتراب، يحضر الموت و تغيب مسرّات الحياة فيقول: 3

أرى هيكل الأيام، يعلو نشيدا  
ولا بد أن يأتي على أسه الهدم  
فيصبح ما قد شيده الله والورى  
خرابا، كأن الكل في أمسه الوهم  
فقل لي: " ما جدوى الحياة وكرها  
وتلك التي تدوي، وتلك التي تنمو

إن ذات الشاعر تقف وحيدة في مواجهة المصير الفاجع، والمآل الحتمي، فيضخم التمزق والضياع بالخراب الذي هو موت في النهاية. فتصبح الحياة التي مآلها الموت عبثا لأنَّ الموت لم يكن قتلا يتم في لحظة قصيرة ولكنه موت نفسي وروحي ووجودي رغم أنَّها لحظة شعرية، تقاوم فيها الذات الموت بالشعر.

1 أبو القاسم الشبابي، الأعمال الكاملة، ج2، ص 41.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشبابي، ص 18، 19.

3 المرجع نفسه، ص 139.

قال الشابي يتحدث إلى الشعر: 1

فيك ما في عوالمي من ظلام سرمدي ومن صباح وليد  
فالموت يهيمن في شعر الشابي، فيحدد به من خلال الألفاظ التي تتسجم دلالتها مع حالته النفسية وما  
يخالجه من مشاعر وانفعالات فتضغط دلالتها على كيانه، فيتعمق إحساسه بالمأساة فيرسم الموت كابوسا  
مرعبا، يعصف بالحلم للحياة، فتتهياً ذات الشاعر للامتناع عن الاتصال بالحياة خارج (صوت المنون) و  
(صدى الأجداث) فيقول: 2

إن من أصغي إلى صوت المنون

وصدى الأجداث

ليس تستهويه ألحان الطيور

بين أزهار الربيع الساحرة

وابتسامات الحياة السافرة

يستشرف الشابي في الأبيات السابقة زمنا وجوديا، يؤسس الموت الذي يعبث بالحن الجميل الذي يحدث  
الانسجام في الذات وفي الفضاء الذي حول الذات: 3<sup>1</sup>

كف عن تلك الأغاني الباسمة

أيها العصفور!

فحياتي ألفت لحن الأسي من زمان قد تقضى وعسى

وتتفتح نصوص ديوان (أغاني الحياة) على عوالم من الإبداع الشعري في الموت، يرافقها وعي وجودي بالزمن  
المقصى إلى الموت باعتباره لحظة تقضي إلى الانتهاء، فرغبة الشابي في الحياة ينغصها عليه صور  
(الأجداث) و (المنون) إذ يمنحنا الذات شعورا مؤلما بتراجيدية الموت ويظل مقبلا على الحياة وهذا الإقبال  
غريزة.

يقول الشابي: 4

إن ابن آدم في قرارة نفسه عبد الحياة الصادق الإيمان

وهذه الرغبة في البقاء تضرر رغبة في الخوف من الموت وهذا يحرضه على إشباع معجمه الشعري بأكثر  
الألفاظ، دلالة على الموت، فالشابي وفي قصيدة (يا موت) تقبع دلالات أخرى، أهمها أن الموت مازال  
يمارس حضوره في فكر الشابي، وفي وعيه الباطني، والحديث المباشر إلى الموت يتم على أن الموت حاجة  
وجودية ومأساوية وجودية في آن واحد لأن ذات الشاعر تواجه تلك المأساة بمفردها فيقول: 1

يا موت! ماذا تبتغي مني وقد مرقت صدري

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 64.

2 المرجع نفسه، ص 46.

3 المرجع نفسه، ص 45.

4 المرجع نفسه، ص 157.

ماذا تود، وأنت قد  
وتركتني في الكائنات  
وأجوب صحراء الحياة  
ماذا تود من المعذب  
سودت بالأحزان فكري  
أئن منفردا بإصري  
أقول أين تراه قبيري!  
في الوجود بغير وزر

وإذا كان لا مفر من الموت، فلا مفر من عدم الخوف من الموت على الشباب وعلى الربيع بكل دلالتهما  
فيقول: 2<sup>1</sup>

والشباب الحبيب شيخوخة تسعى إلى الموت في طريق كؤود  
والربيع الجميل في هاته الدنيا خريف يزوي رفيق الورود

وعلى هذه الرؤية التي يستوي فيها، الموت، الشباب، الشيخوخة والربيع بالخريف يصبح الموت يقينا مطلقا،  
فيتقاطع ذلك مع نفس الشابي القانطة التي أعيها التفكير في المآل والبداية والنهاية فيقول: 3

قضيت أدوار الحياة مفكرا في الكائنات معذبا مهموما  
فوجدت أعراس الوجود مأتما ووجدت فردوس الزمان جحيما

فالشابي يفقد الإحساس بالحياة في لحظة انفعالية ضاغطة. (والموت يعني غياب الإحساس) وأصبح الحلم  
بالقضاء على الكون إحتفاء بوعيه الدائم بالموت وانتشاء بلحظة الغياب فيقول: 4

لو كان هذا الكون في قبضتي ألقيته في النار نار الجحيم  
ما هذه الدنيا وهذا الورى وذلك الأفق وتلك النجوم؟  
النار أولى بعيد الأسى ومسرح الموت وعش الهموم

وانتهى هذا الحضور القوي للموت في ذهن الشابي إلى << تمزق ما ورائي وجودي >> 5  
وموت أبيه كان صدمة صاعقة زعزعت كيانه وبنهته إلى فاجعة المآل والمصير.

ف رأى الشابي فعل الموت في أبيه، فهذه الصورة ترسم ملامح الفاجعة وهي لحظة شعرية قال الشابي في  
قصيدته يا شعر: 1<sup>2</sup>

1 المرجع السابق، ص 86، 87.

2 المرجع السابق، ص 65.

3 المرجع نفسه، ص 129.

4 المرجع نفسه، ص 120.

5 عبد السلام المسدي، قرارات، الشركة التونسية للتوزيع 1981، ص 51.

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 19.

2 المرجع نفسه، ص 175.

3 المرجع نفسه، ص 174.

4 المرجع نفسه، ص 35.

5 المرجع نفسه، ص 65.

6 المرجع نفسه، ص 55، 56.

أريت شحور الفلا      مترنما بين الغصون  
جمد النشيد بصره      لما رأى طيف المنون  
أرأيت أم طفل تبكي      ذلك الطفل الوحيد  
لما تناوله، بعنف سأ      عد الموت الشديد

لم يكن الشابي متأهبا للانفتاح، لأنه كان مازال يعلم بنضارة الحياة، فالموت عنده يعني الغياب الأبدي عن الحياة، والموت قهر للحضور والحركة والإكتحال بجمال الغاب، فضاء شعريا يتحرر فيه قيود المجتمع، فتلبسه الانكسار وأذعن لجبروت الموت، زمن لحظة الانكسار، وانتهى الإقرار بالتحتمية، فترجى الموت لأن النفس تشبعت بالقلق والضياع والاعتراب. فقال: 2

جف سحر الحياة يا قلبي الباكي      فهيا نجرب الموت هيا

وهكذا استمر سؤال البداية والنهاية واستمر معه الإحساس بالاعتراب فقال: 3

نحن نمشي، وحوالنا هاته الأكو      ن تمشي... لكن لأنه غاية  
نحن نشدو ومع العصافير للشمس      وهذا الربيع ينفخ نايه  
نحن نتلو رواية الكون للموت      ولكن ماذا ختام الرواية  
هكذا قلت للريح فقالت:      سل ضمير الوجود: كيف البداية

فاستحضر الموت، ذهني من خلال سؤال البداية والنهاية إقرار بتحتمية المصير ولكن الشابي رفض أن يعيش في " دنيا ميتة " قبل المصير المرتقب بالموت فيقول: 4

ويعيش في كون عقيم، ميت      قد شيدته غباوة الأحقاب

ولهذا بدأ يضمحل الإحساس بالوجود في الحياة، وتملكه الشعور القوي بالاعتراب، فالحياة أصبحت اغترابا فقد الشابي فيها إحساسه بالوجود، فأصبح الموت حياة أخرى فيقول: 5

والحياة التي تخرُّ لها الأحلام      موت مثقلا بالقيود

ويقول: 6

إلى الموت! يابن الحياة التعيس      ففي الموت صوت الحياة الرخيم  
إلى الموت؟ إن عذبتك الدهور      ففي الموت قلب الدهور الرحيم  
إلى الموت! فالموت روح جميل      يرفرف من فوق تلك الغيوم  
ففي عالم الموت تنمو الحياة      رداء الأسى، وقناع الظلام

إن اموت في الأبيات السابقة لم تكن انتهاء للحياة ولا انتهاء وجوديا لأن الذات انتصرت على الحقوق من الموت، وانتصرت على الفناء والخلود

ينتهي عطر الحياة بالموت، وتتحرر الذات من سجنها، وتعود إلى أصلها العلوي، حرة غير سجيئة وتلك كانت أمينة الشابي. 1<sup>1</sup>

1 المرجع السابق، ص 113.

ليتني لم أزل كما كانت ضوءاً شائعا في الوجود غير سجين

ويحتفي الشابي بالانتهاء من الحياة إلى الموت ويؤسس هذا الاحتفاء لارتقاء الذات وخلصها من الأرضية بكل دلالتها، وانشاء الروح بعودتها إلى برجها العاجي.

إذ يقول الشابي في قصيدة (نشيد الجبار) أو (هكذا غنى بروميثيوس) 2

أما إذا خمدت حياتي وانقضى عمري وأخرست المنية نائي  
 وخبا لهيب الكون في قلبي الذي قد عاش مثل الشعلة الحمراء  
 فأنا السعيد بأنني متحول عن عالم الآثام والبغضاء  
 لأذوب في فجر الجمال السرمدي وأرتوي من منهل الأضواء

إن استدعاء الشابي للرمز الأسطوري (بروميثيوس) رمزا شامخا بعودة الحياة بعد الموت، وهذا التحول من الحياة إلى الموت والعكس، رافقه وعي بهذا التحول من عالم الآثام والبغضاء إلى عالم ينعم فيه بالسعادة لقد كان يرى في الموت ذوبانا في فجر الجمال السرمدي وهو في ذلك شبه الشاعر الإيطالي ليوباردي الذي كان يقول: >> شيئا جميلا في هذه الدنيا الحب والموت، الموت يلغي آلام الإنسان في الحياة إنه يحب الموت ويهتف به << 3

فالموت هو الخلاص الوحيد من شقاء الحياة فهو بمثابة رصاصة الرحمة وسط هذا الشعور المثقل بالنواح والألم وحتى في تصويره لمماته لم ينس أن يودع الطبيعة التي كانت معه في كل لحظاته التعيسة ورافقه في مختلف أحاسيسه فيقول: 4

الوداع! الوداع يا جبال الهموم  
 يا ضباب الأسي يا فجاج الجحيم  
 قد جرى زورقي في الخضم العظيم  
 ونشرت القلاع فالوداع! الوداع

فهو يرسم صورة لهمومه وكأنها الجبال، وشبه الأسي بالضباب وفجاج الجحيم فيركب زورقه ويخوض به البحر العظيم وينشر قلاعه ملوحا بيده الوداع الوداع.

إن كثافة حضور الموت في شعر الشابي عنوان على كثافة حضور الاغتراب والحزن والكآبة في نفس الشابي والحزن عنده لا فقد مال أو جاه أو منصب بل الحزن الحقيقي الذي أدماه هو أنه لم يستطيع تأدية رسالته، تلك الرسالة التي عاش لها، ومات وهو ينادي بها، إنها الدعوة للحياة حياة الروح والعقل حيث يقول لصديقه الحلبي:

2 المرجع السابق، ص 12.

3 خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، ص 92.

4 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 152.

>> إنّه لا يحزنني شيء في هذه الدنيا أكثر مما يحزنني التفكير في أنني أموت قبل أن أؤدي رسالة الدنيا التي أحس أنني لم أخلق لغيرها في هذا العالم<< 1<sup>1</sup>

1.2. الكآبة المجهولة:

الشابي أكثر الشعراء كآبة وغرابة من بين الشعراء، بسبب ما عاناه من مصائب كثيرة في حياته ما ولد عنده إحساس بالغربة وشعور عميق بالكآبة، ولقد سبق ذكر هاته العوامل التي أدخلته في كآبة لا خروج منها وغير قابلة للزوال، وصفة المجهولة لأنها كثيرة ومتلونة. بمختلف ألوان الحزن والكآبة.

و كآبة الشاعر ممزوجة بمظاهر الطبيعة مثل الليل و الخريف و المساء و الغروب و الرّماذ و غيرها من المظاهر، و لهذا فالشابي يتخذها وسيلة للتغيير عما في نفسه، فتراها خلال آلامه و أحزانه فإذا غلب عليه الهم فأبرز المظاهر في شعره الشاحبة الحزينة على نحو: الكهوف الواجمة، ظلمة الليل، أعاصير الخريف، الشتاء العابس، و نلاحظ أنّ للكآبة مرادفات أخرى في شعر الشابي مثل: الغربة، الألم، التوجع، السجن، التيه، فشعره يزخر بقاموس متكامل عن الكآبة، ففي قصيدة (النبي المجهول) نراه التجأ إلى الطبيعة و الغاب، الحل الذي يجد فيه سلوته بعد الصراعات التي عاشها:

فيقول: 2

أيها الشعب ليتني كنت خطابا فأهوى على الجذوع بفأسي

تحولات نفسية ابتدأت بالصراخ بالثورة ضد الظلم في الخطاب حاد وساخر لشعبه فيقول: 3

ليت لي قوة العواطف يا شعبي فألقي إليك ثورة نفسي

أنت روح غنية تكره النور وتفضي الدهور في الليل ملس

أنت لا تدرك الحقائق إن طافت حواليك دون مس وجيس

فازدادت نبرة الأسي عنده وعاش في صراع أليم، حتى نراه أنه يتحدى الجميع، ويحكم مشحونا بالثقة الغامرة، أن الدنيا بكل ما فيها لا تستحق أن يهتم بها الإنسان، وأنه لو تولى شيئاً من شؤونها لما آبه بها، ولألقي بها في غياهب الموت فيقول: 4

لو كانت الأيام في قبضتي أذريتها للريح مثل الرمال

وقلت: >> يا ريح، بها فاذهبي وبدديها في سحيق الجبال

بل في فجاج الموت... في عالم لا يرقص النور به والظلال...

لو كان هذا الكون في قبضتي ألقيته في النار، نار الجحيم

النار أولى بعيد الأسي ومسرح الموت وعش الهموم

1 د. محمد نبيل طريفي، أبي القاسم الشابي ورسائله، ضبط، د، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2002 ص 240.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 93.

3 المرجع نفسه، ص 94.

4 المرجع نفسه، ص 119.

كما نجد للشاعر قصيدة يستصرخ بها أمته، ويحث على المواجهة والمقاومة رغم كل المصائب فيقول: <sup>1</sup>

تسائلني"مالي سكت ولم أهب  
وسيل الرزايا جارف متدفع  
سكت وقد كانت قناتي غضة  
وقلت وفد أصغت إلى الريح مرة  
وقلت وقد جاش القريض بخاطري  
أرى المجد معصوب الجبين مجدلاً  
سيثأر للعز المحطم تاجه  
رجال إذا جاش الردى فهم هم

أما في قصيدة نشيد الأسي نرى أن عنوانها يكشف عن طبيعتها التي أرادها الشبابي فجعل للأسي نشيد، أو أنه جعل للأسي صوتاً مروباً مسموعاً، والنشيد في كلام العرب هو رفع الصوت، وربما التغني به، أراد أن يتصالح مع الدنيا، ويعطي عهداً للسلام والوئام، وربما كان هروباً من حزنه وألمه، لكنه يتساءل بكل أسي عن ليل نفسه، متى ينفلق الصباح عنه لأنه يحس بعواصف تهب عليه وسماها بالظلام، أراد أن يغني أغنية الحياة، فتراه يكثر من الاستثناءات العجيبة و الاستدراكات ليشدد على سوء حظه في هذه الدنيا و تكالب الأقدار عليه فيقول: <sup>2</sup>

ما للرياح تهب في الد  
إلا رياحي فهي جا  
نيا ويدركها اللغوب  
محة تمردها عصيب؟

تساءل بكل حرقه عن ذلك التمايز العجيب في هذه الرياح، التي قدرها عند الآخرين أن تتعب فتقف ولو قليلاً، أما رياحه فلها قدرة خارقة، تمتاز بالجموح والتمرد العصيب، لا يمسه تعب أو لغوب (ضعف). ثم يتساءل عن سبب تعاسته في هذه الدنيا فهو يرى قلبه نقي أنقى من الموج المضيء وألطف من أغاريد الطيور وانتهى إلى أنه تجنب الإثم الأكبر، الذي هو إثم الحياة، فما لنفسه النقية ينالها عذاب الألم...؟! تجد كل هذه المقدمة التي عبر فيها عن موقف القدر منه، وعن الحياة وما تحكيه ضده، انطلق إل عالمه الآخر هارباً حالماً مومماً ليطفئها ويبدل أحزانه بشيء آخر، فأضحى ينادي الغابة بقوله: <sup>3</sup>

يا مهجة الغاب الجميل  
يا وجنة الورد الأنيق  
يا جدول الوادي الطروب  
يا غيمة الأفق الخصب  
ألم يصدعك النحيب؟  
ألم تشوهك الندوب؟  
ألم يرزقك القطوب؟  
ألم تمزقك الخطوب؟

وهذا النداء يحمل أسئلة يحاول أن يقارن من خلالها بينه وبين الغابة! وكيف استطاعت تلك الغابة أن تصمد في وجه الخطوب، وأن تجابه الأخطار! حتى باتت ملجأ لكل حزين مكتئب باك.

1 المرجع السابق، ص 135.

2 المرجع السابق، ص 22.

3 المرجع السابق، ص 23.

ثم نجده ينادي الشفق، وهو يعني الصباح، وربما قصد به التغيير في الحياة، مرحلة جديدة في الكون فينادي ويقول: 1

يا كوكب الشفق الضحوك	وأنت مبتهل الكئيب
لح في السماء! وعن أب	ناء الشقاوة والخطوب
أنشودة تهب العزا	ء لكل مبتئس غريب
فالطير قد أغفت وأسد	كت صوتها الليل الهيوب
وابسط جناحك في الوجو	د فإنّه عذب خلوب
وانشر ضياءك ساطعا	لينير أعماق القلوب
فعلى جوانبها من الأ	حزان ديجور رهيب

هكذا أراد من ندائه، تمنى رؤية التغيير الذي عبر عنه بـ (كوكب الشفق) أو بـ (الصباح) فإنّه يفرق الظلمة ويطرد الدياجير المدلهمة، هو لا يقصد الصباح بذاته ولا الظلام لذاته، لكنّها صور الطبيعة التي تزخر بها قريحته، بقصد البحث عن الأمل والتجدد وأمنية الخلاص من الواقع الكئيب...!

انطلق حالما متفكرا في الطبيعة وعالمها البديع الجميل وبعد ذلك الأمل وتلك النداءات، عاد من جديد ليعقد مقارنة بينه وبين الطبيعة، كيف أنّها تعود جميلة أنيقة نقية، وهو يبتلى بالنقص والحزن والتعاسة؟! ويختتم قصيدته بأنّه لن يداخل سرور حتى وإن تضاحكت الحياة بأسرها، ترى ما السبب في ذلك...؟

فيقول: 2<sup>1</sup>

أصغي لأوجاع الكآ	بة لا تجيب
في مهجتي تتأوه البـ	وى، ويعتلج النحيب
ويضح جبار الأسى	وتجيش أمواج الكروب
إنني أنا الروح الذي	سيظل في الدنيا غريب
ويعيش مضطلعا بأحد	زان الشبيبة والمشيب

فسبب حزنه هو تلك الروح الكبيرة التي يحملها، تلك النفس الأبية المسؤولة التي تجعلها ينظر دوما إلى مواطن الأحزان، يتمنى لو انقلبت الشرور خيرا والحزن فرحا، فهو كئيب ومما يزيد ذلك كآبة أنّه يتمنى لو بادلته الكآبة اهتمامه. فالشابي يظهر بمظهر الرجل الكبير، الذي يعني بأحزان مجتمعه، فهو يضطلع بأحزان الشبيبة والمشيب.

كانت كآبة وأحزان الشابي تزيده في أواخر عمره قوة وإصرار على مواجهة الحياة وعلى كسر ذلك الحاجز المهيب، وبما أنّه رجل مسؤول يحمل همّ أمته، ويتأثر بحساسية بالغة بالسيطرة الأجنبية التي تقهره وتقهر شعبه، فقد نذر نفسه داعية عزّ ومناادي صحوة، بحث عن موضع القوة في بلاده، فوجد أنّ الشعب بذاته هو

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص23.

2 المرجع نفسه، ص25،24.

القوة التي لن يقف أمامها شيء فأضحى مهيجا للمشاعر، لكنّه يصطدم بتلك القوة المحتملة تقف مكتوفة الأيدي فيصاب بخيبة أمل كبيرة ويتحول عن حاله تلك ليهرب إلى الغاب وينزوي في أحضانها، كانت تلك قصيدة <<النبي المجول>>.

فاستعار الشابي شخصية (النبي) وفي هذه الاشعاره دلالات نكيّة منها أنّ النبي صاحب رسالة سامية ففي مطلع قصيدته أثر استجلاب صور الغابة، وأعمالها ومظاهرها، والأخذ من مظاهرها الطبيعية كالسيول والرياح والشتاء والعواصف والأعاصير... ليوظفها في قصيدته، وغايتة من هذه الإشعارات أن ستثير المشاعر لكنّه يعلم مسبقا فشل ذلك، ومما يدل على ذلك أنه بعد المقدمة سخر من الشعب وراح يعلو في تصويره بالتجادل والضعف والغباء فيقول: 1<sup>1</sup>

ليت لي قوة الأعاصير إن ضجت فأدعوك للحياة بنبسي!

أنت لا تدرك الحقائق إن طاقت حوالياك دون مس وجيس

وقد أمعن في السخرية والشتم لهذا الشعب وهذ في الحقيقة يخالف ادعائه بأنه صاحب رسالة نورانية ظاهرة خصوصا أنّ اذاعه يقابله احترام كبير لأصحابه الذين وافقوا رأيه وسلكوا سبيله فهذا التناقض في تعامله مع أتباعه ومع العامة والشعب هو مما يميز شخصيته ويلمح إلى شيء من طبيعتها العجيبة، بعدها تحول ليحكي جهوده التي بذلها في سبيل ايقاظ ذلك الشعب الهزيل الميت لكنّه كلما قدم حلا رفضوه، أو ارتأى رأيا أنكروه وسخروا منه...!

فقد كان يدافع عن شعبه، ويطالبه بالتححرر، ليس من الاستعمار وحسب، بل من أغلال أخرى وهي أشد خطورة وألم لنفس اشاعر لأنها أغلال معنوية بعيدة الأثر في حياة الأمم، ألا وهي أغلال الجهل والفقر والتقاليد البالية والمعتقدات الرجعية، ومن تمّ يقول:

كم ألبستني من الحزن ثوبا وبشوك الجبال توجت رأسي

وهنا يعلل بكل صراحة سبب حزنه وعدائه، إنه من ذلك الشعب الذي لا يعي كثيرا ذاك الذي ارتض المهانة على العزة والخوف على الاقدام.

ولشدة حساسيته، فقد قرر الرحيل إلى أكناف الغاب، فهو سيعيش مع الطبيعة لينسى ذلك البؤس، وينسى ذلك الشعب المتخاذل، وسينتظر أجله تحت شجرة صنوبر فهو يلجأ إليها ليستشعر السلام الروحي بعد المعاناة الشديدة وثم عاد ليصرخ في وجه شعبه ليذكرهم بقوتهم، عاد ونفسه مليئة بهموم كثيرة لعدم استجابتهم له واتهامهم له بالسحر ويطالب بإبعاده.

فانتقل إلى الغاب ليطمئن هناك، ليهرب إلى أشجار الصنوبر والزيتون ليحيا مع الطير والربيع.... ولمكث زمنا يتساءل عن سر الحياة وهو مطمئن ليكتشف سرها ويعلم حقيقتها وكأنه يشير إلى أنّ حقيقة الحياة كامنة

1 المرجع السابق، ص 94.

في قلب الغاب والطبيعة؟ وفي هذا الهروب إلى الخارج لا يتناسب وعمل النبي الذي يصبر ولا يستسلم بل يصمد فيقول: 1

إنني ذاهب إلى الغاب يا شعبي  
 إنني ذاهب إلى الغاب عليّ  
 ثم أنساك ما استطعت فما أنت  
 سوف أتلو على الطيور أناشيدي  
 فهي تدري معنى الحياة، وتدري  
 ثم أقضي هناك، في ظلمة الليل  
 كم تحت الصنوبر، الناظر، الحلو  
 لأقضي الحياة وحدي بيأس  
 في صميم الغابات أدفن بؤسي  
 بأهل لخمرتي ولكأسي  
 وأقضي لها بأشواق نفسي  
 أن مجد النفوس يقظة حس  
 وألقي إلى الوجود ببأسي  
 تخط السيول حفرة رمسي

فقد أثر القلب العليل على حياته بالسلب فصور معاني الفناء والموت والظلام ونظر إلى الطبيعة من خلال عالمه الداخلي ذلك العالم الذي كان يموج بالألم والأسى والحرمان فاستعار من الطبيعة المتغلغلة في روجه مظاهرها وألوانها ليعبر بها عن كآبته وعزيبته في هذا العالم ويتساءل أي نوع هذه الكآبة التي تجتاحه، فهو محتار.

فلجأ إلى الطبيعة وطرحها كآبة عله يجد فيها متنفس لا لألمه فقارن بين كآبته وكآبة الكهف فقال: " أنا والكهف كئيبان "

" أنا كئيب لأن في نفسي تتردد لوعات الليالي والأيام وعضات أبناء الحياة الشقية " 2

فالكهف كئيب لأن صورته هكذا أما هو كآبته نتيجة لحاله وحال أبناء شعبه ويواصل مخاطبة الكهف فيقول: 3

أيها الكهف الكئيب إننا وحيدان بأحزاننا وأحلامنا في هذا الوجود

أنت وحيد بأحلامك وأمالك وأنا وحيد بأحزاني وآلامي

أنت وحيد في هذه الأودية وأنا وحيد في هذه الحياة

هذه الكآبة خلقت وراءها شعور بالغرابة والوحدة فشبه حاله بحالة الكهف الوحيد في الأودية وهو بمفرده في هذه الحياة يقاسي الأحزان والآلام.

كما نجد الليل من مظاهر الطبيعة البارزة في شعر الشابي فتقاسم معه أحزانه وشحونه فتلون ليله بمشاعره وأحاسيسهن واختيار الليل لم يأتي عبثاً لأن الليل يتصف بالحزن والكآبة والخوف والوحشة والشاعر لا يعرف لحياته نهار فهي سوداء قاتمة، إنه ليل طويل لا يأتي عليه الصباح.

1 أحمد حسن بسج، ديوان أب القاسم الشابي، ص 94

2 أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، ج2، ص 60.

3 المصدر نفسه، ص 22.

فألبس الشاعر الليل لباس الحزن والكآبة والسكون نتيجة مشاعره السوداوية التي سيطرت عليه ويصفه بقوله: 1<sup>1</sup>

>> أيها الليل يا شبخ الغد يا لحن الهدوء الأخرس يا صدى الصمت الحائر بين شفتي الحياة المتكلمة، أنت هامد ولكنك حي شعورك المظلم على مناكب الفضاء <<.

وفي قوله: 2

أيها الليل يا أبا البؤس والهـو  
فـيك تجثو عرائس الأمل العذ  
ل يا هيكل الحياة الرهيب  
ب تصلي بصوته المحبوب  
فيثير النشيد ذكرى حياة  
حجبتها غيوم دهر كئيب

فالأنا الحاملة هي ربيبة الليل حيث تعيش الأحلام فتري الشابي استعمل الليل في شعره بكثرة خاصة (في سكون الليل وأيها الليل) فأناه الحاملة جمعت بين الفلسفة والخيال، والأنا الحاملة والفلسفة هما جناحا الخيال وموطن الخيال هو الحلم فنجد الشابي عنده (أحلام شاعر) وكنموذج آخر من القصائد التي تظهر فيها كآبته قصيدة " نشيد الجبار " أو هكذا غنى بروميثيوس التي مطلعها: 3

سأعش رغم الداء والأعداء  
كالنسر فوق القمة السماء

مع أنه كان في هذه القصيدة يصارع من أجل الحياة، إلا أنها تضج بكثير من الأسى والحزن وتضطرم فيها الصراعات الحقيقية والوهمية، تنوع في المفردات وتبادل في المعاني وتجاذب للطبيعة واستعارة لكثير من معانيها وعوض في أسرارها!

فاستعار اسم الجبار، وفي هذا دليل إصرار عجيب على الغلبة والوقوف ضد طوفان الحياة الهائج!

كما أنه استعارة شخصية " بروميثيوس " وإله في الأساطير اليونانية القديمة، دافع عن الإنسان، فعاقبته

الآلهة الأخرى، عقابا شديدا، لكنه كان صلبا لم يتزحزح وظل متحديا برغم كل ما يواجهه...!

واختياره لهذه الشخصية لأنها ترمز إلى الصمود والتحدي والثورة رغم الألم الذي ينوء به، وكأنه يشير إلى حالته الشخصية.

فهذه القصيدة تشكل مرحلة جديدة في نظرة الشابي إلى الحياة إذ كان يرى سابقا بؤسها، ومواطن البلاء، فكان يرجو الموت ويأمله، لكنه هنا خلع ذاته العتيقة ولبس الإنسان الجديد واعتنق إرادة قوية التي بلغت مداها ووصف الشابي بأنه: >> كان سجين الموت الروحي والعبودية العمياء، فأصبح الآن حرا يذوب في روح الكون الخلاقة <<.

إن القصيدة لا تزال في طور الكآبة، لكنها كآبة إيجابية تتحول إلى أداة فاعلة إلى محرك دافع للقوة مخز للعمل والتفاعل مع تلك الحياة ولم يعد ذلك الإنسان المنفلق على ذاته، المعلق في خيالاته في أوساط الغابة. فيقول:

1 المصدر السابق، ص 93.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 29.

3 المرجع نفسه، ص 11.

أما إذا خمدت حياتي وانقضى عمري وأخسرت المنية نائي  
فأنا السعيد بأنني متحول عن عالم الأثام والبغضاء  
ولأنوب في فجر الجمال السرمدى وأرتوى من منهل الأضواء

وهنا يدعو إلى مواجهة القدر، بكل ثبات وصمود وسوف يقف أمامه شامخا ويكون منتصرا إذا هزم هذا الصراع وسينتهي إلى الحياة التي يريدتها حقيقة ولهذا فهو قد أعاد التفكير في طريقة تعامله مع الحياة والقدر فوجد أن غايته التي تنتهي في الجمال السرمدى والخلود الأبدى في أكتاف الخيال البديع، له طرق عديدة. وقد أختتم قصيدته، بإعلان التحدي مرة أخرى... ووجه حديثه لأولئك الذين أرادوا هدمه وتمنوا انتهاءه بأنه لن يمضي إلا منتصرا عليهم، متغلبا على مكائدهم ويشبههم بالأطفال وجعل نفسه أرفع منزلة حيث يطال السماء وقد قدم لنا صورة بديعة حين قال: 1<sup>1</sup>

فارموا على ضلّي الحجارة واخفقوا خوف الرياح الهوج والأنواء  
فإنهم في نظره لن يبلغوا إن استطاعوا أكثر من ظلة، ليمكروا فيه ويعتدوا عليه، ويصيبهم بالهرب السريع،  
لئلا يصابوا شيء من الرياح أو الأنواء وتحذيره هذا معاني كثيرة، إما من إيمانهم بالشعوذة والأساطير، أو أنه يضع نفسه كالريح الهوجاء، والأنواء التي هي كناية عن الدنيا، وما تبعته من مصائب ومكائد، فهم ليسوا بشيء بالنسبة إليه، وبتهي قصيدته ببيت يعطينا دلالة على نهجه وظهور نظرة حادثة في حياته:  
من جاش بالوحي المقدس قلبه لم يحتفل بحجارة الفلتاء  
فإذا يكون ذلك الوحي المقدس؟ فهو على حد قول جون طنوس >> أنه ذلك الاكتئاب لمنابع القوة التي أنقذته من جاذبية الصفائر ورفعته إلى السماء القدرة والجبروت، حيث جاذبية الخلق والتحدي.  
نختم ما سبق بقول للشابي هو في الحقيقة رسالة بعثها لصديقه الحليوي يبيّن فيها سبب شقائه وتعاسته وسبب كآبته المجهولة فيقول: >> فإنّ قلبي هو منبع أرمي في هذا العالم ومن يدري؟ لعلّه سيكون منبعاً لمثل هذه الآلام في عالم آخر... إنّ قلبي يا صديقي هو مصدر آلام هذه النفس التائهة المعذبة وهذا الجسد ومادامت هذه الحياة تهد منه ولا ترحم فإنني أشقى أبنائها هذه حقيقة أيقنت من صحتها وآمنت بها يا صديقي، فلا تحاول أن تصدني عنها<<.

فيقول: 2

مالأ فاقك يا قلبي سودا حالكات ولأوردك بين الشوك صفرا ذاويات  
ولأطيارك لا تلغو فأين النغمات أنت يا قلبي عش نفرت عنه القطاة  
أنت حقل مجذب قد هزأت منه الرعاة أنت ليل معتم تندب فيه الباكيات  
أنت كهف مظلم تأوي إليه البائسات أنت صرح شاده الحب على نهر الحياة  
أنت قبر فيه من أيامي الأولى رفات أنت عود مزقت أوتاره كف الحياة

1 المرجع السابق، ص 13.

2 أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، ج2، ص 72.

أنت لحن ساحر يخبط في التيه الموات أنت أنشودة فجر رتلتها الظلمات  
فلسفة الشاعر في جميع صورها الباكية الحزينة ترد إلى رقة إحساسه ويقظة شعوره تلك اليقظة التي كانت  
تبالغ في عبادة القيم الجمالية وطموحه وشخصيته الفريدة من أقوى العوامل الفعالة في خلق هذه الكأبة التي  
صبغت شعره.

## 2- الطبيعة المشحونة بالغضب والتحدي:

رغم المآسي والأحزان وما يحمله قلبه من مشاعر وأحاسيس الألم إل أن قلب الشابي مليئاً بالحب والخير  
لأهله ولم ينسا أبدا شعبه برغم ما لقيه منهم، لكن نجد الكلمات التي قالها في موضع الغضب كانت المأوى  
الروحي له فقط، ولهذا نجده ينتقل من تنديد لشعبه إلى التنديد للمستعمر بسبب هموم الشعب وبؤسه.  
فقد شعر الشابي بأنه يعمل على عائقه هموم شعبه، فأدى ذلك إلى توحيد ما بين همومه الفردية و هموم  
قومه، و غدت القضية الذاتية قضية جماعية في آن واحد معاً، ما دام الشاعر يعتبر جزء لا يتجزأ من  
المجتمع الذي يعيش فيه، فهو حين يتحدث إلى الطغاة - طغاة العالم - و إلى أهل الظلم و الاستبداد و  
يرمز خلال ذلك إلى الحكم الفرنسي في تونس، و إل الحكم المستبد في أي بقعة من بقاع العالم، فنراه يتمرد  
و يثور و يهدد و يتوعد نبرات حادة و أصوات مدوية أرادها الشابي أن يعلم شعبه إرادة الحياة و يلقنه يقظة  
الإحساس ليخرجه من الدياجير و الظلمات إلى النور و الحقيقة و الحرية.

### 2.1 التمرد السياسي:

رفض الشابي الحالة التي يعيشها شعبه تحت وطأة المستعمر الغاشم، ففي أعماق كل كائن بشري رغبات  
مكتوبة تبحث دوماً عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، ومن الصعب إخماد هذه الحرائق المشتعلة  
في لا شعوره، فإنه مضطر إلى تصعيدها، أي إشباعها بكيفيات مختلفة، ولعلّ السبب الأقرب لتفسير نفسية  
الشابي هو تشبعه بأفكار ومبادئ الرومانسية التي تمجد الحرية والانطلاق، وترفض كل أشكال القيود.  
وليعبّر الشاعر عن تمرد و غضبه وظف مظاهر الطبيعة فهل هي نفسها المظاهر التي وظفها في تعبيره عن  
كأبته و حزنه أم هي مظاهر أخرى؟

مظاهر الطبيعة واحدة لا تتغير بتغيير الموضوع، إلا أن الذي يتغير هو الشحنة العاطفية التي تحملها  
وبالتالي فالظلام عندما امتزج بالحزن والكأبة اختلف عن الظلام المحمل بشحنة الثورة التمرد <والطبيعة هي  
في أعماق كل تجربة عاناها الشابي أنها في أعماق تجربة الحرية ولقد كانت الحرية بالنسبة إلى الشابي  
تتعدى إطارها السياسي إلى إطار الوجودي والنفسي بل الروحاني وهي تنبع من نواميس الطبيعة >> I<sup>1</sup>  
فالشاعر بتمرده و غضبه ورفضه لأوضاع شعبه لم يطمح للاستقلال السياسي فقط بل تعداه إلى أبعد من  
ذلك، فالشابي كان يطمح لإيجاد السكون الداخلي الذي يطمئن النفس ويجلب لها الاستقرار، ومشاعر  
الغضب كساها الشاعر بمظاهر الطبيعة كالرعد والعواصف والأنواء والزواج والأموج والبراكين والثلوج وهي  
ترجمة لنفسه ومشاعره التي مالت للرفض والعصيان.

1 إيليا الحاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص 158.

>> فكثيرا ما نلتحم في القصائد التي يعبد فيها الشابي عن القوة والتمرد والإرادة روح جبران وروح نبشته في أن مثل أنشودة الرعد وإلى الطاغية، النبي المجهول، في ظلّ واد الموت، إرادة الحياة، نشيد الجبار، لكن تتبثق تجربة الشابي ومعاناته من البيئة التي عاش فيها وظروفها التاريخية تحت الاحتلال الفرنسي وحرمان الهوية والحرية<< 1 1<sup>1</sup>

فأصالة الشابي تتجلى في تعاطفه مع شعبه، فأحب وطنه وشعبه حبا جما، رغم أنه لم يفهمه ولم يفهم روحه الشعرية، مع ذلك فإيمانه بالشعب وبالمجتمع جعله يتمسك بالقضية وكله ثقة بأصالة هذا البلد فكان متحدا للاستعمار فيقول: 2

فيا أيّها الظلم المصعّر خده  
سيثأر للعزّ المحطّم تاجه  
رجال يرون الذلّ عارا وسبّة  
وهل تعتلي إلا نفوس أبيه  
رويدك إنّ الدهر يبني ويهدم  
رجال، إذا جاش الردى فهم هم  
ولا يرهبون الموت، والموت المقدم  
تصدع أغلال الهوان وتحطم

فبهذا الصوت والنبرات القوية كان ينذر الطغاة بثورة عارمة تعيد للوطن كرامته وعزّته، فنجده معبرا عن أوضاع مجتمعه محاولا استنهاضه، وبث روح الإرادة فيه فيقول:

ضيّع الدهر مجد شعبي ولكن  
إن ذا عصر ظلّمة غير أني  
تسترد الحياة يوما وشاحه  
من وراء الظلام شمت صباحه

رغم الظلمة التي يعيش فيها هذا الشعب إلا أنّ الشابي كان متيقنا من قدوم الصباح والنور لينصف هذا الشعب لكن كيف السبيل إلى ذلك؟

>> هذه المنجاة للوطن والأصداع بمحبته والإيمان بمصيره المشرف رغم قوى الظلام وقسوة الدهر لها جميعا صداها المتجاوب مع شوق الثائرين وعزم المناضلين واليقين المؤمنين بنبل رسالتهم في كل مكان وزمان<<3  
فحاول الشاعر أن يبيث في شعبه روح الحياة فاستخدم جل مظاهر الطبيعة عسى أن يستطيع أن ينقل له ما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس فلا ربما يحس بها ويقدرها ويأخذ بها من أجل استرداد حرّيته، كما أنه جعل نفسه مخلصا لشعبه مما هم فيه من ظلم وفهر واستعمار فيقول: 4

أيها الشعب! ليتني كنت خطابا  
ليتني كنت كالسيول إذا سألت  
ليتني كنت كالرياح فأطوي  
ليتني كنت كالشتاء أغشى  
ليت لي قوّة العواصف يا شعبي  
فأهوى على الجذوع بفأسي!  
تهد القبور رمسا برمس!  
كلّ ما يخنق الزهور بنحسي  
كلّ ما أذبل الخريف بقرسي  
فألقي إليك ثورة نفسي

1 نذير العظمة، التغريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث، سوريا، ط، 1999، ص 135.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 135.

3 أبو القاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، ص 93.

4 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 93، 94.

ليت لي قوة الأعاصير إن ضج ت فادعوك للحياة.

ليت لي قوة الأعاصير! لكن أنت حي بقضي الحياة برسي

فلا توجد أقوى من هذه المظاهر (السيول، العواصف، الرياح، الشتاء...) لتحمل شعور التمرد والقوة وتعبر عن ذات الشاعر التي لم ترضى العيش في الظلم والاضطهاد عكس موقف الشعب الذي فضل الخنوع على الثورة. فيثور الشاعر بعدما استسلم للأحزان، فإذا هو عاصفة من النقمة على الوضع الذي آل إليه مجتمعه، وهو بهذا العزم يصارع القدر، ويتحدى المصائب، وفي قمته وغضبه يلتجئ للطبيعة لتكون له عوناً لإيقاظ شعبه من سباته.

يتزايد رمز الطبيعة فهي تعدد الظالم بالربيع والسكون لكن خلف هذا الصحو تتربص به الرعود والرياح والأهوال التي ترمز لثورة واستفاقة الشعب، فلم يقف موقفاً حيادياً إزاء ما يمر به وطنه، بل تسلح بالإرادة والقوة ليوصل رسالة الثورة إلى شعبه فيقول: 1

ألا أيها الظالم المستبد	حبيب الظلام عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف	وكفك مخضوبة من دماه
رويدك! لا يخدعك الربيع	وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الأفق الرحب هول الظلام	وقصف الرعود وعصف الرياح
سجلفك السيل، سيل الدماء	ويأكلك العاصف المشتعل

وفي ثورته هذه يلتفت الشاعر إلى الشعب ويقف عنده مستغرباً من أمره حيناً و غاضباً عليه حيناً آخر، وفي نفس الوقت متسائلاً محتاراً عن مصيره في هذه الحياة فيقول: 2

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس؟	أين الطموح والأحلام؟
إنّ يمّ الحياة يدوي حواليك	فأين المغامر المقدار؟
أين عزم الحياة لا شيء إلا	الموت والصمت والأسى والظلام

>> لا شك أننا نرى تصويراً للشعب ولكن وراء هاته الكلمة الجبارة لا شك أنّ الشابي قد صور مطامحه واندفاعاته كمريض فهو دعوة إرادة الحياة، يتجسم في شعب بأسره ويرى ذاته المريضة تطابق ذات الشعب المريض، ولكن كلاهما مندفع نحو الحياة نحو كسر القيود نحو الوجود الأخضر>> 3 1

فأمن بالحرية وناشد الشعوب بالتخلص من كل أنواع الاستغلال والاستعباد لتحقيق العدالة والأمن فيقول: 2 1

1 المرجع السابق، ص 160 وينظر أغاني الحياة ص 185.

2 المرجع نفسه، ص 130.

3 محمد فريد غازي، الشابي من خلال يومياته، ص 45.

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 34.

2 المرجع نفسه، ص 94، 95.

3 المرجع نفسه، ص 70، 71.

ولتشهد الدنيا التي عنيتها  
أن السلام حقيقة مكتوبة  
لا عدل إلا إن تعادت القوى  
حلم الشاب وروعة الإعجاب  
والعدل فلسفة الهيب الخابي  
وتصادم الإرهاب بالإرهاب

فالشابي في تورته أراد أن يبلغ رسالة مهمة للشعوب وهي ما أخذ بالقوة لا يستجع إلا بالقوة، وألا ينغر بالوعود التي يقدمها المستعمر لتتويع المستعمر حتى لا يثور ولا يتمرد.

فانقسمت ثورة الشابي على جبهتين الأولى ضد الاستعمار ومقاومة والثانية ضد الشعب لأنه كما وصفه ما زال طفل صغير بالتراب فيقول: 2

أيها الشعب أنت طفل صغير  
أنت في الكون قوة لم تسها  
أنت في الكون قوة كبلتها  
لاعب بالتراب والليل معس  
فكرية عبقرية ذات بأس  
ظلمات العصور من أمس أمس

فالشابي ينصهر في الطبيعية لدرجة الذوبان فيها فتحقق أنفاسها وصورها في شعره وقصائده.

وتعتبر قصيدة إرادة الحياة أكثر القصائد تعظيما للحرية يتجه الشاعر فيها إلى الطبيعة متحدثا مع مظاهرها مثل: الريح، الظلام، الجبال، مؤكدا فيها أن حرية الفرد أيا كان تستمد أساسا من حرية شعبه ومجتمعه، فهي من القصائد النادرة الذي ساوى فيها شاعرها بين الحياة وهي مطلب بيولوجي والحرية هي مطلب فلسفي وجودي إذا أن تحقق وجود الفرد لا يكتمل إلا بتحريه تماما من القيود فيقول: 3

إذا الشعب يوما أراد الحياة  
ولا بدّ لليل أن ينجلي  
ودمدمت الرّيح بين الفجاج  
وأطرقت أصغي لقصف الرعود  
فلا بد أن يستجيب القدر  
ولا بدّ للقيد أن ينكسر  
وفوق الجبال وتحت الشجر  
وعزف الرّياح، ووقع المطر

فالشابي استعارة من الطبيعة الراسخة في وجدانه مظاهرها بعدما صارت صدى لروحه وأسراره فهي انعكاس لما يدور في عالمه الداخلي فالشاعر والطلبة نفس واحدة والشعور بالثور هو الغضب فالحياة عنده هنا هي الحرية بدليل قوله: إن استجابة القدر لإرادة الشعب تعني زوال الليل. وهو يرمز به دون شك إلى الاحتلال والاستعمار ولا بدّ للقيود أيا كان نوعها من أن تتكسر فيغدو الشعب طليقا حرا بعد أن كانوا أبناءه في السجون.

والحرية عند الشابي طموحا تسعى النفوس إلى تحقيقه، لأنها قضية وطن يكون أو لا يكون، فهو يرسم طريق الحرية لشعبه وكلّ شعب مستعبد يعيش في ظلام العبودية والاستغلال.

فالشابي لم يقف عند الحدود الطبيعية للحرية بأنها السلام والأمان وبأن الشعوب يجب أن تدافع من أجلها، وأنّ المستعمر يجب أن الحرية حقا، وهذه الحرية صميم الحياة فيقول: 1<sup>1</sup>

1 المرجع السابق، ص 112.

2 المرجع السابق، ص 159.

3 المرجع السابق، ص 159.

يا صميم الحياة! إني وحيد  
يا صميم الحياة! إني فؤاد  
ودمدمت الريح بين الفجاج  
وأصرفت أصغي لقصف الرعود  
مدلج تائه، فاين شروكك؟  
ضائع ظمئى، فأين رحيقك؟  
وفوق الجبال وتحت الشجر  
وعزف الرياح ووقع المطر

ولكنه وجدها أخيرا في قوة الشعب، فالبقاء للأقوى وأن الشعوب المسالمة هي مناقضة للحرية، ووجدتها في إرادته للحياة فالحرية هي في أصل الوجود، إلا أنها تتردى وتفقد ذاتها بعد أن استرقتنا الضرورات الاجتماعية، وقد ألف الإنسان هذه العبودية ناسيا أصله القديم فيقول: 2

كذا صاغك إليه يا ابن الوجود  
فمالك ترضى بذل القيود  
وتسكت في النفس صوت الحياة  
وتطبق أجفانك النيران عن الفجر  
وألقتك في الكون هذ هي الحياة  
وتتحني لمن كبلوك الجباه؟  
القوي إذ ما تغنى صداه؟  
والفجر عذب ضياها

فالشاعر يحض الإنسان على استعادة أصله ويتساءل كيف يرضى.

وكما استمد الشاعر قرائن الحرية ومظاهرها من الطبيعة لأنه وجد في صفاتها وجمالها ورحابها ما يفقده في حياته الباطنية الحافلة بالصراع، وفي حياته الاجتماعية المليئة بالتناقض فيقول مخاطبا شعبه المستسلم الراضخ للذل: 3

خلقت طابقا كطيف النسيم  
تغرد كالطير أين اندفعت  
وتمرح بين ورود الصباح  
وتمشي كما شئت بين المروج  
وحرا كنور الضحى في سماه  
وتشدو بما شاء وحي الإله  
وتنتعم بالنور أنى تراه  
وتقطف ورد الربى في رباه

ولا تقوتنا هنا الإشارة إلى فلسفة الوجود وهي تندرج في ثنايا دعوته فالحرية عنده من طبيعة خلق الإنسان والنهوض مع الحياة ولأجلها فهو سرها كما تبدو استعارة النور للحرية، ذات علاقة مع فلسفة الأنوار الأوروبية الي هي احدى مصادر ثقافته. واستعارة أبيات من قصيدته الشهيرة (نشيد الحرية) ليكون النشيد الوطني التونسي، إلا دايلا على المكانة التي احتلها شاعر تونس، الذي أسس بواكير شعره مملكة شعرية للحرية وقد تربي عليها جيل من المواطنين التونسيين وحاولوا ترجمتها إلى واقع.

" فالحرية هي فعل تقييم وخلق كل غداة ولادة يومية من الذات تعيد الأشياء والمفاهيم بل أنها هي التي تدفع الإنسان إلى الصمود والمقاومة أمام بواعث الاندثار والانقراض والعدم فالنصر بالنسبة إلى الشابي ليس عملا حربيا وليس عملا سياسيا وإنما هو عما روحي يتحقق في النفس متى أدركت الذات ذاتها وفهمت أسرار الوجود والطبيعة المستترة على أديم الواقع وبرقعته" 1 1

1 إيليا الحاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والغربي، ص159.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص116، 117.

## 2.2 الغضب الاجتماعي:

الوضع السياسي الذي عاشته تونس (الاستعمار) انعكس على مختلف شؤون الحياة الأخرى وبالأخص على الجانب الاجتماعي حيث انتشر الجهل والتخلف وسوء المعيشة هذا الوضع أثر في نفسية الشاعر الحساسة فحمل على عاتقه هموم شعبه، فأدى ذلك به للتوحيد ما بين همومه الفردية وهموم شعبه، وغدت القضية الذاتية قضية جماعية في آن واحد، وما دام الشاعر يعتبر نفسه جزءا لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش في كنفه. فصورَ جَلّ قضايا، في أبعاد ثورية وسياسية من خلال تصوير الظالم والاستبداد وفساد السلطة في البلاد، وخمول الشعب وشقاؤه وجهله وانعطافه واستسلامه بما يتخبط فيه من ضعف ومشكلات، فقد كلن ميالا للجانب الثوري والسياسي، ومع ذلك كان للقضايا الاجتماعية نصيب في أشعاره.

ظلّ الشابي مدافعا عن المظلومين والمفهورين وهو يتصور أنه واحد منهم وحكمته تكمن في صوره الرائعة ودعوته الصريحة في انقاذ المظلوم التي تجرت مع مواجع الشاعر الروحية والنفسية والاجتماعية التي انعكست بالسلب على حالته الجسدية.

فالشابي أحب الحياة رغم مرضه، فرثى لنفسه حين شعر بقروب أجله وحرّض أهله وشعبه للقيام من رقدته حين رأى الظلام يكتنف وطنه وناصر المظلومين والمفهورين بصرخات متتابعة مدوية، فكان صوته صوت كلّ مظلوم، وكان معلما لكلّ من يسعى للحرية والاستقلال.

ومن القضايا البارزة في هذا المجال قضية المرأة كما تناولها سابقا، التي نالت مكانة رفيعة في شعره، ذلك من خلال دعوة الشاعر التي بعث المرأة العربية عامة والمرأة التونسية خاصة و إعطائها مكانتها في المجتمع، و الثورة على واقعها المر، و المطالبة بتعليمها و ربطها بمختلف القضايا الوطنية للمساهمة فيها، فنظرتة للمرأة نظرة صوفية، حيث اتخذها مثالا للرقّة و الحنان و العطف، فكان يسمو بجمالها و حسنها عن شوائب الجسد إلى جمال الروح و صفاء النفس، و ذلك حينما يتخذ من المرأة أنموذجا للمعاني الروحية من خلال التصوير معنى الأمومة و العطف فيقول: 2

والدهر بدفن في ظلام الموت حتى الذكريات	كل نسوك ولم يعودوا يذكرونك في الحياة
الوجود إلى لقاءك	إلى فؤاد، ظلّ يخفق في
ة إلى المنية، وافتدك	ويود لو بذل الحيا
وإن رأى شبحا دعاك	فإذا رأى طفلا بكاك
ظلماء هاتيك اللحد	أعرفت هذا القلب في
السكرى، بأحزان الوجود	هو قلب أمك، أمك
سيعيش كالشادي الضرير	هو ذلك القلب الذي
جي إلى النفس الأخير	يجد وبشكوى حزنه الدا

يصور الشابي صورة المرأة الأم وحبها وعطفها على أولادها، ومدى تعلق أولادها بها في كل مرحلة من مراحل الحياة، في السراء والضراء في الفرح والحزن، فهي القلب الحنون العطوف على أطفالها الذي يود لو

يفتدي أولاده بحياته من أجل سعادتهم، فهي لا ترغب بالفراق ولا تحتمل البعد، فقلبا دائما ينبض بقاء أولادها حتى آخر نفس في عمرها، واستمر الشابي في الربط بين قلب الأم الحزينة وبين صور الطبيعة ومعانيها المختلفة، حتى تصبح أحزان الأم متصلة بكل ما في الوجود، فيرتفع قلب الأم حتى يصبح قلب مقدسا.

ومن القضايا الاجتماعية الأخرى التي تطرق إليها الشابي والتي كابدها وعاناها وهي اليتيم، فنجد في قصيته " الاعتراف " يصور فقدانه لوالده فيقول: 1

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي  
أني سأضماً للحياة، وأحتسي  
وأعود إلى الدنيا بقلب خافق  
ومشاعره عمياء بالأحزان  
من نهرها المتوهج النشوان  
للحب والأفراح، والألحان

يصور الشابي فقدانه لوالده الذي كان متعلقا كثيرا به والذي فقدوه وهو في سن صغير جدا، فعبر عن مدى حصرته وحزنه جزاء هذه المفاجعة التي داهمت حياته، وكيف غيرت مجرى حياته فأصبح كل شيء يراه بعين اليأس والقلق. فابتعد عن الحياة وملذاتها وأفراحها وألحانها، لأنه لا يبصر السعادة في أي شيء من حوله ثم يضيف فيقول: 2<sup>1</sup>

تحركت السنون وأقبلت  
فإذا أنا ما زلت طفلا مولعا  
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها  
إن ابن آدم في قرار نفسه  
فتن الحياة بسحرها الفتان  
يتعقب الأضواء والألوان  
ضرب من البهتان والهذيان  
عبد الحياة الصادق الإيمان

فالشابي هنا يحاول أن ينتقل من وصف حزنه الشديد جراء فقدانه والده إلى وصف صبره ورضاه بالقدر الذي كتبه الله له، فأنا الشاعر متشبع بالثقافة العربية والدين الإسلامي، فاستطاع بذلك أن ينشر الأمل والإيمان والصبر في نفوس الجماهير من خلال الدعوة للفرح والسرور ومواصلة الحياة مهما كانت مشاكلهم فيها، وذلك لا يكون إلا من خلال الإيمان بهذه الحياة والإيمان بما كتبه الله للإنسان فيها.

أيضا من بين القضايا الاجتماعية الأخرى التي تطرق للتعبير عنها، التضحية وتولي المسؤولية والتي تعد من أبل الخصال الصفات، التي أراد الشاعر أن يغرستها في قلب كل تونسي، فحث أبناء وطنه على ضرورة التضحية والوقوف جنبا إلى جنت في كل محنة من المحن من أجل تجاوزها، وهذا الذي نجده في قصيدته " قيود الأحلام " فيقول: 2<sup>1</sup>

وأود أن أحيا بفكرة شاعر  
فأرى الوجود يضيق عن أحلامي

1 المرجع نفسه، ص 157.

2 المرجع نفسه، ص 157.

1 المرجع السابق، ص 145، 146.

2 المرجع سابق، ص 29.

3 المرجع السابق، ص 138.

4 المرجع السابق، ص 80.

لكنّي لا أستطيع، فإنّ لي  
وصغار إخوان، يرون سلامهم  
فقدوا الأب الحاني، فكنت  
ويقيم وهج الحياة، ولفحها  
فأنا المكبل في سلاسل حيّة

أما يصدّ حنانها أوهامي  
في الكائنات معلقا سلامي  
لضعفهم كهفا يصدّ غوايل الأيام  
ويذود عنهم شره الألم  
ضحيت من رأفي بها أحلامي

يصور الشاعر أحلامه وطموحاته التي ترمي إليها وتتوق نفسه لبلوغها وهي أن يعيش حرا وأن يعيش كشاعر وكفنان لكن الحياة الصعبة التي يعيشها لم تمكن ولم تيسر له طريقه، فعائلته التي ترى فيه مصدر الرزق والسلام، تحمله مسؤولية كبيرة في حمايتهم ورعايتهم. فلم يجد طريقا آخر إلا التضحية بأحلامه وآماله من أجل اسعاد الآخرين.

كما يتناول الشاعر قضية أخرى تعدّ من بين أهم القضايا الاجتماعية وهي تصوير الشباب وأحلامهم التي يبنونها، وكيف تتهدم وتتحطم في بلد ملؤه التعب والشقاء فيقول: 2

ألا إنّ أحلام الشيلي ضئيلة  
سئلت الدياجي عن أمانني شيببتي  
ولما سئلت الريح عن أجابني  
فصارت عفاء واضمحت كدرّة

تحطمها مثل الغصون المصائب  
فقلت: ترامتها مثل الرياح الجوائب  
تلقفتها سيل القضاء، والنوائب  
على الشاطئ المحموم، والموج صاحب

يصور الشابي في هذه الأبيات أحلام الشباب وطموحاتهم، التي تحيط بها المصائب والمشاكل والعراقيل من كل جانب، فيسأل الليلي المظلمة عن أحلامي شبابه فتجيبه أنّ الرياح ترامتها وأخذتها، وسأل الريح عنها فأجابته أنّ النوائب قد تلقفها، فصارت عفاء واضمحت على شاطئ المحموم.

ويخص الشاعر غي حديثه على العزيمة ومواجهة مصائب الحياة داعيا الناس إلى التفاؤل والسعادة فيقول: 3

خذ الحياة كما جاءتك مبتسما  
وأرقص على الورد والأشواك متندا  
واعمل كما تأمر الدنيا بلا مضض  
هاذي سعادة دنيانا فكن رجلا

في كفها الغار، أو في كفها العدم  
غنت لك الطير، أو غنت لك الرجم  
والجم شعورك فيها، إنّها صنم  
إن شئنها أبد الأبادي يبتسم

كما نجد الشاعر تناول قضية التخلص من الجهل ومخاطرها على الفرد والمجتمع وبيقضة إحساسه وفطنته حاول توجيهه إلى الخطر المحدق به والذي سبب كل تخلف وخنوع فيقول: 4

يا قوم عبني شامت  
تتلو سحابا ركاما  
تلفي الشديد حصارا

للجهل في الجوّ نارا  
يتلو قتما مثارا  
تبقي الأديب حمارا

لا نستطيع أن ننكر أن الشابي قد سخط وغضب وتمرد على الحياة وثار على أشكال الذل والاستعباد ولكن سخطه وغضبه لم يكن كرها في الحياة لذاتها، وإنما لتلك الصور الأليمة التي شهدنا فحاول برقته وحسه أن يوجه شعبه إلى الرقي وهي رسالة الأديب النبيلة إلى الإنسانية. فالشابي رغم آلامه وآهاته لم ينس رسالته في الوجود ولم يشغله عن تأديتها مغريات الحياة.

" فالطبيعة كانت سخيّة على الشابي لأنه لم يشخص أمامها شخوصا وصفيا شكليا كما أنه لم يتولّها بالتحليل والتعليل والمقارنة كما فعل أصحاب البديع والصنعة، وإنما اتّصل بروحها وضميرها وسمع همسها المكتوم فكانت الطبيعة في شعره أهمّ مصدر للحقائق الوجودية الإنسانية " 1

فلا يوجد شاعر مرتبط بالطبيعة كالشابي، فقد كانت مرآته العاكسة لأحواله وهو عندما يتحدث عنها لا يصف أشكالها ولا يقف عندها ليحللها بل كانت صدى لنفسه كما كان هو متحدّثا بالنيابة عنها فيقول: 2

متأجج الآلام والآرابي	في الليل ناديت الكواكب ساخطا
والروض يسكنه بنو الأرباب	الحقل يملكه جبابرة الدجى
لا تغتوي والغاب للحطاب	والنهر للغول المقدسة التي
في الكون بين دجنة وضباب	الفجر يولد باسمًا متهللا

يرسم الشابي صورة الحياة التي يتقاسم نعيمها جبابرة الأرض، ولكن لا ينطفئ الأمل في نفس الشابي، وإنما يولد من الربيع ومن الحب، ويندفع من غلس الظلام، فهو يشكو المقادر العمياء التي أفرزت الطبقة في المجتمعات فلا عدل في الوجود، فالقلة المالكة تسيطر على الكثرة الفقيرة وهذه القلة سيطرت على الخيرات والثروات فالقلة هي الجبابرة ورمز للبلاد بالحقل والروض والنهر الذي لا ينضب.

هنا الوضع أفرز مشاكل جمة في المجتمع ولاحظ الشابي تقاعس المسؤولين عن قيام دورهم وواجبهم فاتهمهم لأنهم طرف في نقشي الآفات وانتشارها فيقول: 1

1 أبو قاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، ص 255.

سكتم حماة الدين سكتة واجم ونمتم بملء الجفن والسييل داهم  
سكتم وقد شمتم ظلما غصونه علائم كفر تائر ومعالم  
أفيقو فليل النوم ولى شبابه ولاحت للألاء الصباح علائم

يعبر الشابي عن غضبه من شعبه الذي يعيش على أمجاد أسلافه فغاب عنه شوق الحياة والعزيمة فهو  
شعب عجوز صامت وبالأحرى هو ميت فيقول: 2<sup>1</sup>

أي عيش هذا وأي حياة رب عيش أخف منه الحمام  
آه بل أنت في الشعوب عجوز فيلسوف محطم في إهابه  
مات شوق الشباب في قلبه الذاوي وعزم الحياة في أعصابه  
يواصل الشاعر اتجاه شعبه محاولا أن يستحث الشعب ويدفعه إلى الثورة على الأوضاع المتردية التي يعيش  
فيها الشعور بالغضب ممزوج بمظاهر الطبيعة فكل حالة شعورية مرت بها أنا الشاعر إلا والطبيعة حاضرة  
جلية فيها، فالشابي مرهف الإحساس رومنسي إلى أقصى الأبعاد، لم يتحمل أن يشاهد شعبه يحيا في  
ظروف سيئة وغيره يحي في تطور وازدهار وعندما أبقى هذا الشعب الاستماع لم يجد صدرا أحن عليه من  
الطبيعة فهي صدى لنفسه الثائرة والمتمردة بجمالها وبراكينها وزوابعها وأنوائها وتلوجها... وغيرها

### 3- الطبيعة المفعمة بالتفاؤل والإشراق:

إن الشاعر لم يبق على هذه السلبية فرغم الآلام والأحزان التي تبرح جسده لم يأبه بها بل سار فوقها وارتفع،  
وها هو يعلن ذلك صراحة في رسالة بعثها إلى صديقه محمد الحليوي يقول فيها: >> أما الآن أشعر بانقلاب  
عميق قوي في نفس كل القوة، وستدرك هذا التطور في نفس حينما تطلع على قصائدي الجديدة، وقد عبرت  
عن هذا الانقلاب الروحي بقصيد " الصباح الجديد " الذي أرسلته إلى - أبولو- وقصيد " الجبار " صورة  
صادقة لنفسه في طورها الحاضر الجديد >> 1.

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي قاسم الشابي، ص 137.

2 المرجع نفسه، ص 130 ، 131.

بهذه النظرة المتقابلة تخرج أنا الشاعر بروحه الشامخة الطامحة إلى الحياة، رافضا الموت الذي أخذ يدب في جسده، و متحديا الأعداء وتبقى " أغاني الحياة " تترنم في قصائده بالحب والصدق والإخلاص، طامحا دوما إلى الأعالي، وهذه صور التحدي والانتصار في قوله: <sup>1</sup> 2

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء  
وأسير في دنيا المشاعر حالما غردا وتلك سعادة الشعراء  
أمشي بروح حالم متوهج في ظلمة الآلام والأدواء

فهنا أنا الشاعر تحولت من عالم الأحزان والظلام إلى عالم النور والجمال والفرح ويكون بذلك قد انتصرت على أحزانها. وتمثل ذلك التحدي والانتصار للحصول على السعادة والراحة والأنس بجمال الحياة فيما يلي.

### 3.1. الرؤية التقديسية للغاب:

" كان شعراء الرومانسية في الغرب يهيمنون بالطبيعة، ويرتمون بين أحضانها لاجئين إليها محاولين العثور على الطمأنينة والهدوء والبحث عن الأمان بين ربوعها مبتعدين عن العالم المادي، وعالم المدينة هارين من شرور هذا العالم، إلى صفاء الطبيعة ونقاؤها " . 3

فالغاب عند الشبابي الملجأ لآماله وأحلامه وهو يرى في مظاهر الطبيعة صدى لروحه، وهنا جاءت النظرة التقديسية للغاب، ففيه الفضاء الرحب والسكينة الأبدية فاختر الشبابي حياة الغاب لأنها أرحم من الحياة وسط مجتمع لا يقدره وجعله يعيش كآبة ويأسا، فدفعه ذلك للفرار إلى الغاب فيقول: 4

إنني ذاهب إلى الغاب يا شعـ بي لأقضي الحياة وحدي بيأسي  
إنني ذاهب إلى الغاب عليـ في صميم الغابات أدفن بؤسي  
ثم أنساك ما استطعت فما أندـ ت بأهل لخمرتي ولكأسي  
سوف أتلو على الطيور أناشيدي وأفضي بها بأشواق نفسي  
فهي تدري معب الحياة وتدري أن مجد النفوس يقظة حس

فهنا الشاعر يرى أنه مضطر إلى الذهاب إلى الغاب والابتعاد عن شعبه الذي لا يفهمه فهو يرى أن الغابة هي المكان المناسب لاسترجاع أنفاسه، وأن الغاب هو الذي ينسيه يأسه وبؤسه، كما ينسيه ضعف قومه، والغابة هي الحياة المرجوة فيقول: <sup>2</sup> 1

كرهت القصور وقطانها وما حولها من صراع عنيف  
وكيد الضعيف لسعي القوي وعصف القوي بجهد الضعيف

1 محمد الحليوي، رسائل الشبابي، ط1، 1994، ص 248.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشبابي، ص 11، 12.

3 أحمد عويينة، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ص 108.

4 أجمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشبابي، ص 94.

1 المرجع السابق، ص 104.

2 المرجع السابق، ص 71.

3 المرجع السابق، ص 66.

فهنا يشرح سبب هروبه إلى الغابة فهي نتيجة الصراع بين الأغنياء، والأغنياء لحق الفقير الذين يمثلون الحلقة الضعيفة والهشة في المجتمع. وفي موضع آخر نجده يقول: 2

وقال للغاب فتى رقة	محببة مثل خفق الوتر
يجيء الشتاء، شتاء الضباب	شتاء الثلوج، شتاء المطر
فينطفئ السحر، سحر الغصون	وسحر الزهور، وسحر الثمر
وسحر المساء الشجي الوديع	وسحر المروج الشهي العطر
وتهوي الغصون وأوراقها	وأزهار عهد حبيب نظر
وتلهو بها الريح في كل واد	ويدفنها السيل أنى عبر
ويفنى الجميع كحلم بديع	تألق في مهجة واندثر
وتبقى البذور التي حملت	ذخيرة عمر جميل غبر
ونكرى فصول، ورؤيا حياة	وأشباح دنيا تلاشت زمر

فالقارئ لهذه الأبيات يجدها على شكل حكاية أو قصة، فهي ضمن الشعر الحكائي أو الشعر القريب إلى الشعر القصصي، وفيها أدمج ضمن الحوار أقصوصات غير مكشوفة إلا بعد تأمل دقيق، ففي هذا النص الشعري نجده يسرد أحداثه من خلال الزمن الأدبي حيث يقص الغاب أحداث الشتاء و ما يرويه لنا من مظاهر بمجيء الشتاء و ما يصحبه من ضباب و ثلوج و مطر، ثم يستمر في زمن الحكاية و يربط الأحداث بحرف الواو للتوسيع في زمن الوقائع، و تكراره لكلمة الشتاء يعطي إيقاعا موسيقيا يوحي بشدة ما ستواجهه الأمة، و كأنّ في تعريفه للشتاء الأولى يعني الاستعمار الذي كان يعيشه البلاد.

كما نجد الشاعر يصف الجمال المنشود الذي لا يجده إلا في الطبيعة والغاب فيقول: 3

يا عذارى الجمال والحب، والأحلام	بل يا بهاء هذا الوجود
قد رأينا الشعور منسديلات	كللت حسنها صباح الورود
ورأينا الجفون تبتسم ..، أو تحلم	بالنور، بالهوى، بالنشيد
ورأينا الخدود، ضرّجها السحر ،	فأها من سحر تلك الخدود
ورأينا الشفاه تبسم عن الدنيا	من الورد غضة، أملود
ما الذي خلق سحرها، الحالم السكران	في ذلك القرار البعيد...؟
أ نفوس جميلة، كطيور الغاب	تشدو ساحر التغريد
طاهرات، كأنها أرج الأزهار	في مولد الربيع الجديد
وقلوب مضيئة، كنجوم الليل	ضواعة، كغصن الورود

فهنا الشاعر مصور النفوس الجميلة ويشبها بعدة صفات يستشف بها منها الطهر والنقاء والبراءة مستخدما تشابيه متعددة: (النفوس بطيور الغاب-أرج الأزهار) ونجده يشبه (القلوب المضيئة بالنجوم، وغصن

الورود...) فباستخدامه لهذه التشبيهات في وصف النفوس والقلوب ليبرز صفات المعنوية، ويكون بذلك جمع بين الصورة البصرية والصورة الحسية ليستكمل صفات النفوس والقلوب.

ومن هذا فالشابي منبها بحياة الغاب المثالية، وهروبه وانعزاله هذا جعل معظم صورته رمزية لأنه أخذها من الطبيعة بعد أن عجز المجتمع عن احتواء مشاعره، وهروبه من عالم الواقع جعله يهيم بمثالية الغاب لأنه وجد في الطبيعة العطاء والكرم فيقول: 1

إِنَّ فِي الْغَابِ أَزْهِيْرَ  
يَنْشُدُ النَّحْلُ حَوَالِيْهَا،  
لَمْ تَدْنَسْ عَطْرَهَا الطَّا  
لَا، وَلَا طَافَ بِهَا الثُّعْبُ  
وَأَعْشَابَ عَذَابِ  
أَهَازِيْجِ طَرَابِ  
هَرَّ أَنْفَاسِ الذَّنَابِ  
لَبَّ فِي بَعْضِ الصَّحَابِ

هنا الشاعر استدعى أكثر من رمز لتوضيح الصورة الشعرية وتعميق الفكرة في ذهن المتلقي، فإلى رمز الغاب نجد رمز " الذئاب " ويقصد به الشاعر الأنماط البشرية الطفيلية، ورمز " الثعلب " يعني به مظاهر المكر والخداع التي شاعت في المجتمع كل هذه الرموز رسمت صورة اللوحة المثالية لحياة الغاب وكشفت في نفس الوقت سلبيات الواقع ومساوئه. فاختار الشاعر حياة الغاب لأنها أرحم من حياته وسط مجتمع لا يقدره وتمنى العيش وحيدا منفردا في الجبال والغابات فيقول: 2 1

لَيْتَ لِي أَنْ أَعِيشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
لَيْسَ لِي مِنْ شَوَاغِلِ الْعِيشِ مَا يَصْرَفُ  
عَيْشَةَ لِلْجَمَالِ وَالْفَنِّ أَبْغِيْهَا  
سَعِيدٌ بِوَحْدَتِيْ وَأَنْفِرَادِي  
نَفْسِيْ عَنْ اسْتِمَاعِ فَوَادِي  
بَعِيدَا عَنْ أُمَّتِيْ وَبِلَادِي

كما نجده يصف الحياة في الغاب فيقول: 3

يَا لَهَا مِنْ مَعِيشَةٍ فِي صَمِيمِ الْغَابِ  
يَا لَهَا مِنْ مَعِيشَةٍ، لَمْ تَدْنَسْهَا  
يَا لَهَا مِنْ مَعِيشَةٍ، هِيَ فِي الْكُونِ  
تَضْحِي بَيْنَ الطَّيُورِ وَتَمْسِي  
نَفُوسَ الْوَرَى بِخَبْثِ وَرَجَسِ  
حَيَاةٍ غَرِيبَةٍ، ذَاتِ قَدْسِ

فالغاب عند الشابي حيز منطلقا لدنيا كلها فرح وحبور، وإحساسه بالغاب يجعل منه عالمه المثالي الكامل الذي يعوضه عن عالم الواقع المليء بالأحزان. فكل المعاني التي فقدها في الحياة العادية، وجدها في

الغاب: الجمال، السرور والسعادة والحب، وسحر لا يوصف فيقول: 2 1

فِي الْغَابِ سَحْرٌ، رَائِعٌ مُتَجَدِّدٌ  
بَاقٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 123، ينظر أغاني الحيلة، ص 314، 315.

2 المرجع نفسه، ص 67.

3 المرجع نفسه، ص 96.

1 المرجع السابق، ص 140، 143.

2 المرجع السابق، ص 139، 140.

3 أبو القاسم محمد كرو، الشابي حياته وشعره، ص 98.

4 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 162.

في الغاب، دنيا للخيال وللرؤى والشعر والتفكير والأحلام  
في الغاب، في الغاب الحبيب وإنه حرم الطبيعة والجمال السامي  
ظهرت في نار الجمال مشاعري ولقيت في دنيا الخيال سلامي  
فرايت ألوان الحياة نضيرة كنضارة الزهر التجميل النامي  
وهتفت: "يا روح الجمال تدفقي كالنهر في فكري وأحلامي"

فالغاب منح الشابي شعور وإحساس غريب لم يعرفه من قبل في دنيا الناس، ولغموضه لم يستطع أن يسميه، وبهذا الشعور الغريب سما به نفسه إلى عالم الجمال والمثال، تاركا وراءه واقعه المرّ فيقول: 2

بيت بنته لي الحياة من الشذى والظّل والأضواء والأنغام  
بيت من السحر الجميل مشيد للحب والأحلام والبالهام

فصورة البيت الذي شيدته الطبيعة تبعث على الدفء والفرح، وهو في وسط الغابي فغدت الصورة الرمزية هنا وسيلة فنية عكست الصدى النفسي للشاعر ومحاولته في تشييد عالم مثالي يتجدد فيه الإنسان من كلّ تقاليد المجتمع وقيوده، ورغبته في تحويل واقع هش في صورة طبيعية جميلة رمز إليها بالغاب، فكان الغاب رمزا للفضيلة والطهر وللحب والخير ولعالم المثل والخلود.

سيطرت الطبيعة بصورها وألوانها على نفس الشابي، فتلوّنت في قصائده، الأشجار والأزهار والليالي والسماء والينابيع، حسب انفعالاته وشعوره. "قادت خياله المتوقد، وحسّه المرهف إلى معابد الطبيعة الساحرة، حيث أسمعته أغانيها الحلوة الناعمة، وكشفت له عن مواطن الجمال، والفتنة العارمة في نفسها وأطعمته ثمارها

المسحورة، وأسكرته رحيق أزهارها وورودها، فإذا هو ثمل بخمرة الجمال، وفتنة الوجود" 3

لهذا جاءت تجربته الشعرية ثريا جدا، لعنصر الطبيعة والشاعر أعطتها معنا إنساني، فنطقت بلسانه وعبرت عن عواطفه، وأفكاره ونفسه، فهي مستودع أحاسيسه.

وتعتبر قصيدة "أغاني الرعاة" صورة صغيرة من صور الحيلة بين تلك الجبال والأودية والغابات، فهي أروع صورة في حياة الريف وفيها يتجلى حبه، وتقديسه للغاب، حيث يقول: 4

أقبل الصبح يغني للحياة الناعسة  
والرّبي تحلم في ظلّ الغصون المائسة  
والصبي ترقص أورا ق الزهور اليابسة  
وتهادى النور في تلـ ك الفجاج الدامسة

وهنا يظهر إحساس الشاعر القوي بالطبيعة، حتى تصير إنسانا يشاركه إحساسه، ويبادلّه الشعور بأفراح الحياة، ويبث في الطبيعة الحياة، فنرى الصبح يقبل والرّبي تحلم والأزهار والأوراق ترقص.

"هنا يسبغ الشاعر صور الفرح على كلّ ما هو حوله، فينعكس هذا الفرح على الطبيعة، فيغني الصبح وتتمايل الغصون ويتهادى النور، ويتمطى الزهر والطيور والموج" 1 1

1 رتيا عوض، أبو قاسم الشابي، ص38.

هكذا أختار الشبابي حياة الغاب، لما تتطوي عليه من جمال، وسكون وصور ومناظر، يحلم بها في الحياة،  
ويحماها على الدوام في قلبه فيقول: 2

وبعيدا هناك في معبد الغاب      الذي لا يظّله أي بؤس  
في ظلال الصنوبر الحلو، والزيتون      يقضي الحياة حرسا بحرس  
في الصباح الجميل، يشدو مع الطير      ويمشي في نشوة المتحسي  
نافخا نايه، حوالبه، تهتز      ورد الربيع من كل قنس

فالشاعر يقدر حياته في الغاب وسط الأشجار والطيور والورود فكل دقيقة تمر عليه هناك ثمينة يتوجب عليه  
استغلالها، لأنها تحمل النشوة والسرور .

" الشبابي يبنتلي بيتا بين أحضان الطبيعة، بالوهم وهناك طهر مشاعره، من لعنتها وخلع مسوح الحز، وصار  
كاهن الفرح، بعد أن كان كاهن الأحزان، وتلك لحظات تفاؤلية، من أحوال اللبس التي كانت تعترى الشبابي  
في قلبه بين أكفّ القدر " 3

فصور الشاعر من خلال الغاب، وإحساسه المليء بالتفاؤل والأمل، انعكس هذا الشعور على مظاهر  
الطبيعة، وجاءت صورا تنبض بالحياة، والشروق، وهذا ما لمسناه في أشعاره سابقا، عندما ألبس الطبيعة لون  
نفسيته الحزينة، فجاءت صورا متشائمة كئيبة

" يتعبد الشاعر في محراب الطبيعة، محاولاً أن يكتشف سر نفسه وسر العالم، لتتم له المشاهدة، ويسفر وجهه  
اليقين فاعتزا الشبابي، هو اعتزال وتأمل ومعرفة، به يغذي روحه، ويتغذى منها، ويرتفع عن حياة العامة،  
والشعب ممن لم تنزل عليهم نعمة الروح، فدأبوا على اشباع غرائزهم والاستسلام لجهلهم " 4  
أدرك الشاعر السعادة وسط الغاب، فتمتع بكل مظهر وحركة ولون، وصوت يجول في الطبيعة، فالطبيعة  
عند الشبابي غاية بذاتها لا توجد سعادة قبلها ولا بعدها، فهي روح الاله في الوجود.

### 3.2. تجربة الحب:

الحب عند الشبابي هو كمال النفس والطبيعة، وهو فضيلة الفضائل، بل إنه زهرة النفس الدائمة التفتح التي  
تنشق نسيم الروح، كما أنّ له مفعول ساحر، فيجعل الحياة القاسية الحزينة سعيدة، فهذا (الحب) شعلة نور  
هبطت من السماء، هو روح من الله أضاءت ظلمات الوجود لولا هذا الحب ما سمعنا في الكون أغنية جميلة  
كما أنّ الحب قوّة دافعة إلى الحياة وتعبير آخر الحب هو الحياة فيقول: 1<sup>1</sup>

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشبابي، ص95.

3 أيليا الحاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص77.

4 أبو القاسم محمد كرو، دراسات عن الشبابي، ص258.

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشبابي ص108،109.

2 المرجع نفسه، ص122.

الحب شعلة نور ساحر هبطت  
ومزقت عن جفون الدهر أغشته  
الحب روح إلهي مجنحة  
يطوف في هذه، الدنيا فيجعلها  
لولاه ما سمعت في الكون أغنية  
الحب جدول خمر، من تذوقه  
الحب غاية آمال الحياة فما

ونجد الشابي يستدعي الحب أن يغمره ويفيض عليه أن يكتله ويأسره ليدرك به سعادته وفنه فيقول: 2  
كبلي يا سلاسل الحب أفكا  
كبليني بكل ما فبك من عطر  
كبليني فإنما يصبح الفنان  
ري وأحلام قلبي الضليل  
وسحر مقدس مجهول  
حرا في مثل هذي الكبول

بل نجد أن مثاليته تدنو من مرتبة الصوفيين، حيث يتمثل الحب كإله للكرن وذلك في قوله: 3

أنت قدسي، ومعبدي، وصباحي  
يا ابنة النور إنني أنا وحدي  
فدعيني أعيش في ظلك  
عيشة الناسك البتول يناجي  
وربيعي، ونشوتي، وخلودي  
من رأى فيك روعة المعبود  
العذب، وفي قرب حسنك المشهود  
الرب في نشوة الذهول الشديد

فالحب الذي ينشده الشابي ليس تلك النزعة العاطفية التي يملئها القلب، وتجنح إليها النفس إنما هو حب بلا  
جسد، ولا ملامح بل إنه صلاة و عبادة يستمد من الطبيعة كما يستمد من المرأة، و من الواضح أن تجربة  
الشابي هي تجربة اللحم، يتنازع بها مع أشواقه و أوهامه، فهو يخاطب محبوبته التي أسماها بابنة النور،  
لمحاسنها و طهرها، متضرعا إليها أن تدعه يعيش بقربها متأملا جمالها، مستلهما الطهر و الرفعة، متوسلا  
إياها أن تمنحه السلام فوصفها و شبهها بالطبيعة (الظل، الضوء، الفجر) ، فهو يعانق فيها الجمال و يبتدع  
الطبيعة الخيالية فكأنه مل واقع، فأنشد واقعا آخر، لا أثر فيه للقبح و العاهة و الموت فيقول: 4

طهري يا شقيقة الروح ثغري  
إن نار الحياة والكوثر  
فهو كأس سحرية لرحيق  
قبليني وأسكري ثغري الصا  
بلهيب الحياة بل قبليني  
المنشود في ثغرك الشهوي الحزين  
الخلد قد صاغها إله الفنون  
دي وقلبي وفتنتي وجنوني

إن الشاعر يعانق حبيبته الموهومة معانقة الروح، لا معانقة الجسد والقبلة التي يريدها ليست كسائري القبل،  
إنها أوج التجلي الروحي أوفت منه الطبيعة إلى ذروة سحرها والنفس إلى قمة طهارتها وذكره للحياة رمز

3 المرجع نفسه، ص62.

4 المرجع نفسه، ص154.

للروح، وذكره للكوشر رمزاً للكمال المتحرر من عبودية الزمن ونكد السعادة فالحب الذي يرسمه الشاعر ليس حركة واقعية قائمة على الوصف والمحاكاة، وإنما صيرورة كلية تتألف فيها النفس والطبيعة بعناصرها لتبرأ من أدوات الجسد وعتارات المادة، وتعود إلى فردوسها الطاهر النقي فهو مقتنع بمثالية الحب و المرأة التي تمثل لديه مصدر الحياة و الحب و ملاك الجنة. فمن هي امرأة الشابي التي يتكلم عنها في شعره؟ فامرأة الشابي المثالية، تتكون من الأحلام والأطياف والزهور وهي ليست من جسد بل من روح شفاقة، وليست مزيجاً من الخير والشر ولكنها خير مطلق، وحبها ليس حباً حسياً بل إنه لا يختلط أبداً، بأي معنى من معاني الحس إنه حب روجي شفاف يسمو فوق نداء الغريزة، ويختلف عن ذلك الحب العادي الذي يعرفه الناس.

فأنا الشاعر ترى في المرأة معاني العطف والمحبة، وهذا يدفعه للتعلق بها ويعشقها، ويعشق فيها تلك المعاني التي يفقدها في واقع الحياة القاسية وهي (المرأة) وحدها قادرة على أن تعيد الطمأنينة والسكينة إليه، فتعيد إلى نفسه طلاقها، فتتألق وترفرف في أسماء السعادة والنشوة، كما يقول: 1<sup>1</sup>

أراك فتحلو لدي الحياة	ويملاً نفسي صباح الأمل
وتنمو بصدري ورود عذاب	وتحنو على قلب المشتعل
ويفتنني فيك فيض الحياة	وذاك الشباب الوديع الثمل
ويفتنني سحر تلك الشفاه	ترفرف من حولهنّ القبل
فأعبد فيك جمال السماء	ورقة ورد الربيع الخضل
وطهر الثلوج وسحر المروج	موشحة بشعاع الطفل
أراك، فأخلق خلقاً جديداً	كأنّي لم أبل حرب الوجود
أراك، فتخفق أعصاب قلبي	وتهتز مثل اهتزاز الوتر

ونجده في موضع آخر وصفة العالم الحب فيقول: 2

فبدا طيف بسمه، ساحر عذ	ب على تغرها، قوي الفتون
وأجابت وكلها فتنة تغ	وي، وتغري بالحب، بل بالجنون
أبدا أنت حالم، فاسأل اللي	ل، فعند الظلام علم اليقين
وسكتنا، وغرد الحب في الغا	ب فأصغى حتى حفيف الغصون
وبنى الليل والربيع خوالي	نا من السجد والرؤى والسكون
معبدًا للجمال، والحب شعرياً	مشيداً على فجاج السنين
تحية يزخر الزمان ويجري	صامتاً في مسيلة المحزون
وتمر الأيام والحزن والموت	بعيدا عن ظله المأمون

1 المرجع السابق، ص119، 118.

2 المرجع السابق، ص154.

معبدا، ساحرا، مباخره الزهر على الصخر، والثرى، والغصون

فهو هنا يتمثل الطبيعة بكاملها معبدا للحب، فيخلع عليها أجواء من القداسة تقترب من طقوس الدين لا تتدخل فيه الشهبان بل يقتصر في أمره منه على النشوة والمناجاة، وفي تمثيل الطبيعة في سكونها وسحرها ورؤاها لمعبد الحب الذي تمر الأيام والشحون والموت بعيدا عن ظله المأمون، إيجاد سمرمة هذا الحب القائم على السمو الروحي والعفة.

ونجده في موضع آخر يخاطب الحب على أنه هو سبب وجوده وحياته فيقول: 1<sup>1</sup>

أيها الحب! أنت سرٌ وجودي وحياتي وعزّتي وإبائي

وشعاعي ما بين ديجور دهري وأليفي، وقرّتي، ورجائي

كما يدعو إلى الحب الحقيقي، ويبين أثره الجميل في النفوس مبينا دور المرأة في رعايته وحمايته، حتى يأتي بالصورة المرجوة فيقول: 2

وسبيل الحياة رحب وأنتن اللواتي تفرشنه بالورود

إن أردتن أن يكون بهيجا رائع السحر ذا جمال فريد

وهنا يدعو المرأة إلى الفضيلة، كي تجعل الحياة مليئة بالفرح، فالحب الحقيقي يبلي المجتمع ويمتّن أواصر القرية ويحقق السعادة، أما في قصيدته " ليلة عند الحبيب " نجده يصور لنا وقوعه في شرك الحب فيقول: 3

أنا مأسور لات الحجب بنبال صوبت عن كثب

كاعب، هيفاء، بض، طفلة دمية منها جميع العجب

قبلتني، ولهيب الألم المرّ في مدمعها المنسكب

ثم قالت: يا حبيبي! سر على كلاء الرحمان، في المنقلب

وها هو هنا في غمرة من الحب والنشوة والاندفاع فيقول: 4

أنت، أنت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجي الفريد

أنت، أنت الحياة في رقة الفجر في رونق الربيع الوليد

أنت، أنت الحياة كل أوان في رواء من الشباب جديد

اللافت في هذه الأبيات أن الشاعر كرر كلمات "أنت" و " الحياة " في البداية كلّها ليؤكد على غرضه وليقل لحبيبتة أنت الحياة والعيش والمرح والطرب، فهو يمزج بين محبوبته وبين مظاهر الطبيعة، حتى يصعب علينا أن نفرص بين صفات الحبيبة وصفات الطبيعة، فالشاعر بتّ شعوره بالحب والنشوة، في مظاهر الكون، وقد تكفلت الطبيعة بإبراز هذه المشاعر.

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 13.

2 المرجع نفسه، ص 61.

3 المرجع نفسه، ص 38،37.

4 المرجع نفسه، ص 61.

" فشعره ترجمان مما يجول في ذلك خاطر القوي الجبار من تصور دنيا جديدة، دنيا بعيدة عن دنيانا، دنيا أقرب إلى دنيا الخيال، منها إلى دنيا الواقع، فهو إذا تصور الحب، لا يتصوره بين السحاب أو في الأودية، القمر، ولكنّه يتصوره في عالمنا، عالمنا النقي الذي خلص من كلّ الرذائل، وتحرر من كلّ الشهوات ولم يبقى فيه إلاّ الحب يسود ويتحكم " 1

ونجده في قصيدة " أنا أبكيك للحب " يصف الحب بأنه الجمال المنشود الذي يبحث عنه لأنّ الجمال بل كلّ الجمال يكمن في الروح أي في الطهارة والنقاء والأخلاق فيقول: 2 1

فهو في الكون جمال	يملاً الأفق ضياه
وتوشي هذه الأكوان	بالسحر رؤاه
وهم في قلب الذي	عانقه الفجر إليه
عبقري السحر	ممرح، وديع في سماه
ينسج الأحلام في قلـ	بي بأضواء الحياة
ويغنني فأنسى	في معصرات عناه
كلّ ما في الكون من	حزن وأفراح عـداه

وإذا كان الحب عند الشابي عاطفة مقدسة تتجه إل كائن مقدس هو المرأة، فإنّ هذا الحب المثالي هو حب حزين لأنه يصطدم بعقبات ومشاكل تجعل منه حبا يائسا (فاجعا)، فالحب في كثير من قصائده يقترن بالموت، إنّ هناك عقبة تعترض هذا الحب وتحوله إلى مأساة فالشابي عنده هذه الظاهرة واضحة في كثير من قصائده مثلا في قصيدة " الذكرى " وقصيدة " جدول الحب".

وكثيرا من قصائد الشابي عن الحب تعبر عن نفس المأساة: مأساة واقتران الحب بالموت، وذبول الزهور على يد الخريف القاسي الذي يحمل إليها رياح العدم الصفراء فتقضي على كلّ ما فيها من علامات الحياة. ولكنّه رغم ذلك كلّه يشعر أنّ معنى الحياة الرئيسي هو الحب، بل إنّ لا يصبح موتا إلاّ لأنه يقضي على الحب، كأنّ الحب عند الشاعر معناه الوحيد الحياة أو كأنّه مرادف جديد للحياة فيقول: 3

لست يا أمسي أبكي	ك لمجد أو لجاه
فسلبته منّي الدنيا	وبزّتنني رداه
فأنا أحتقر المجد	د وأوهام الحياة
أو لعمر، بلغت منـ	ه الليالي منتهاه
وتلاشت في خضم الـ	زمن الطاغي قـواه

1 أبو القاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، ص 198.

2 أحمد حسن يسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 159.

3 المرجع نفسه، ص 158.

فأنا ما زلت في فجـ ر شباب أو ضحاه  
 إنما أبكيك للحب الذي كان بهاه  
 يملأ الدنيا فأني سرت في الدنيا أراه

ففقدان الحب هو المأساة التي يعاني منها والتي تحمل إلى قلبه وحياته ربح العدم وهي التي تجعله يبكي على الأمس وعلى الحياة.

هام الشابي بحب المرأة والطبيعة، ودمج بينهما في كثير من القصائد، وكلا من الطبيعة والمرأة امتزجتا بوجودان الشاعر امتزجا يكاد يتحد فيه الوجود.

رغم ما قاله الشابي عن الحب، إلا أننا نجده يتحدث عن أثر العيون وما يصيب الإنسان، في قصيدة " كهرباء الغرام" وقصيدة " إياك"... وغيرها يحذر من الحب ونتائجه فيقول: <sup>1</sup> 1

إياك والتحديد من إلى البراقع للهور  
 فالحب في طغيانه كالسيل إما ينهمر  
 فلقد حسوت زعافه وخبّرت منه المستتر

نستنتج من كل ما سبق أن الشابي وظف مختلف مظاهر الطبيعة ليعبر عن الحب، وهذا يدل على استغراقه بالطبيعة، فهي تترجم حالته النفسية، ومدى حبه وشغفه بمحبوبته، لذلك أسقط الطبيعة عليها، محاولاً أن يلون حبه بألوان الطبيعة، ويمزجه بظلالها، والطبيعة ملاذ المحبين وملجأ العاشقين. فالطبيعة في نظر الشابي هي الكمال الذي يحلم به والحنان الذي لم يجده في المجتمع.

### ثالثاً: الأنا من خلال الوطن

نالت قضية الوطن قسطاً وافراً من الشعر العربي عبر العصور الأدبية، فطالما حفل و اعتزّ العربي بوطنه وقبيلته و انتمائه، برفض الاحتلال بوطنه و يريد الحرية و الاستقلال لشعبه و يرفض الواقع المرير الذي يعاينه الشعب، داعياً إلى النضال من أجل العدل و الاستقرار فالوطنية إحساس عظيم يكتنف النفس البشرية أو الإنسان اتجاه وطنه الذي يمثل العزة و الحرية و الكرامة و حتى الحياة، فقد شكّلت موضوعاً في عصرنا

1 المرجع السابق، ص73.

الحديث و ألهمت الكثير من الشعراء، و الشبابي كغيره من الشعراء الذين تمسكوا بقضايا بلدانهم فتغنوا و أشادوا بالشعوب و تحريكها، و أثاروا الشعور فيها للنهوض من حياة الذلّ و القهر و الاستكانة و من ثم الثورة على كل أشكال العبودية و الاستعمار.

ويعتبر شاعرنا من المثقفين الذين تمثلت معالم الوطنية في شعرهم، فقد هزّت أبياته الأجيال فهو لم يكن من الشخصيات التي تغنينا منها الوقفة العاجلة، بل شخصية غنيّة سخية هذا الشاعر الذي جاء صوته القويّ في تونس الخضراء، ليكسر قاعدة الانتشار في الشعر العربي، فكان بشعره يقف في مصاف كبار جنود وسياسي العالم، فأخذ على عاتقه الرجعية والجهل والظلام والتخلف، فكيف تجلى الوطن والوطنية في شعره؟

## 1-الوطن والوطنية:

تمثلت صورة والوطنية في موقف الشاعر من تونس، ومن الشعب التونسي، ومن المستبد الظالم، ومن أعوانه، والصور تتناول بين يأس من الشعب الغافل، وبين ثقته بيقظته وبمقدرته على تحقيق الحرية وبين نقمة عارمة على المستبد وأعوانه، وكعاداته ولدت الصور الشعرية في رحم الطبيعة والكون، اتحمل فيض المشاعر الصادقة النابضة بالحياة والأمل، ولأن تكون صوتا للإنسانية، رغم الظلام والظالمين، فصورة الغد المشرق قادمة لا محالة.

فعبّر الشبابي بشعره الوطني عن مشاعره الصادقة وأحاسيسه اتجاه وطنه، وصور قسوة المستعمر بكلمات تعرض على الثورة وتستنهض الهمم، فالوطن في نفوس أبنائه من المعاني والوشائج ما يجعله دائما متوهجا في القلب، وذلك نجد من الشعراء الوطنيين من يصوغ ذاك شعرا ومشاعر وقد حفلت الأمة العربية بالكثير من هذا الصنف من الأدباء والشعراء الذين أقرضوا الشعر مشاعل يستضاء بنورها، ولعلّ من أبرز هؤلاء الشبابي في تونس.

فالباحث في شعر الشبابي يرى بوضوح كيف تتجلى الملكة الشعرية التي عبّر بها عن حبه لوطنه (تونس)، وتعلقه به تعلق الحبيب بحبيبه فإذا بالعلاقة بينهما علاقة عشق وهيام، يتجاوز الاعتراف بالوجود فيه، فكانت تونس ليست وطننا يعيش عليه بل وطننا يعيش في قلبه فيقول: <sup>1</sup>

لست أبكي لعسف الليل طويل      أو لربح غدا العفاء مراحه  
إنّما عبرتي لخطب ثقيل      قد عرانا ولم نجد من أزاحه  
كلما قام في البلاد خطيب      موقظ شعبه يريد صلاحه  
أحمد صوته الإلهي بالعسف      أماتوا صداحه ونواحه

نرى الشاعر يريد أن يحرك في شعبه نار الثورة ولهيبها لتحرير الوطن بأية طريقة أو صورة، فهو يريد لشعبه النهوض ليكون حرا طليقا ويجد أفضل صورة لاستنهاضه ثم يقول: <sup>1</sup>

أنا يا تونس الجميلة في لَجّ      الهوى قد سبحت أي سباحه  
شرعتي حبك العميق وإنّي      قد تذوقت مرّه وقراحه

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشبابي، ص 160، 161.

لا أبالي... وإن أريقت دمائي فدماء العشاق دوما مباحه  
 وبطول المدى تريك الليالي صادق الحب والولاء وسجاحه  
 إن ذا عصر ظلمة غير أنني من وراء الظلال شمت صباحه  
 ضيَع الدهر مجد شعبي ولكن سترد الحياة يوما وشاحه

نجد ثانيا هذه الكلمات عالم مثالي عاطفي ملء عشقا ومشاعر وأحاسيس راقية، هي بالفعل التي جعلت من الشابي يتبوأ مكانة خاصة في مدونة الشعر العربي المعاصر وجعلت من كلماته أغاني وأناشيد يرددتها الأحرار جيلا بعد جيل.

فهي كلمات تعبر عن عشق قائم بين شاعر و هذا الوطن، عشق يخرج من دائرة العشق الساذج ليرتقي إلى مرتبة لا يظفر بها إلى العشاق الصادقون، فالشابي من هؤلاء إذ استعار في شعره صورة العاشق العذري الذي يتلف روحه في سبيل حبيبه و ذلك ما قاله في البيت الثالث من المقطوعة الشعرية السابقة، فالشابي كان من الوطنيين الذين لم يكتفوا فقط بتصوير الواقع و التعبير عن حب الوطن بل تعداه لينبلي بنفسه للدفاع عن العرض و التحريض على الثورة ضدّ المستعمر و الجلاذ، فلم تكن روحه سلبية بل كان متصدرا الصفوف الأولى محرّضا على الثورة بالقلم و هو واع تماما بخطورة المهمة في عصر يؤثر فيه كثيرا من الشعراء أن يدهنوا و ينافقوا و لا يقولون الشعر إلا في المدائح.<sup>1</sup>

فكان الشابي محرّضا على الثورة متغنيا بضرورة التسلح بالإرادة والعزيمة والتحلي بروح الفعل لا الانفعال إذ لا يستجيب القدر إلا لمن تحلى بحب الكرامة والعزة وشهامة النفس، لا ذلك المتخاذل والمتكاسل عن نصره بلاده ونفسه، وهذا ما لاحظناه في قصيدة تونس الجميلة فهي قصة حب صاحبة مدوية رومانسية، تقاوم اليأس والموت وتقاوم القاتل والمحتل وتقاوم المشككين والمحبتين فكان عشقه سعادة ومعاناة ونضالا وكفاحا، ومقاومته وجودية كان جدلية اخترقت كل الأبعاد لترسم قصة أبدية في الوطن والحب والهيام. فكان ملهما لشعبه رائدا لحركة تحرّره قائدا لملممته التي امتدت حتى أن فارق الحياة لكن روحه ورومانسيته وإنسانيته لم تفارق شعبه.

فالحب عنده حياة وحرية وكرامة وخلود ما بعده زمن، كما أنّ هذه القصيدة سردية تتجاوز كل الحدود لتعانق الإبداع لترسم أفق الإنسان الخالد بأثره في وجوده الزماني-المكاني القصير، إذا هو سردية مستمرة بل صيرورة متدفقة وعود أبدي...إنها طاقة الكلمة المدوية لما تكون من نبع الروح والعاطفة الجياشة والرومانسية الطاغية والإرادة الجبارة.

ويظهر التزام الشابي بقضايا وطنه من خلال نشر الوعي، وإيقاظ أبناء وطنه من سياتهم ليفتح أعينهم على ما هم فيه. وما ينبغي أن يفعلوه للتعجيل في يوم الخلاص، وإدراك الحياة العزيزة والسعيدة فيقول: <sup>2</sup> 1  
 لك الويل يا صرح المظالم من غد ذا هبّ المستضعفون وصمموا

1 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 161.

1 المرجع السابق، ص 136.

2 المرجع السابق، ص 120.

إذا حطم المستعبدون قيودهم      وصبوا حميم السخط أيان تعلم  
أغرك أن الشعب معض على قذى      وأن الفضاء الرحب وسنان، مظلم  
ألا إن أحلام البلاد دفيننة      تجمجم في أعماقها ما تجمجم  
هو الروح، إذ هب الضعيف ببأسه      ستعلم من منا سيجرفه الدم  
إذا سعت الجبار تحت قيوده      يسيخ لأوجاع الحياة ويفهم

يبدو الشابي من خلال القصيدة متقائل بمستقبل الشعب، واثق كل الثقة من أن الظلام لا بد أن يهزم في البلاد في يوم من الأيام وهذا في البيت الأول من المقطوعة الشعرية السابقة.

ولا ريب أن هذه القصيدة تحمل في طياتها أمال تونس وأمال كل تونسي وأحلامه فيعبر الشاعر عن مكنون الأناة بعمق وإخلاص، وهذا ما قاله في البيت الرابع من المقطوعة. غير أن المستبددين كانوا ظالمين ومضطهدين في هذه البلاد فكلما ظهر الحق واجهوه بالحرب والتتكيل بالشعب، وأذاقوه مرّ العذاب ظانين أن ذلك يثني الشعب عن حب البلاد وإرادة النضال إلا أن اضطهادهم كان يذكي فيهم جذوة الوطنية ويزيدهم عزما وتصميما.

كما نجده يحث على ضرورة التحلي بالعزيمة والتحدي والإصرار في الحياة ومواجهة المشاكل فيقول:2

ضعف العزيمة لحد في سكينته      تقضي الحياة بناه اليأس والوجل  
وفي العزيمة قوات مسخرة      يخر دون مداها الشامخ الجبل  
والناس شخصان ذا يسعى به قدم      من القنوط وذا يسعى به الأمل  
هذا إلى الموت والأجداث ساخرة      وذا إلى المجد والدنيا له خول  
ما كل فعل يجبل الناس فاعله      مجدا فإن الورى في رأيهم خطل

يرى الشاعر من خلال أبيات القصيدة أن العزيمة شرط ضروري لدوام الحياة، ويشبه غياب الأمل والعزم باللحد الذي ملؤه اليأس والأوجاع والخوف في حين أن العزيمة قوة تقهر الجبال الشامخات، لذا الناس نوعان: منهم من يسري في داخله وفي وجدانه ومنهم من يسري في وجدانه الأمل والقوة والعزيمة والشباب، فنجده طامحا للمجد والاعلا فيكون الناس له خدم، فالناس مع القوي لامع ضعيف الإرادة.

فالوطنية شعور ذاتي يرضخ الإنسان بموجبه الى دوافع نفسية ومنازع ذاتية يتألب مع المجموعة البشرية المنتمي إليها تألبا وجدانيا انفعاليا، والشعور الوطني عند الشابي حاد يصل إلى الذوبان والانصهار في الرمز الوطني، فتقوم بين الشاعر ورمز عاطفته علاقات من الحب والإخلاص ثم النضال والفداء.

يقول " شوقي ضيف " في كتابه " دراسات في الشعر المعاصر ": >> وهذا الشعر السياسي أو الوطني كان منتشرا في كل بلاد الشرق الأوسط في مصر والشام والعراق ولكن شاعرا لم يبلغ في هذا البلدان ما بلغه الشابي في تونس <<. <sup>1</sup>

1 خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، ص 159.

2 أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 129.

من خلال هذا القول نتأكد بأن الشابي كان رجلا يسري في دمه حبه لوطنه وللحرية والكرامة، فقرأتنا لشعره نجد فيه هموما روحية أكثر ما هي مادية وكان حزينا وهذا الحزن امتدت جذوره الى واقع المجتمع الذي كان يثير الكآبة والحزن في نفسه، فجسد هذه الأحزان والهموم ونسجها في أشعاره فتمثلت تلك الوطنية.

ولشدة هذا الشعور الوطني لم يعطي الشابي مفهوم للوطنية بل عبّر عنها بثورة عارمة ضمّنها في شعره، فكان ثورته على الشعب والظلم والاستبداد وهذا ما نستشقه من وطنية شاعر أحبّ وطنه وأراد له الأفضل. تمثل علاقة الشابي بتونس مثلا أعلى للانتماء الوطني، فهو لم يتلون لأي لون آخر عاش فيه أو حضارة عايشها، إذا بقي مشدودا إلى المركز العاطفي والفكري والثقافي والحضاري الذي أكسبه قيمة وجود وأصالة انتماء.

فكثيرا ما يعبر الشاعر عن مشاعره الوطنية بلغة صادقة، ولسان الجماهير العربية في مناسباتها المؤلمة، فيجدون فيه العزاء والسلوان وأنه يخاطبهم من داخلهم وليس من الأبراج العاجية، فهو واحد منهم.

من أولئك الشعراء المعاصرين الذين أدركوا الشعر الجديد برسالته الجديدة، والتي لا تنم عن مجرد مدح وتمجيد لكل ما الوطن من عناصر وصفات وتقاليد وعادات، فهو إنما يتخذ الشعر أداة لتحذير الأمة نحو محاولة للتغيير، ويرى أن الوطنية الصحيحة، هي التي تعترف بالعيوب في صراحة تامة كخطوة لازمة نحو محاولة علاجها، ومن هنا أجازوا لأنفسهم أن يشرحوا تلك العيوب والنقائص الوطنية تشريحا لم يخلوا من قسوة فيقول: 2

شردت عن وطني السماوي الذي ما كان يوما واجما مغموما  
شردت عن وطني الجميل.. أنا الشقـ ي فعشت مشطور الفؤاد يتيما  
في غربة روحية ملعونة أشواقها تقضي عطاشا هياما

إنّ تونس وطن الشاعر ومسقط رأسه، وموضع هواه ومرتع طفولته وصباه فهذه القصيدة تثبت ذلك الهوى وتصور مقدار حبه له. فالقصيدة تجسد عبر الفعل (شردت) معاناته التي وقعت له قهرا عنه بفعل قوى خارجية وحاول منها، وهذا الفعل يحمل في ثناياه التعذيب والحزن والأسى الذي كرره بشكل متوال وكان تشريده عن وطنه وعن الدنيا بكل ما فيها، ولذلك وصفها بأنها (غربة روحية ملعونة) فخلق مع كل فعل صورة من صور والتشريد.

إذا ما نراه في وطنيات الشابي هو حنين مشوب ووجد صادق، وعاطفة محتدمة وخيال ساحر، وتغن بجمال موطنه وشعور عميق ولوعة صارخة عميقة ونغمات فيها عنف ورقة واضطراب واثارة، فإنه يتغنى في هذا الشعر بحب وطنه والهيام به ويجهر بأنه من الجنود الذين يبذلون دمايمهم رخيصة في الدفاع الوطن.

ورد في ديوان الشابي حوالي واحد وتسعون (91) قصيدة شعرية، من بينها ثلاثة عشر (13) قصيدة تدور حول المضامين الوطنية ثلاثة منها في الشعر القومي وعشرة في شعر الكفاح والنضال ضدّ المستعمر.

و من أبرز سيمات وطنيات الشابي تحسره على الوضع السائد للوطن و التزامه لمعالجة مشاكل مواطنيه، هذا الالتزام الذاتي الناتج عن معاناة داخلية للواقع الذي يعيشه شعبه، وإنه يحاول من خلال أشعاره الوطنية

أن يلعب دورا فاعلا و يكون داعيا لحركة إصلاحية اتجاه أبناء وطنه، و بعبارة أدق إنَّ وطنياته تعبر عن نوع من قلق اجتماعي سببه الفصل الطبقي بين المواطنين و كذلك الفقر و الضعف و الحرمان و الجهل الذي أصيب به، فهو يبحث عن وطن مثالي لأبناء شعبه، بعيدا عن المعاناة و المعوقات و القيود الطبقية و بما أنَّ الوطن رمز لهوية الشاعر فإنَّ الدفاع عنه يعتبر من أسمى الملامح المقاومة للشاعر .

كما نلاحظ قصيدة (إرادة الحياة) للشابي هي قصيدة الانتفاضة التونسية حقا أخذت إيقاع الشارع، و إيقاع المظاهرة، و رائحة الغاز المدمع الذي يختلج الصدور، فكانت تلك الكلمات تبعث الأمل و تقتل اليأس في النفوس رغم مرور ستة و سبعين عام (76) على قائلها فما هي تبعث و تعود من جديد فتشهد حياة شعب و انبعاث أمة، تشهد تحولا سيفرض نفسه يوما على الواقع لا محال...و سيشرق يوما جميل، إنها حتمية انصار الاستضعاف الذي سينهي عصر الطواغيت، ستة و سبعون عاما مرّت على وفاة شاعرنا و بالرغم من ذلك ضلَّ أبو القاسم عنوان حرية الشعب التونسي و نشيد ثورته فكانت كلماته عرائس من نور دبّت فيها الروح من جديد و سرت فيها الحياة.

#### رابعا: احتقار الذات للثقافة العربية والمحلية

إن الحياة الاجتماعية هي انعكاس لما في المجتمع من نظم في الحكم أو تقدم أو تخلف في مناحي الحياة، والمجتمع السليم هو الذي تتضامن وحداته في حياته ووجود الأدباء ليس عيبا في الأمة، بل هم هداة الطريق، وهم مرآتها الصافية النقية التي ينبغي أن تصور ألامها وأمالها ومواقعها وكل ما حملت به في الماضي وتحلم به في الحاضر، وأن الأديب من أمته ولها يذيع أفكارها ومشاعرها وكل ما هزّها وأثر فيها من أحداث ظاهرة أو باطنة.

والأديب وإن بدا في أدبه منفصلا عن مجتمعه فإنه يتصل به وبقيمه، إذ أنه لا يستطيع أن يعيش يوما منعزلا عن مجتمعه فالأديب أو الشاعر يصور نفسه أو المجتمع أو صور الحياة الإنسانية العامة فإنما يصدر عن روح مجتمعه وروح أفراده، وبذلك يستمد حبا لعواطفه ومشاعره وهو حين يصور نفسه في عمله إنما يصور من خلال ذلك مجتمعه والأديب أو الشاعر يلعب دورا كبيرا في ثورات الشعوب وحركاتها الاستقلالية والاجتماعية إذ أنه محرك لإرادة الشعوب ومصور لواقع المجتمع.

لقد كان المجتمع التونسي في زمن الشابي مفككا يتفشى فيه الجهل والظلام والأوضاع الاجتماعية الرجعية، مجتمعا ضعيفا يسيطر عليه الجمود والخمود، مجتمعا تضافت عليه وسائل الهدم متمثلة في الرجعية المتأمرة بأفكارها العميقة التي تدعي أن كل مجدد ثائر عاق للدين ومتمثلة في القوى الفرنسية الاستعمارية الغاشمة المتعسفة التي تعمل على نشر الفقر و الجهل و الظلام و المرض و إلى كل ما يقتل روح الحياة في المجتمع فكان على الشابي إذن أن يكافح ليبين المجتمع الذي يريده و يهدم الحواجز التي تعوقه، فثار على تلك الأوضاع الاجتماعية و القيود الرجعية و خرجت أشعاره صارختا بالتجديد و البناء و الإصلاح و محاربة الأوهام و المؤتمرات الاستعمارية و القضاء على أوصاب المجتمع.

فتناول في شعره صورة الذات (الأنا) والتي هي الشرق ويقصد بها تونس (خاصة في ديوانه) الجمود والضعف والتخلف والخنوع وبالضبط في قصائده الخمسة هي الصيحة ويا ابن أمي والنبي المجهول، وإلى حماة الدين، وإلى الشعب.

ويجمع فيها بين حالة الشعب التونسي في أواخر العشرينات ومطلع الثلاثينات وبين تحريض الشاعر شعبه على الخروج مما هو فيه وتغيير ما بنفسه خاصة ملامح تفشي الجهل وعدم الوعي فيقول: 1

يا قوم مالي أراكم	قطنتم الجهل دارا
نبذتم العلم نبذا الـ	نوى قلبي وصغارا
أضعتم مجد قوم	شادوا الحياة فخارا... <sup>1</sup>

• • •

ويقول: 2

سكتم، حماة الدين، سكتة واجم	ونتمتم بملء الجفن والسيل داهم
فو الحق ما هذي الزوايا وأهلها	سوى مصنع فيه تصاع السخاء

وهنا يصور غفلة الناس في تونس عن أسباب التقدم إلى فهم ساذج جاهل للدين وتخلف رجال الدين عن أداء واجبهم الاجتماعي التاريخي المتمثل في توعية المتدينين.

ويبدو ذلك أيضا في حالة الخنوع واليأس وفقدان الحس التاريخي الذي ينبه الشعوب بأن الحماة تتغير من حولها والعالم يتطور وأن تنتبه إلى حاضرها لتحسن أوضاعها وللشبابي في ذلك قول كثير فيقول في قصيدته وإلى الشعب: 1

إن يمّ الحياة يدوي حواليك	فأين المغامر المقدام؟
أي عيش هذا؟ وأي حياة؟	(رب عيش أخف منه الحمام)
قد مشت حولك الفصول وغنتك	فلم تبتهج، ولم تترنم
يا إلهي! أما تحس؟ أما تشدو؟	أما تشتكي؟ أما تتكلم؟
أنت يا كاهن الظلام حياة	تعبد الموت! أنت روح شقي!
والشقي الشقي في الأرض قلب	يومه ميت وماضيه حي.
فألزم القبر فهو بيت شبيهه	بك في صمت قلبه وخرابه
الأمس واذكر صور الماضي	فدنيا العجوز نكري شبابه <sup>2</sup>

وتمثلت ثورة الشبابي الوطنية في تلك القصيدة التي قالها ليلهب بها حمية شعبه، ويثور في وجه المستعمر حيث يقول: 2

1 احمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشبابي ص 80

2 المرجع نفسه، ص 137

1 المرجع السابق، ص 131/133.

2 المرجع السابق، ص 71-70 وينظر أغاني الحياة ص 167.

إذا الشعب يوما أراد الحياة	فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد الليل أن ينجلي	ولا بد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة	تبخر في جوها، واندثر
فويل لمن لم تشقه الحياة	من صفة العدم المنتصر
كذلك قالت لي الكائنات	وحدثني روحها المستتر
ودمدمت الريح بين الفجاج	وفوق الجبال وتحت الشجر
إذا ما طمحت إلى غاية	ركبت المنى، ونسيت الحذر
ولم أتجنب وعر الشعاب	ولا كبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال	يعش أبد الدهر بين الحفر
فعبت قلبي دماء الشباب	وضجت بصدري رياح آخر...
وأطرقت، أصغي لقصف الرعود	وعزف الرياح، ووقع المطر
وقالت لي الأرض-لما سألت:	أيا أم هل تكرهين البشر؟
أبارك في الناس أهل الطموح	ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لا يمشي الزمان،	ويقنع بالعيش عيش الحجر
هو الكون حي، يحب الحياة	ويحتقر الميت، مهما كبر
فلا الأفق يحضن ميت الطيور،	ولا النحل يلثم ميت الزهر
ولولا أمومة قلبي الرؤوم	لما ضمت الميت تلك الحفر
فويل لمن لم تشقه الحياة،	من لعنة العدم المنتصر

هنا الشاعر يستثير أمته العربية كي تنهض لتتأثر لكرامتها، وتدمر الآخر (المستعمر) وترمي به إلى ما وراء البحر، لأن أمته وشعبه لا يستطيع أن يحيا حياة كريمة إلا إذا ثار في وجه الطغاة واقتحم على العدو وحصونه وقيوده ولن يخرج الشعب من حالة الموت التي يحيا فيها إلى حالة الحياة إلا إذا تحرك فيه دافع

الحياة، وظهرت إرادته وعزمه وهذه الإرادة لا تتجم إلا من حرارة الشوق التي بداخله، وإذا خمد شوق الحياة لديه فقد الطموح في أن يحيا حياة كريمة وصار حيا كأنه ميت أو العكس.

فاستعماله الألفاظ الدالة على استبدال المستعمر (الأخر) وطغيانه مثل (للقيد، ينكسر، اندثر، الحفر، قصف الرعود، الخطر، ميت الطيور، ...) في نفس الوقت استعمل الألفاظ الدالة على الطموح والإقبال على الدنيا مثل: (الحياة، طمحت، لبست المنى، خلعت الحذر، الكون الحي يحب الحياة).

فالأولى يرفع فيها أمته لتثور ثورة فيها جرأة حتى تغتدي نفسها وتأثر لكرامتها وعزتها، والثانية يعبر بها عن إقباله على الدنيا ورفضه عيش الذل والاستكانة، وهذا يدل على بصره وتمكنه من لغته الشعرية.

فيحدد الدكتور عبد القادر القط الجديد في هذه القصيدة فيقول: >> إن الجديد هو ما بها من تعميم يقوم على عرض الفكرة التي يحولها الشاعر من خلال وجدانه ومجتمعه والصورة الرومانسية إلى إحساس كاليقين بإرادة الحياة وبأنها تمضي في دورات متعاقبة، يبدو بعضها وقد شاع فيه وهو ليس في الحقيقة إلا مرحلة من مراحل الانتقال والتهيو لحياة جديدة، ويتخذ الشاعر من البذرة التي تدفنها ثلوج الشتاء حتى يأتي الربيع فتورق وتزهو وتثمر من جديد رمزا لهذا التجدد الدائم <<1.

وهو يرمز إلى ما تعاني منه الشعوب من خمود وخمود يدل على اليأس والبأس، وإن انطوى على إرادة الحياة الكامنة التي لا يفضي إليها إلا كل ذي إرادة تتخطى لحظات اليأس والقنوط.

ولقد أشار الشابي في مقدمة قصيدته، ثم عاد وصرح به مرة أخرى في ختامها حيث يقول: <sup>12</sup>

وأعلن في الكون أن الطموح لهيب الحياة وروح الظفر

إذا طمحت للحياة النغوس فلا بد أن يستجيب القدر

وتتجلى شاعريته في ربطه أول القصيدة بآخرها، فالشطر الأول من البيتين الأول والأخير فيها إرادة وطموح الحياة فيقول (أراد الحياة)، (طمحت للحياة نفوس) وكرر الشطر الثاني بأكمله في البيت الأخير (فلا بد أن يستجيب القدر) حيث الرجاء والأمل في نصره الله عزو جل.

وتبدو صيحاته الثورية في هذه الأبيات بأسلوب ثائر متمرد والتي يقول فيها: <sup>1</sup>

أيهما الشعب لييتي كنت حطابا	فأهوى على الجذوع بفأسي!
لييتي كنت كالسيول إذا سالت	تهد القبور رسا برمس!
لييتي كنت كالرياح، فأطوى	كل ما يخنق الزهور بنحسي!
لييتي كنت كالشئاء أغشى	كل ما أذبل الخريف بقرسي!
لست لي قوة العواصف يا شعبي	فألقي إليك ثورة نفسي!
ليت لي قوة الأعاصير، إن ضجت	فأدعوك للحياة بنبسي!
ليت لي قوة الأعاصير الكن	أنت حي يقضي الحياة برمس!

1 عبد القادر قط، الاتجاه الوجدان في الشعر العربي المعاصر، ص 312.  
2 احمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي ص 73، وينظر أغاني الحياة ص 170.

إلى أن يقول:

انني ذاهب إلى الغاب يا شعبي لأقضي الحياة وحدي بيأس

في هذه الأبيات من قصيدة (النبي المجهول) يمزج الشاعر بين عواطفه الذاتية ومشاعره الوطنية حيث يتمنى أن لو كانت له قوة السيول والشتاء والعواصف والأعاصير والرياح ليقضي على كل ما يشيع القبح والهوان في الحياة لكنه يصب غضبه على شعبه حين يتجه إلى الغاب ليدفن فيها بؤسه و يأسه، فحبه لشعبه تركه يطلق هذه الصيحات كي تثير فيه الحمية و روح الثورة ليهدم أعدائه، و بهذا يعبر عن مكنون نفسه و ذاته نحو وطنه لأنه يشعر بالآلمه و يشهد جبروت عدوه و محاولته لإخماد كل صوت حر فالشاعر قد سئم النصح و الدعوة إلى الجهاد و الدفاع عن الوطن لأن النصح لم يقع موقعه فذرفت عيناه بالدمع فقال: <sup>12</sup>

لست أبكي لعسف ليل طويل أو لربيع غدا العفاء مراحه

إنما عبرتي بخطب ثقيل، قد عرانا ولم نجد من أزاحه

كلما قام في البلاد خطيب موقظ شعبه يريد صلاحه

ألبسوا روحه قميص اضطهاد فاتك شائك يرد جماحه

أخمدوا صوته الإلهي بالعسق، أماتوا صداحه ونواحه

وتوخوا طرائق العسف والا هاق تواء، وما توخوا سماحه

هكذا المخلصون في كل صوب رشقات الردى إليهم متاحه

والشاعر يطالب شعبه باقتلاع جذور الاحتلال من الوطن فيقول: <sup>1</sup>

كل قلب حمل الخسف وما مل من ذل الحياة الأردل

كل شعب قد طغت فيه الدما دون أن يثار للحق الجلي

خله للموت يطويه! فما حظه غير الفناء الأنكل

ومرد سئم الشاعر فيما سبق إلى اضطهاد من يقوم بالنصح والإصلاح حيث يرد جماحه ويخمد صوته، وتوجه إليه سهام الردى ورشقات الموت، وذلك في قوله (ألبسوا روحه قميص اضطهاد) ويردون جماحه وأماتوا صداحه ونواحه وكشف من خلال استعماله للأفعال الماضية (ألبسوا، أخمدوا، أماتوا، توخوا) عن سرعة الهدم والاضطهاد لذا نرى الشاعر يثير همة شعبه الذي يغض في بحور الضعف والاستكانة فيقول: <sup>2</sup>

<sup>1</sup>المرجع السابق، ص 93 ، وينظر: أغاني الحماة ص 13.  
<sup>2</sup>المرجع السابق، ص 161، 160 وينظر أغاني الحياة ص 13.

أين يا شعب قلبك الخانق الحساس؟ أين الطموح والأحلام؟  
 أين يا شعب روحك الشاعر الفنان؟ أين الخيال والإلهام؟  
 أين يا شعب فنك الساحر الخلاق؟ أين الرسوم والأنغام؟  
 أين يم الحياة يدوي حواليك أين عزم الحياة؟ لا شيء إلا أين المغامر المقدام؟  
 الموت والصمت والأسس والظلام

فالشاعر هنا يستنكر الرضوخ والخنوع للآخر المستعمر والمستبد فيطالبه بالثورة على من سلبوه حقه وأن ينهض من كبوته ويفيق من غفوته وذلك بالاستفهام التوبيخي والفعل المضارع الذي يشير إلى استمرارية الإنسان في واقعه الأليم (ترضى، تجنى، تسكت، تخشى، تهرب...) فقال: 3<sup>1</sup>

فمالك ترضى بذل القيود وتحنى لمن كبلوك الجباه؟  
 وشكت في النفس صوت الحياة القوي إذا ما تغنى صداها؟  
 وتطبق أجفانك النيرات عن الـ فجر، والفجر عذب ضياه  
 وتقنع بالعيش بين الكهوف، فأين النشيد؟ وأين الإياه؟  
 أتخشى نشيد السماء الجميل؟ أترهب نور الفضاء في ضحاه؟  
 ألا أنهض وسر في سبيل الحياة، فمن نام لم تنتظره الحياة؟  
 ولا تخشى مما وراء التلاع... فما تم إلا الضحى في صباه...

وفي البيتين الأخيرين نجد الشاعر لجأ لأسلوب الأمر في قوله:  
 (انهض، سر) والنهي في قوله (لا تخشى) لذا حثّ الشابي أبناء وطنه على النهوض بعزم فيقول: 4

يا بني الأوطان هبوا وانهضوا نهضة جبا  
 فلقد طال الوجوم ر بعزم مستقيم

وبين سر النهوض بعزم مستقيم في قوله: 1

لا ينهض الشعب إلا حين يدفعه عزم الحياة إذا ما استيقظت فيه  
 والحب يخترق الغبراء مندفعاً إلى السماء إذا هبت تناديه  
 والقيد يألفه الأموات ما لبثوا أما الحياة فيبليها وتبليه

كما نجد الشاعر يتعجب من صمت قومه تجاه القضايا التي تستهدف وجودها وتعجب من عدم شكواه لأن الشكوى يكون فيها الإحساس بالألم، فوصفه بالميت أو أنه بين الحياة والموت وهذا في قوله: 2

قد مشت حولك الفصول وغنتك فلم تبتهج ولم تترنم  
 ودوت فوقك العواصف وأنواء حتى أوشكت أن تتحطم

1 احمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي ص 123، وينظر أغاني الحياة ص 14.

2 المرجع نفسه، ص 130 وينظر: أغاني الحياة ص 175.

3 المرجع نفسه، ص 159 وينظر أغاني الحياة ص 88.

4 المرجع نفسه، ص 128.

وأطافت بك الوحوش وناشتك  
يا إلهي أما تحس؟ أما تشدوا؟  
هل نهر الزمان أيامك الموتى  
أنت لا ميت فيبلى، ولا حي  
أبدا يرمق الفراغ بطرف  
أي سحر دهاك هل أنت مسحور  
فلم تضطرب ولم تتألم  
أما تشتكي؟ أما تتكلم؟  
وأنقاض عمرك المتهدم  
فيمشي، بل كائن ليس يفهم  
جامد، يرى العوالم مظلم  
شقي؟ أم ماردن يتهكم؟

لذا فهو يصنف الناس في مجتمعه إلى صنفين: يائس ومستبشر ومتعاس، وعامل فيقول: 3  
الناس شخصان، ذا يسعى به قدم  
هذا إلى الموت والأحداث ساخرة،

وتشتد ثورته على مجتمعه واحتقاره فيقول: 4

أيها الشعب؟ انت طفل صغير  
أنت في الكون قوة، لم تسسها  
أنت في الكون قوة، كبلتها

وفي أبيات أخرى يتحدث الشاعر عما في مجتمعه من مناقضات وانحراف النفس الإنسانية فيقول: 5

كرهت القصور وقطافها  
وكيد الضعيف لسعي القوي  
وجاشت بنفسي دموع الحياة  
لقلب الفقير الحطيم الكسير  
وما حولها من صراع عنيف  
وعصف القوى بجهد الضعيف  
وعجت بقلبي رياح الصروف  
ودمع الأيامي السفيح الذريف

ويزداد حزنه واحتقاره عندما شاع في مجتمع المدينة من انحراف ومظاهر فاسدة، فيقول: 1

ماذا أود من المدينة وهي غا  
ماذا أود من المدينة وهي لا  
ماذا أود من المدينة وهي لا  
ماذا أود من المدينة وهو مر  
رقة بموار الدم المهدور؟  
ترثي لصوت تفجع الموتور؟  
تعنو لغير الظالم الشرير؟  
تاد لكل دعاة وفجور؟

فهنا يعبر عن ضيقه وضجره وقهره من نقشي القسوة والظلم والمظاهر الفاسدة في مجتمعه، ويعلن رفضه لتلك

الأمراض الاجتماعية التي شاعت في مجتمعه، وهذا ما دعاه يقول عنهم: 2

أي أناس هذا الوري؟ ما أرى  
إلا برياً شقية مجنونة

1 المرجع السابق، ص 181 وينظر: أغاني الحياة ص 116.

2 المرجع السابق، ص 131 وينظر: أغاني الحياة، ص 175.

3 المرجع السابق، ص 120 وينظر: أغاني الحياة، ص 17.

4 المرجع السابق، ص 94، 95، وينظر: أغاني الحياة، ص 103.

5 المرجع السابق، ص 104، وينظر للحياة، ص 62.

س من الشر، كي تجن جنونه  
ن وصلت له وشادت حصونه

جبلتها الحياة في ثورة اليأ  
فأقامت له المعابد في الكو

كما نجده تعجب من إنسان لا يلقي بالا لما يحمله الناس من هموم ولا مما يصيبهم من ألم فتأثر تأثراً كبيراً خاصة وأنه عانى حالة اليتيم التي أحاقت به من قبل، فجعلته يبكي للمحرومين والمظلومين، ويثور على المنعمين الذين لا يبذلون لهؤلاء جميلاً أو معروفاً فيقول: 3<sup>1</sup>

عجا للنفوس، وهي بواك،  
كيف تشدو في محاجرها الدمع،  
يا رفيقي لقد ظلت طري  
خذ يكفي، فإنني تائه،  
وانفخ الناي فالحياة ظلام  
ملء أفاقه فحيح الأفاعي  
فانفخ الناي إنه هبة  
واغذ السير فالنهار بعيد

عجا للقلوب وهي دوام  
وتلهو ما بين سود الموامي  
قي وتخطت محجتي أقدامي  
أعمى كثيراً الظلال والأوهام  
ما لمرتاده من الهول حام  
وعجيج الآثام والآلام  
الأملاك للمستعيز بالإنهام  
وسبيل الحياة حم الظلام

فاحتقار الذات التي هي الشرق في شعر الشابي يكاد ينحصر في تونس الخاضعة في زمنه للحماية الفرنسية، وفي الشعب التونسي الأمي الجاهل الفقير المغلوب على أمره الفاقد الوعي والحس الزمني، المتوقع على ذاته القانع بحظه البأس الملتفت إلى الماضي في شتى مجالات حياته ويضطلع الشابي، من منطلق إيمانه برسالة الشاعر الرومانسي وبالقوة الكامنة في شعبه، بمهمة تحريض أبناء وطنه على تكسير أغلالهم وتغيير حالهم، متخذاً في ذلك، إما أسلوب الحث والتنبية وهذا ما رأيناه فيما سبق خاصة في قوله: 4

أفيقوا قليل النوم ولى شبابه  
ولاحت الآلاء الصباح علائم

أو يعتمد أسلوباً ثائر متمرداً ولهجة غضب وسخط خاصة في قصيدة النبي المجهول فيقول:

أيها الشعب لييتني كنت خطاباً  
فأهوى على الجنوع بفأسي

إل لأن يقول: 1

أنت في الكون قوة لم تسسها  
أنت في الكون قوة كبلتها

فكرة عبقرية ذات بأس  
ظلمات العصور من أمس أمس

1 ديوان أبي القاسم الشابي، ص 85 وينظر أغاني الحياة، ص 56.

2 المرجع نفسه، ص 172 وينظر أغاني الحياة، ص 119.

3 المرجع نفسه، ص 145.

4 المرجع نفسه، ص 137.

ولتونس وشعبها، ولمن وراءه من شعوب الشرق المقهورة أراد الشبابي الحياة في قصيدته الشهيرة >> إرادة

الحياة<< حيث قال: 2

وقالت لي الأرض-لما سألت أيا أم هل تكريهين البشر؟

أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر

وألعن من لا يمشي الزمان ويقنع بالعيش عيش الحجر

وكل هذا نجده في موقفه تجاه الشعب الذي لم يلتفت إلى صفاء نهجه وسمو رسالته فكان يلجأ إلى النعمة عليه

واحتقاره لسقوطه في ظلام الجهل وخنوعه وفي ذلك يقول في إحدى رسالة لصديقه الحليوي: 3

>> شكوت يا صديقي من جمود الشعب وركود الأدب، وموت أحلام الأديب وشكوت من قسوة هاته الحياة

التي تخبر الواحد منا على أن يحيا حياة السوق والرعاع، حياة السخافة والجمود حياة المادة الصماء الضيقة

التي لا ترحم فكرا ولا عاطفة ولا خلايا <<

كان الشبابي تواقا للتغيير، فأخذ يقرأ شعراء المهجر وخاصة جبران خليل جبران في ثورة على العديم والتمرد

على الجمود والركود، وظل طيلة حياته يستمد قوته لمواجهة خصومه وقد أصيب الشبابي كما أصيب جبران

بنتائج هذه الثورة بالخروج على الدين.<sup>1</sup>

1 ديوان أبي القاسم الشبابي، ص 95.

2 المرجع نفسه، ص 71.

3 محمد الحليوي: رسائل الشبابي، مؤسسة جابر عبد العزيز، ط1، دار المغرب العربي تونس 1994، ص 98.

الفصل

الثاني

## الفصل الثاني

### صورة الآخر بين التقبل و الرفض

أولاً : الثقافة الجديدة أو سحر الغرب

ثانياً : اتصال الذات بالآخر

1- التكرار ، التضاد ، النداء و الصفة ، صيغ أخرى

2- الاستعارة ( التشخيص و التجسيد )

3- التشبيه

4- الأسطورة و الرمز

ثالثاً : الوطن في وجه الاستعمار طغاة العالم

1- موقفه السياسي

2- موقفه الثوري

3- موقفه من القضايا الاجتماعية

4- موقفه القومي و الإنساني

## أولاً : الثقافة الجديدة أو سحر الغرب .

نهل " الشابي " العلم منذ الصغر ، وواكب على كتب الأدب و الكتب الدينية و دواوين الشعراء قديمها وحديثها ، فظهرت موهبته الشعرية ، فقد كان تواقاً للتغيير من عمود الشعر العربي القديم في عصره ، فتعددت و تنوعت القوافي في القصيدة الواحدة ، و تنوع في أشكال القصيدة من عمودية إلى موشحات ، فهو من أتباع المذهب الرومانسي القائم على الخروج عن أساليب الشعر القديم <sup>1</sup>.

و من خصائص المذهب الرومانسي التي نجدها عند " الشابي " قلة استعماله الألفاظ الإسلامية، فلا نلمح من التراث الديني عنده سوى ما يتعلق بقضية الإيمان بالقضاء و القدر ، و قضية الموت التي كان لها اثر في شعره ، و الميل إلى الطبيعة و التغني بها ، و هذا ما نجده بشكل بارز في ديوانه ، فهو لم يضيفها لغرض وضعها فقط بل عمل رسمها و إظهارها بعينه و نفسيته ، فالبسها حزنه تارة و فرحه تارة أخرى ، فظهرت من خلالها عاطفته و أفكاره حيث يقول :

أصبح الصبح يغني الحياة الناعسة و الربى تحلم في ظل الغضون المائعة <sup>1</sup>.

فقد تمعن " الشابي " كثيراً بمصادر الثقافة و الأدب و الفلسفة ، فوجد الفراغ بين الواقع و الطموح الناابت بتلك النفس الباحثة عن الحياة ، من خلال التآلف بين الانفعال و الخيال ، لذلك امتلك روحاً شاعرية تصدر عن الضمير الحي، و صارت وجه الباطل بكل أشكاله ، و كانت أشعاره تصدر عن فهم عميق لحقائق الكون عبر فلسفة واضحة في بحثها الدؤوب عن صورة الحق و الخير و الجمال ، و ما قرأه عن شعراء العصر الحديث في الشرق خاصة لجبران خليل جبران في ثورته على القديم و التمرد على الجمود و الركود ، وظل طيلة حياته يستمد قوته لمواجهة خصومه من ذلك النبع الصافي الرقراق . <sup>2</sup>

و يبدو ذلك واضحاً عند الشاعر من خلال قوله في رسالة لصديقه محمد الحليوي : " إن الفنان يا صديقي لا ينبغي أن يصغي لغير ذلك الصوت القوي العميق الدوي في أعماق قلبه .... "

1 - أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 152.

2- خليفة محمد التليسي ، أشابي وجبران ، ص 189 .

يعطي الشاعر رأيه بالفنان الحقيقي، بان الفنان يجب أن يصدر فنه عن الوجدان بعيدا عن التكلف، ولا يجعل فنه من اجل التكسب بل يرتقي به و يجعله في خدمة الأغراض الإنسانية باعثا فيه الحياة و الاستمرار، فقد جعل الشاعر شعره هادفا يحمل رسالة كبرى تجاه الحياة ، فقد تخلص من رق المديح و ما يتصل به ، و اتجه إلى نفسه و عصره و أمته من خلال تيار مندفع لا ينقطع و لا ينفصل عن أي قصيدة أو أي مقطوعة ينظمها ، و يؤكد موقفه من الشعر فيقول في قصيدة " شعري " :

لا انظم الشعر أرجو                      به رضاء الأمير  
بمدحه أو رثاء                              تهدي لرب السرير  
حسبي إذا قلت شعرا                      أن يرتضيه وجودي<sup>1</sup>

كما يحدثنا "الشابي" في مقدمة ديوان الينبوع لأبي شادي، فيقول: "كذلك يصنع الشاعر الفنان ، و كذلك ينبغي أن يصنع ، فهو لا يستطيع أن يخرج عن نفسه التي بين جنبيه ، و ما في هذا العلم من سحر و لذة و الم، و ما خلفته الإنسانية من فن و رأي و دين ، و لكنه حين يتحدث إلينا بذلك في آثاره لا يتحدث إلا بعد أن يحيا في قلبه، و يتوهج في حياته و يتضرح بأضواء المشرقة، فتبرز آثاره إلى الدنيا موسومة بوسمه، و مطبوعة بطابعه الذي لا يزول، و ذلك هو التجديد بمعناه الواضح الصحيح . "

فالشاعر يرى التجديد أن تفهم الحياة و أن تعيش مع قضاياها ، و يتفق في ذلك مع ما نادى به الرومانسيون ، و يظهر ذلك من خلال الوعي بالرومانسية و اختيارها كمذهب جليا عند ظهور مجلة العالم الأدبي و اتصال الشابي و الحليوي بمجلة ابولو، و من خلال النظرة السريعة لقصائده ، نستطيع أن نتبين رأي الشاعر الفذ ، و مذهبه الشعري ، انه مذهب الحياة بما تحمله هذه الكلمة من دلالات و ظلال و قيم و أخلاق ، و قد بين موقفه من الشعر في مواضيع مختلفة من قصائده مبينا فيها مذهبه الذي نذر نفسه لأجله ، و من ذلك قصيدة " قلت للشعر " :

أنت يا شعر فلذة من فؤادي                      تتغنى، و قطعة من وجودي  
فيك ما في جوانحي من حنين                      ابدي إلى صميم الوجود  
فيك ما في عوالي من ظلا                      سرمدي ومن صباح وليد<sup>2</sup>

1 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 26<sup>1</sup>

2 - المصدر نفسه ، ص 127.

فهو ينقلنا من صورة إلى صورة جديدة، يرسم فيها مذهبه الذي سعى إليه، وأحلامه الذي امن بها ، أما بواكير شعره فقد أخذت تظهر في الصحف التونسية منذ عام 1926 فهي تحمل نهج ثوري و شاعرية مجنحة ، كما تأثر بالأدب الغربي المترجم ، و ظهر تأثره في آثاره الأولى، لكنه بعد العشرين استقل بشخصيته الأدبية المستقلة ، وارتفع عملاقا في سماء الشعر العربي الحديث .

فيقول أبو شادي من بحث له بمناسبة صدور كتاب الأستاذ الأديب التونسي أبي القاسم محمد كرو عن " الشابى " : " .....و نحن شخصا أولعنا بالشابى لا لعبقريته الفنية فحسب ، بل الإنسانية الرفيعة لوطنيته السامية أيضا ، وهذا يدل على المكانة المرموقة التي احتلها الشاعر عند الأدباء و الشعراء معاصرين له و محدثين . " <sup>1</sup>

يعتبرا لفكر الوجودي الفلسفي في الحياة و الموت احد أساسيات شعر " الشابى " في البداية ، فكانت فكرته عنها أفلاطونية معقدة و تلك بتأثر من أحواله النفسية و هو تأمله للحياة و الموت كثير التساؤل ، فإذا كل شيء زائل لا محالة ، فما قيمة الحياة نفسها حيث يقول :

إن لم يكن لقاء المنايا      مناص لمن حل هذا الوجود  
فأي غناء لهذه الحياة      وهذا الصراع العنيف ، الشديد  
و ذلك الجمال الذي لا يمل      وتلك الأغاني، و ذلك النشيد<sup>2</sup>

وجودية " الشابى " و فلسفته غامضة تشبه وجودية طرفة في بحثهما عن الخلود و الطموح في الوصول إليه فشكل لكل منهما ، حاجز عبر كل منهما عنه بطريقته الفكرية ، فطرفه يرى أن فلسفة الموت و الحياة تنفي القيم وعليه أن يمنع نفسه و يحرمها من لذات الحياة و منعها وهو يثبت وجوده في الحياة و يصل إلى الخلود، و " الشابى " رأى في بحثه عن المثالية و عالم المثل العليا أن البشر لا يريدون المثل العليا إلا وهو منقطع عن أسباب الحياة ، و إذا وجد هذا المثل في شخص كذبوه و أهانوه و يقول :

ما قدس المثل الأعلى و جملة      في أعين الناس إلا انه حلم  
و لو مشى فيهم حيا لحطمه      قوم، وقالوا بخبث "انه صنم"<sup>3</sup>

تغنى الشاعر بالحياة وجمالها من اجل ترغيب الآخرين في أن يتوجهوا إلى دوائهم أولا فيصلحون أنفسهم، ثم يتأملون الطبيعة التي يلفت أنظارهم إلى جمالها، ليدركوا أهمية الحياة و بالتالي أهمية الحرية ، غير أن

1- أبو القاسم محمد كرو ، آثار الشابى و صداه في الشرق ، ص 15 .<sup>1</sup>

2- أبو القاسم الشابى، أغاني الحياة ، ص 178 .<sup>2</sup>

3- المصدر نفسه ، ص 152 .<sup>3</sup>

الاستجابة لدعوته لم تكن بالحجم الذي أراه فانها على الخاملين و الكسالى بالترقيع و ينصرف عنهم متوجها إلى الطبيعة متأثرا بالرومنطيين لعله يجد راحة لنفسه المتمردة ، ففي الغاب الذي توجه إليه عودة إلى الفطرة و علم الغاب بالمفهوم الرومنطقي عالم خيالي و عاطفي ، و الحديث عنه يدل على إحساس الشعر بالغربة وهو بين أهله و قومه ، هذا الإحساس يتطور مع مرور الزمن ، إذ جعل " الشابي " من الشعر منطلقا ليعبر عن ذاته من هموم ، أما طريقته في النظم فإنها تقوم على أساس منطلقات تراعي بمجملها أمرين هما :

عمق المعاني : لارتباطها بالإنسان و بالحياة و بالشعور و سهولة الألفاظ ، فهي ألفاظ لينة فيها قوة و قدرة على حمل المعاني المختلفة تتداخل من خلالها المحسوسات مما يقرب العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، و كما اهتم باللفظة المفردة و المعنى العميق .<sup>1</sup>

يرى الأستاذ مصطفى رجب أن الخصائص الرومانية تبرز عند "الشابي" في اللفظ و العبارة و الأسلوب و القلب و الدعوة إلى الطبيعة و الاستماع إلى النفس و توسيع دائرة الشعر، و ابتكارا لموضوعات و مسابرة روح الموضوع في النزعة الإنسانية ، و كان صادق التعبير دقيقا في التصوير مما كان يجيش فؤاده من حب للحياة و الطموح إلى الخلود في نغمات هادئة و طمأنينة و سلام ، فكان كل بيت من قصائده قطعة من قلبه و مزيجا من العبقرية و الإلهام و هو لا يتصنع و لا يتكلف ، بل جاءت أشعاره أنغاما تفيض على وجدانه و تتساب من أحاسيسه و مشاعره و لذلك احبه الناس ورددوا أشعاره فكان ذلك سر خلوده و خلود شعره و انتصاره.<sup>2</sup>

كان " الشابي " رومانطقي النزعة بحكم سنه و بحكم شاعريته ، و بحكم عصره و تمرسه بحياة عصره و ثقافته ، وهذا يعني انه لم يقلد أحدا في شيء مما أعطى و أنتج ، و لم يتأثر بأحد الأقدمين أو المحدثين و إنما سار مع طبيعته كشاب و أصغى إلى فؤاده كتونسي .

و قد جمع الشاعر في شعره بين التمرد و التصوف بعاطفة رقيقة و دعوة إلى الإصلاح الاجتماعي ، كما دعى إلى التحلل من قيود الرجعية و الجمود إلى حب الطبيعة ، كما ثار على عمود الشعر و أعلن تحرره من قيود اللغة و القافية سار بذلك ركب شعراء المهجر ، و اتصل بجماعة ابولو و كان بينه و بين أبي الشادي و إبراهيم ناجي رسائل جريئة في النقد الأدبي ، و قد برع في عرض شعره و تصويره و متانة أسلوبه و سعة لغته و قوة خياله جمال تراكيبه و روعة تشابيهه و استعاراته .<sup>1</sup>

1 - مجيد طراد ، ديوان أبو القاسم الشابي و رسائله ، ص 17 .

2 - يوسف عطا الله الطريفي ، أبو القاسم الشابي حياته و شعره ، ص 95 .

1 - يوسف عطا اله الطريفي ، أبو القاسم الشابي حياته و شعره ، ص 96 .

كما اخذ الشاعر من بعض الأقدمين شيئاً من الصور في بداية نظمه للقصائد خاصة انفعالات جبران و غطى بها بداية دورته الشعرية على العادات و التقاليد البالية عن الوقوف بوجه الطغاة المستعمرين و من ثم لمعت في خاطر تجاربه ومضة شعت داخل ثقافتها داخل نفسه الحالكة، فخلفت بألوان من أحاسيس و عواطف وآلام خلقها له كبر نفسه وسمو خياله ورقة طبعه، وهذا ما يظهر في قوله:

و اليوم أحيا مرهقا الأعصاب مشبوب الشعور متأجج الإحساس احفل بالعظيم و بالحقير

تمشي على قلبي الحياة، و يزحف الكون الكبير هذا مصيري، بابني الدنيا فما أشقى المصير<sup>2</sup>

و إذا انتقلنا إلى نشدان الحياة العنيفة ، يصوغها في بسمة تخنقها دمعة تهبط عليها من الظالم المستبد ، نجد يعنون مدلولها " بفلسفة الثعبان المقدس " فيرسم القوة المثقفة في كل مكان ، و كما تحدث الثعبان في شعر ذلك العنوان إلى التحرر بلغة الفلسفة المتصوفة ، حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه سماه تضحية و جعله السبيل الوحيد للخلود المقدس في قوله :

وتدوب في روعي التي لا تنته و تصير بعض الوهتي و شبابي

إني أردت لك الخلود، مؤلماً في روعي الباقي على الأحقاب

فكر ، لتدرك ما أريد، وانهاً سمى من العيشالقصيرالنابي<sup>3</sup>

كذلك تتحدث فلسفة " ألشابي " عن سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر و الأحلام ، وعندما تحاول أن تسوغ طريقته في ابتلاعها ، و العمل لقتل ميزات القومية فيسميها سياسة الإدماج ، ويتكلم كالسبيل الوحيد الذي لا بديل لهاته الشعوب ، و بلوغ الكمال الإنساني المنشود ، و لكن " ألشابي " يرى في فلسفة الثعبان فناء شنيع للحقيقة ، لا ينقص من فضاعتها و كرهها كل ما في التصوف و الفلسفة و الشعر من خيال و أحلام فيقول :

وكذلك تتخذ المظالم منطقاً عذاباً لتخفي سوء الآداب<sup>1</sup>

ويسترسل الشاعر في هذه المحكمة المستنقاة من فلسفة الحياة العنيفة ، حتى يصل إلى الإحساس العميق بالفراغ و الألم ، فنسمعه يقول :

2 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 278 .

3 - عبد المجيد الحر ، أبو القاسم الشابي حياته وشعره ، ص 142 .

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، 278 .<sup>1</sup>

أنقذيني من الأسى فلقد أم  
سيت لا استطيع حمل وجودي  
في شعب الزمان و الموت امشي  
تحت عبء الحياة جم القيود  
و أماشي الورى و نفسي كالقبر  
و قلبي كالعالم المهدود

ظلمة ما لها ختام وهول  
شائع في سكونها الممدود<sup>1</sup>

فقد كان إقبال الشاعر على جانب الحب و الجانب الآخر المتمثل في عبادة الجمال ، رأى أن الرومانطيقية هي حركة الفن و الأدب و هي ثورة على الحركة الكلاسيكية المستحدثة التي أعادت إحياء الأشكال الأدبية اليونانية و الرومانية ، و من خلال مطالعته الكثيرة لما ترجم عن رومانطيقية الغرب ، استطاع أن يضيف على شعره مسحة مستعارة من الأنماط العربية الكلاسيكية ، و أن ينسج على مثالها في حركة شعرية أطلق عليها اسم الرومانطيقية و لعل هذا المستحدث في خصائص " أشابي " الشعرية ، مستمدة من تيار رومانطريقي قوي تمثل في مدرسة الديوان التي برزت في مصر ، فخلى " أشابي " الموضوعات التقليدية جانبا و اتجه إلى ذاته للتعبير عن قضاياها الخاصة و عواطفه الجياشة ، و انطلق إلى الطبيعة فهجر المجتمع الذي عذبه و قيد حريته ، و أصبح يرى أن التوق إلى الحب و الصلاة في أحضان الطبيعة و التحرر من كل قيد مظاهر حياة جديدة يحيها و يعبر عنها في كل عمل فني ، و هذا ما يظهر في قصيدته بعنوان " يا ابن أمي " :

خلقت طليقا كطيف النسيم  
و حرا كنور الضحى في سما  
تغرد كالطير أين اندفعت  
و تشدو بما شاء وحي الإله  
و تمشي كما شئت بين المروج  
و تقطف ورد الربى في رباه<sup>3</sup>

نرى أن " أشابي " يؤكد أن الوضع الطبيعي للإنسان هو الحياة الحرة ، لان الإنسان خلق حرا و لكن هناك شرا في المجتمع يكبله و يجرده من حريته ، وهذا ما يفسر لنا سبب تعلق " أشابي " بالطبيعة على غرار بقية الشعراء الرومانطيقيين ، و يحث أبناء قومه على رفض الظلم و الثورة على الظالمين ليعيش حياة الحرية .<sup>4</sup>

- المصدر نفسه ، ص 279 .<sup>1</sup>

- عبد المجيد الحر ، أبو القاسم أشابي حياته و شعره ، ص 147 .<sup>3</sup>

- المرجع نفسه ، ص 148 .<sup>4</sup>

### ثانيا : اتصال الذات بالآخر

أكد اجزم أن العربية في شعرها الحديث لا تعرف شاعرا اتخذ من الشعر قضية يعيش من اجلها ، كما اتخذها " ألشابي " و ذلك سر من أعظم أسرار الشهرة التي يتمتع بها أدبه و التي تمد له مكانا في كل قلب ، فالشعر عنده ما تسمعه و تبصره في ضجة الريح و هدير البحار و في نسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل ، ويرفرف حولها الفراش و في النغمة المتفردة ليرسلها في الفضاء الفسيح ..وهو عنده تصوير لهذه الحياة التي يعيشها <sup>2</sup> .

و كان أهم مظهر للتجديد عنده طريقته الفنية التي كانت تتوفر على البساطة ، مع ما لديه من قدرة ، فتاتي عباراته سلسلة بعيدة عن الممارسات البديعية و المحسنات المتكلفة ، وثمة ميزة أخرى انه خالف المجددين الذين يتناولون شعوبهم ساخطين من أوضاعهم ، فأقسى كلمة نراها في ديوانه هي قوله للشعب " أنت روح غبية تكره النور " <sup>3</sup> .

إن الثقافة الشعرية و الأدبية التي طبعت عصر النهضة و الانبعاث بطابع مميز وثقافة أدباء المهجر و شعرائهم ، و ثقافة شعراء المدرسة الرومانطيقية الفرنسية و الانجليزية و الألمانية اثر بالغ في طبع شعر " ألشابي " بطابعه الخاص حيث أننا نجد في شعره تداعيات تلك الثقافة و خصائص تلك المدرسة . فالتشابه في الخصائص الفنية صفة واضحة في اتفاق الأدباء على تمجيد الفن و سمو به من الأغراض التافهة ، و لعل جبران قد ألقى في نفس الشاعر مثل هذا التغيير ، فقد كان ثائرا على الهبوط بالشعر إلى الاهتمام به وهي ثورة قام عليها صرح الأدب المهجري الذي اتخذ من الفن رسالة بعث و إحياء <sup>4</sup> .

إن الشاعر المطبوع هو الذي يستطيع أن يترجم خلجات النفس الإنسانية ، و يصور الطبائع البشرية المتباينة في أداء راق ، و تركيب سليم ، هكذا كان " ألشابي " يجمع ما تبعثر من الأحاسيس ثم يصورها و يخلع من روحه عليها بطبيعته الشاعرة ، التي تتعمق في تفسير ما يجيش في النفس تفسيراً يجعلنا نعجب بتلك العبقرية الناضجة .

هذا الشاب الذي دعى إلى تحرير الأدب من قيوده التقليدية ، فاتصلت دعوته الأدبية بدعوة إلى تحرر الإنسان من الظلم السياسي و الاجتماعي الواقع به.

3- عبد العزيز النعماني ، أبو القاسم رحلة طائر في دنيا الشعر ، ط 1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1997 ، ص 33 .

- المرجع نفسه ، ص 34 <sup>2</sup> .

- محمد التليسي ، ألشابي و جبران ، ص 52 <sup>4</sup> .

و يقول محمد كرو وان الأدب المهجري هو أهم عامل اثر في فكر "ألشابي" إضافة إلى عوامل أخرى ذات اثر واضح في أدبه و تفكيره ، واهم هذه العوامل في نظري ثلاثة :

- الأدب العربي المترجم .

- أسلوب طه حسين و تفكيره .

- الأدب العربي القديم : و أكثر اثر لهذا العامل يعود للمعري و ابن الفارس و ابن الرومي و الخيام .<sup>1</sup>

حين نقرا شعر "ألشابي" لا نعدم في تعابيره أو تصويره ، و في آرائه أو أفكاره خطوطا واضحة تدل على منبعها الأصلي ، غير انه يزيد بقوة في التعبير و براعة في العرض و التصوير و متانة في الأسلوب ، و سعة اللغة وقوة الخيال و جمال في تراكيب وروعة في التشابيه و الاستعارات .

و يتوزع شعر "ألشابي" بين أسلوبين :

الأسلوب المتين و المحكم النسيج ، وهذا يشكل القسم الأعظم من شعره و معظم قصائده في هذا الأسلوب كانت في الفخر و الرثاء و الحكمة ، حيث الألفاظ الجزلة المتخيرة و الغربية إلى درجة تستدعي العودة إلى متون اللغة و معجمها في بعض الأحيان ، و هناك الأسلوب اللين و معظم قصائده يغلب عليها طابع وجداني و خيالي.<sup>3</sup>

أما التراكيب لدى "ألشابي" فتأخذ منحنيين : منحني التزام فيه أساليب عربية و قواعدنا منحني آخر على تلك الأساليب ، و تحرر من قيودها مع محافظة على الأسس العامة لقواعد اللغة و امتاز به أسلوبه أيضا الرصانة في التعبير و البعد عن الركاكة ..... و كثيرا ما كانت الرومانسية بعاطفتها الجياشة و بتقديسها للشعور و الاستخفاف بالعقل تحكم منهجه الأدبي ، و توجه سلوكه الفكري.<sup>4</sup>

فاستطاع بذلك أن يبلغ وحدة عضوية في بعض شعره تتطور فيها القصيدة نحو الذروة و يعتمد نموها على جميع مكونات القصيدة ، و نجد في اغلب الأحيان لم يخرج على نظام الشطرين التقليدي و القافية الواحدة ، فكان بذلك شعره الحياة دون تصنع و شعر التدفق الذي يصدر من أعماق مشاعر المعاناة .<sup>5</sup>

- أبو القاسم كرو ، ألشابي حياته - شعره ، ص 52 .<sup>1</sup>

- أبو القاسم كرو ، ألشابي حياته - شعره ، ص 52 .<sup>3</sup>

- سحر عبد الله عمران ، أبو القاسم عبقريّة و شاعرية متجددة ، دراسات و مختارات ، د ط ، دار البعث ، دمشق ، 2009 ، ص 15 .<sup>4</sup>

- سلمى الخضراء الجيوسي ، الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي ، ط 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2001 ، ص 443 .<sup>5</sup>

فالشابي يبحث في صورته عن الخيال الفني ، ويترك الخيال الصناعي الذي جاء في كتب البلاغة ، وتمثل في المجاز و الاستعارة و التشبيه و الذي يقول عنه : " و نفسي لا تطمئن إلى تلك المباحث الجافة " .<sup>1</sup>

فالشاعر يتحدث عن الشعور الذي يتضح دوره الرائد عند الرومانسيين و علاقته الوثيقة بالخيال ، و عن طريقة تولد اللغة المناسبة الحية المعبرة عن المشاعر القادرة على إثارة المتلقي و إدهاشه بحيويتها و فطرتها ، وتظهر تجليات الصورة الشعرية عند " الشابي " في :

### 1- التكرار ، التضاد ، النداء ، والصفة ، صيغ أخرى

#### أ- التكرار :

للتكرار دور بارز في تأكيد المعنى ، و يرافق ذلك عودة نغمية موسيقية لها صورتها الخاصة المرتبطة بأعماق النفس ، و التي تضيف للمعنى غنى و رجحانا بالتأكيد على صورة بعينها و نقل أثرها ، و تشبته في نفوس المتلقين ، و قد ظهر التكرار عند أتباع المدرسة الرومانسية للتعبير عما في نفوسهم من انفعالات و توترات ، و تعاملوا معه على انه أسلوب من أساليب التجديد في الشعر ، و علاقة التكرار سواء أكان بالحرف، أو الكلمة ، أو الجملة ، أو البيت الشعري ، أو المقطع ترتبط بما تؤديه من قيمة جمالية و فنية و معنوية و موسيقية .

و سنتتبع التكرار بمختلف أشكاله ، ونبدأ مع تكرار حرف واحد بحركة واحدة ، و سنبين مدى مقدرته على شد انتباهنا ، و دور موسيقى التكرار ، و نتابع ما يحمل من معان بحسب ما يتصل من صور جديدة من ذلك قوله في قصيدة " صلوات في هيكل الحب " :

عذبت أنت كالطفولة، كالأحلام كاللحن، كالصباح الجديد<sup>2</sup>

فتكرار حرف الكاف جاء ليربط بموسيقاه و بإيقاع واحد يصدر عن صوت الكاف المتكرر، بالصور التي تدور حول الجمال المنفرد لتلك المرأة.

و يبدأ اثر النغمات الصوتية لبعض الحروف، و منها اثر أصوات حرف النون في قصيدة " تحت الغصون " :

و أرى روحك الجميلة عطرا ضائعا في حلاوة التلحين

<sup>1</sup> - أبو القاسم الشابي ، الخيال الشعري ، ص 63 .

<sup>2</sup> - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 178 .

قد تغنيت منذ حين بصوت ناعم، حالم، شجي حنون

نغما كالحياة عذبا عميقا في حنان، ورقة ، و حنين<sup>1</sup>

و حرف النون يدل على الرقة و العذوبة ، وتناسب هذه النغمات الصادرة عن حرف النون في هذه الأبيات ، التي تأتي كعقد يربط أطراف العذوبة و الرقة و الحنان ، و كان الموسيقى الصادرة عن صوت النون و تكرارها يؤكد المعاني الواردة في الصورة .

و قد يريد الشاعر أن يؤكد فكرة تلح عليه فتاتي على صور شتى ، و يكرر كلمة قبلها ليلفت الانتباه بموسيقاها التي تعيد إلى الأذهان ما سبق ، و من ذلك ما جاء في قصيدة " قلب الشاعر " :

ههنا في قلبي الرحب ،العميق يرقص الموت وأطياف الوجود

ههنا تعصف أهوال الدجى ههنا ، تخفق أحلام الورود

ههنا تهتف أصداء الفنا ههنا، تعزف الحان الخلود

ههنا تمشي الأماني، و الهوى والأسى، في موكب فخم النشيد

ههنا الفجر الذي لا ينتهي ههنا الليل الذي لا يبيد

ههنا، ألف خضم ، نائر خالد الثورة، مجهول الحدود

ههنا، في كل آن تمحي صور الدنيا، وتبدو من جديد<sup>2</sup>

كرر الشاعر وعلى مدار أبيات المقطع السبعة كلمة " ههنا " عشر مرات ، و ألح على هذه الكلمة لما تحويه من إشارة إلى الصور التي يحملها في قلبه ، لذلك كرر نغمات الكلمة على مدار المقطع معتمدا نظاما خاصا به خاضعا لرؤياه فجاءت في فاتحة الشطر الأول في كل الأبيات ، وتعود في مطلع الشطر الثاني للبيت الثاني ، وكذلك البيت الثالث و الخامس وهذا يدل على ولع الشاعر بالموسيقى و اهتمامه ببناء الصورة الموسيقية ، و يبدو الشاعر يتبع ما في داخله من إحساس يعبر من خلاله عن الصورة الفنية .<sup>3</sup>

- المصدر نفسه ، ص 235 .<sup>1</sup>

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 253 .<sup>2</sup>

- المصدر نفسه ، ص 255 .<sup>3</sup>

و يظهر تكرار الكلمة في قصيدة " الكآبة المجهولة " في مواقف متعددة ( كآبتي ، اكتآبي ، كئيب ... ) خالقا في كل مرة صورة شعرية جديدة ، وتكراره لهذه الكلمة كان الهدف من ورائه تبيان موقفه الكئيب و إظهار شعوره المتضخم من الكآبة .

حيث يقول في " الكآبة المجهولة " :

أنا كئيب،

أنا غريب،

كآبتي خالفت نظائرها

غريبة في عالم الحزن

كآبتي فكرة مغردة

مجهولة من مسامع الزمن

و يقول في مقطع آخر :

كآبة الناس شعلة، و متى

مرت ليال خبت مع الأبد

أما كآبتي فلوعة، سكنت

روحي، و تبقى في الأبد<sup>1</sup>

و الشاعر اخضع فضاء القصيدة إلى تصميم خاص حيث بدا بجملته موسيقية معينة ، تعبر مع الصورة الفنية عن معنى يريد أن يؤكد الشاعر فكره ليعيد إلى ذهن المتلقي ما تحمل هذه الصورة من معان متميزة ، و تدل على تميز الشاعر في كآبته ، كما تعبر عن رهافة ذوقه الموسيقي .

يذكر الشاعر بهوان الحياة و يرى في الموت راحة و سعادة فيقول :

إلى الموت، إن شئت هون الحياة فخلفت ظلام الردى ما تريد

إلى الموت يابن الحياة التعيس ففي الموت صوت الحياة الرخيم

1- أبو القاسم أشبلي ، أغاني الحياة ، ص 47 .

2- المصدر نفسه ، ص 263 .

ففي الموت قلب الدهر الرحيم 2

إلى الموت إن عذبتك الدهور

إن تكرار الشاعر لكلمة الموت رغبة فيه بذلك الموت هو طيف الخلود ، الذي تنبعث فيه الحياة و ربيعها الذي ذبلت أزهاره في الحياة الدنيا ، وهذا ما بلغ غاية التوفيق في التعبير عن مشاعره و عواطفه تعبيراً حياً مستخدماً التكرار ليوصل ما بداخله معبراً عن ذاتيته .

و يقول أيضا :

كان في قلبي فجر، و نجوم  
و أناشيد ، و أطيار تحوم  
و ربيع ، مشرق حلو جميل  
كان في قلبي صباح ، و إياه  
وابتسامات ، ولكن ...و أساه  
آه ، ما أهول إعصار الحياة  
آه ، ماشقي قلوب الناس ،آه  
كان في قلبي فجر ، و نجوم  
فإذا الكل ظلام و سديم ...

كان في قلبي فجر، و نجوم<sup>1</sup>

التكرار في بداية الأبيات يعطيها نوعاً من الترابط و الموسيقى ، و يوحي بالفكرة التي سيطرت على عقل الشاعر و نفسه ، من التحول إلى التبدل و عدم ثبات الأمور على حالها ، فتكرار الفعل " كان " يدل على الماضي الذي زال و انتهى ، فهو يعيش حالة من التحول و كأنه يبكي ماضيه الجميل المتفائل المشرق ، و ينظر بحسرة على حاضره المظلم الذي تحول فجلة " فإذا الكل " و كان موسيقى الأبيات التي كانت تسير من البداية على وتيرة واحدة من الهدوء و الأوصاف ، انتقلت إلى الألم و الفجيرة .

و يقول أيضا :

يا صميم الحياة أني وحيد مدلج ، تائه، فأين شروقك؟  
يا صميم الحياة إنني فؤاد ضائع ، ظامئ، فأين بروقك ؟  
يا صميم الحياة أين أغانيك فتحت النجوم يصغي مشوقك ؟<sup>2</sup>

في هذه الأبيات يقترن التكرار بالنداء " يا صميم الحياة " في جو من العتاب و العجب و الشكوى "إنني" و التساؤل "فأين" ،الذي يعطي لمحة من الحزن و الشوق و الأسى ، فالشاعر يشترك إلى الموت الذي عبر عنه

- أبو القاسم الشابي ، الخيال الشعري ، ص 165 .<sup>1</sup>

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 112 .<sup>2</sup>

بأنه صميم الحياة ، و أصل الوجود و هذا ينطبق و رؤية الشاعر الوجودية الفاتلة ، بان الموت هو أصل الحياة فهو يشناق إلى الموت و يشكو إليه ، شعوره بالوحدة و التيه و الضياع و التفرد ، فيعاتب بنبرة فيها التساؤل و الانتظار .

و نجد أيضا الشاعر يضيفي اللازمة على القصيدة التي تعطيه جوا من الترابط و التلاحم بين أجزائها ، و يساعد على إعطاءها نمطا متناسقا من حيث الشكل و الإيقاع الموسيقي ، و تأكيد المعنى فيفتح " الشابي " قصيدته " الصباح الجديد " بلازمة ، يبيث فيها رأيه عن الموت وما يحمله له من راحة ، فهو المخلص له و القادر على تهدئة جراحه ، و يكرر هذه اللازمة بعد أن يعزي نفسه بما سيأتيه من هذا الموت :

اسكني يا جراح	و اسكني يل شجون
مات عهد النواح	و زمان النون
و اطل الصباح	من وراء القرون <sup>1</sup>

فبدا باللازمة التي يثبت فيها رؤيته في الموت و انقضاء الزمن ، و فناء الحياة المليئة بالجنون و الجراح ، ليبدأ عهد جديد في الحياة الأبدية السرمدية ، عهد دفن فيه الألم و ذاب فيه الأسى ، و أصبح فيه القلب واحة للغناء و الشباب و النشيد ، ثم يكرر اللازمة ليؤكد على فكرة انتهاء و انقضاء زمن النواح و ذلك بالموت القادم إليه .

و يظهر لنا تكرار أسلوب النداء في قوله :

يا قلب كم فيك من دنيا محجبة	كأنها حين يبدو فجرها "ارم"
يا قلب كم فيك من كون قدا تقنت	فيه الشموس وعاشت فوقه الأمم
يا قلب كم فيك من أفق تتمقه	كواكب تتجلى ، ثم تنعدم <sup>2</sup>

و يشكل أسلوب النداء ظاهرة تكرارية في ديوان الشابي ، فهو يوحى بالحوار الذي يمثل الرؤية التي يريد الشاعر بثها ، فكأنه يبيث الحوار من خلال النداء ، فهو ينادي القلب الذي يحمل الدفء و البغض و الشقوة و ما فيه أفراح و أحزان و تناقضات باق صامد على حاله رغم كل ما يواجهه من مصاعب هذه الحياة ، و هذا ما جعله كونا عظيما يشبه في صموده و سحره و إخفائه الكثير من الأسرار مدينة " ارم " الأسطورية .

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 159.<sup>1</sup>

- المصدر نفسه ، ص 156.<sup>2</sup>

و هناك تكرار في أسلوب التمني في قوله:

ليتني كنت كالرياح، فأطوى كل ما يخنق الزهور بنحسي

ليتني كنت كالشتاء، اغشي كل ما اذبل الخريف بغرسي

ليت لي قوة العواصف يا شعبي فألقى إليك ثورة نفسي

ليت لي قوة الأعاصير أن ضجت فادعوك للحياة بنبسي<sup>1</sup>

عمد الشاعر إلى التكرار المقترن بالتمني ليعبر عن مدى الغضب الذي يشعر به اتجاه الناس الذين رضوا و استكانوا و قبلوا بذل الحياة ، و لم يستمتعوا إلى نصيحته فتمنى لو أن له قدرات خارقة ليتمكن من تغيير الواقع الذي يعيشه شعبه و يغير ما بداخلهم ، و أسلوب التمني " ليت " يوحى بمدى صعوبة تحقيق هذه الأمنيات ، و كان الشاعر وصل إلى مرحلة فقدان الأمل من الشعب ، و تمنيه أن يكون له قدرات الطبيعة القوية الجبارة " الرياح ، الشتاء ، العواصف ، الأعاصير " توحى برغبته الشديدة لتغيير هذا الشعب و حثه على الثورة بكل الطرق حتى و لو كان بالقوة و الدمار ، الناتج عما تحدثه هذه الكوارث الطبيعية في العالم و الكون .

لقد وفق الشاعر في اختياره الموسيقى ، و نوع استخدامها ، كما نوع في استخدام الأصوات و الحركات التي تلاؤم المعنى ، و جاءت الألفاظ الموحية و المعبرة بجرسها الموسيقي لتدل على المعنى ، و تنطق به وتعبر عما فيها من دلالات و إحياءات ، أصغى إليها الشاعر في أحضان الطبيعة و مرامي الطون الفسيح ، فانطبعت في وجدانه و قلبه ، و نقلها إلينا ليعبر بها عن خلجات الفؤاد فجاءت موافقة للطبع قريبة إلى القلوب .

### ب- التضاد:

لقد جاء التضاد بكثرة في قصائد الشاعر ، لأنها يمنح الصور نماء و حياة و يجعل للتأثير و التأثر بين طرفي الصورة دورا في منح الحياة للصورة التي تنقل التناقض القائم بين الداخل ، بين الأحلام و الطموح من جهة ، و بين المرض و التشاؤم من جهة أخرى ، و نرى ذلك في صورة الخارج ، بما فيه من تناقض بين المستبد الظالم و الشعب الجاهل ، هذه المتناقضات أفضت إلى صور تتزاحم فيها الأضداد ، كصورة الحياة نفسها ، تخرج عبر وجدان الشاعر لتصطبغ بتوتره النفسي ، و بفيض وجدانه المتدفق ، و يتداخل الصراع بين الداخل و الداخل ، و الخارج و الخارج ، و يعبر بذلك صراع الحياة ، متطلعا رغم الآلام و الظلم إلى

<sup>1</sup> - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 102 .

أغاني الحياة التي عاش الشاعر و رحل فيها ، و تجري الأشياء رغم تناقضاتها و تنافرها لتعطي انسجاما مميزا فيما بينها ، و يبدو اشد قوة و تأثيرا من تلاقي المتشابهات ، و استطاع الشاعر أن يعبر في القصيدة الواحدة بل في البيت الواحد عن التناقض و التضاد ، و عقد المقابلة بين الأشياء و أضدادها ، حيث نجد الثنائيات في مواضع كثيرة في الديوان ، عندما عبر عن الشعر ، أو لنقل عن ذاته وعن الارتباط بعناصر الكون التي تتألف فيما بينها لتؤلف صورة الحياة<sup>1</sup> التي تتلاحم في قوله :

أنت يا شعر قصة عن حياتي أنت يا شعر صورة من وجودي

فيك ما في الوجود من جبل، وعر وما فيه من حضيض و هيد

فيك ما في الوجود من حسك، يدمي، وما فيه من غضيض الورود<sup>2</sup>

فالشاعر أراد أن يصور مقدرة الشعر على حمل عناصر الكون ، و يوضح مقدرة الشعر على حمل المتناقضات التي تعبر عما يحتمل في قلب الشاعر من رؤى و أحلام .

وقد تنتقل الصورة عبر التضاد إلى توحيد جديد إلى نسق واحد ، يتساوى فيه النقيض بالنقيض ، يتحول فيها الأبيض إلى الأسود و الصباح إلى ليل بهيم ، ويغير الشاعر مجرى الصور المعهود و يلبسها من كآبته و أجزائه التي يمر بها ، فيغوص في أعماق المتناقضات و يلوي أعناقها ، ويجعلها تتوافق لتعبر عن حالة الحزن و الأسى التي يعيشها ونجد مثلا لذلك في قوله :

قد سالت الحياة عن نغمة الفجر، عن جمة المساء القطوب<sup>3</sup>

يتساءل الشاعر عن نغمة الفجر و عن نقيضها وجمة المساء القطوب ، تساءل عن صورة الحياة بقطبيها و سرعان ما تتغير الصورة ، و يأتي البيت الثاني لينقل ما سمع من لحن الحياة التي تحول الشدو فيها و هو الفرح وفق رؤيا الشاعر من خلال التضاد أعطاها لونا مغايرا و صار للأحزان ، فالحزن صوت الحياة المحبوب في الصورة الرؤيا :

فسمعت في هيكل الأحزان تشدو بلحنها المحبوب

ثم يلتفت حوله ليعبر وفق تصوره الجديد عن عناصر الكون التي سارت معه طائعة رضية تعبر عما يجيش في نفسه:

1- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 120 .

2- المصدر نفسه ، ص 128 .

3- المصدر نفسه ، ص 74 .

ما سكوت السماء إلا وجوم ما نشيد الصباح غير نحيب

ويعمم الأحران و يجعل طائر الأحران يلف أطراف الحياة ، ثم تتبثق الأيام طيوراً تخصبت بالدموع و الدماء ، هذه الصورة التي جعلها الشاعر قاتمة سوداء يوحي لنا بها ما في الدنيا من غدر و سلب و فوضى ، أنها صرخة في وجه الإنسان ليكون فرحه حقيقياً و ليزيل الأحران من حياته.

و يأتي التضاد ليعبر عن حقائق الوجود و الحياة و تماثلها و تقابلها ، و يدل هنا على التساوي في ما بين الأضداد و في أهميتها نجد ذلك في قوله :

في كل أصوات الوجود طروبها و كئيبها

و رخيمها ، و عنيفها ، و بغيضها ، و حبيبها

و يراك في صور الطبيعة حلوها ، و ذميمها

و حزينها و يهيجها ، و حقريها و عظيمها<sup>1</sup>

تتساوى أصوات الوجود و صور الطبيعة في أهميتها للدلالة على شمول الصورة ، التي تشبه شمول الحياة أنها الأم التي لا تنسى وليدها في أي حال من صورة .

و يعتمد على المقابلة و التناقض ليبنى صورته التي تعبر عن واقع الحياة و المجتمع و ما في النفس و الطبيعة من تناقض لذلك يرى القلب موطن هذا التناقض :

يا قلب كم فيك من قبر قد انطفأت فيه الحياة، وضجت تحته الرمم<sup>2</sup>

و قوله عن الشعر :

فيك ما في الوجود من حلك، داج، و ما فيه من ضياء بعيد<sup>3</sup>

الصورة هنا تجمع أطراف التناقض ، و تكون صورة مصغرة عن الحياة نفسها ، و في هذا انسجام و توق ابدى بين الشاعر و الطبيعة ، و في الصورة الضياء نقيض الظلام و الموصوف الحلك مؤكداً بصفة "داج" تزيد سواداً ، و الضياء بعيد ، يعبر الشاعر بذلك عن الأمل بالنور و الحياة رغم الظلام الحالك .

1- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة ، ص 191 .

2- المصدر نفسه ، ص 105 .

3- المصدر نفسه ، ص 128 .

و يأتي التضاد ليعبر عن التوتر الذي يعيشه الشاعر و لما يحيط به، لكن سرعان ما تنوب هذه الأحلام قبل الألوان :

و شيدت حولك الأيام أبنية من الأناشيد تبني، ثم تهدم<sup>1</sup>

و قد يجعل الشاعر التضاد في قصيدته يقوم بين مقطع من القصيدة و مقطع آخر ، نجد مثالا على ذلك قصيدة " إرادة الحياة " ، حيث مزج بين عواطفه الذاتية و ما تحمل من حب للوطن ، وأمل في انتصار الحق و تفوق الظلم ، وجاءت الطبيعة التي عبرت بصورها عن إرادة الحياة التي ظهرت في الطبيعة عبر صورته الرومانسية ، التي يبدو الموت في دورة من دوراتها يسيطر على الحياة ، ولكن الحقيقة هي أن المرحلة التي تعبر عنها الصورة مرحلة تهيؤ و انتقال لحياة جديدة للبذرة التي تبدو في المقطع الأول ، و قد دفنتها الثلوج لا حياة لها ، و لكن في المقطع الثاني بعد أن يأتي الربيع تولد الحياة من جديد ، و يرمز الشاعر في صورة الثبات إلى حالة الكمون التي يمر بها الشعب التونسي ، و يقدم الدليل و الحجة عبر قصيدة إرادة الحياة على تفوق الحياة و النور على الظلم و الظلام ، فيأتي بعد الظلام النور ، و هذا في قوله :

و في ليلة من ليالي الخريف      مثقلة بالأسى و الضجر  
سكرت به من ضياء النجوم      و غنيت للحزن حتى سكر  
سالت الدجى : هل تعيد الحياة،      لما أذبلته، ربيع العمر؟  
فلم تتكلم شفاه الظلام      و لم تترنم عذارى السحر  
و قال لي الغاب في رقة      محببة مثل خفق الوتر  
" يجيء الشتاء شتاء أضباب      شتاء الثلوج ، شتاء المطر  
"فينطفئ السحر، سحر الغصون      وسحر الزهور و سحر الثمر"<sup>2</sup>

ومثلا في قصيدة " الجنة الضائعة " يرسم الشاعر صورتين متقابلتين : تمثل أولاهما الطفولة اللاهية الهانئة بأحلامها و براءتها ، و تصور الثانية وعي الكهولة بما في الحياة من ظلم و باطل و تناقض ، فقد اعتمد في كلتا الصورتين على حشد الألفاظ و العبارات لو قرئت متفرقة لم يكن لها تأثير ، و لكن كلا منها يوضح جانبا من جوانب الصورة و يأتلف مع سائر أجزائها ، حيث يقول " ألشابي " :

<sup>1</sup> - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 152 .

<sup>2</sup> - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 232 .

أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير  
 و طهارة الموج الجميل و سحر شاطئه المنير  
 و وداعة العصفور بين الجداول الماء المنير  
 أيام لم تعرف من الدنيا سوى مرح السرور  
 و تتبع النحل الأنيق و قطف تيجان الزهور  
 و تسلق الجبل المكمل بالصنوبر و الصخور<sup>1</sup>

و تضيع منه جنته و يقابل الحياة العملية الشاقة فتسحق أحلامه ، و يكشف أن طبيعة الإنسان ليست هي الخير المطلق ، بل هي مزيج من الخير و الشر ، و تصدمه هذه الحقيقة بعد أن كان يتصور أن صورة الحياة و الإنسان التي أحسها في طفولته ، هي الصورة الواقعية التي سيقابلها بعد ذلك في مراحل حياته المختلفة ، ولكن صورة الطفولة كانت على العكس حلما و خيالا بلا رصيد في دنيا الواقع ، و كانت النتيجة هي الصدمة النفسية التي اخذ يعاني منها حتى مات ، لقد ضاعت جنته و هو اليوم يعيش في الجحيم .

### ج- النداء و الصفة :

يعتبر أسلوب النداء من ابرز الأساليب التي اعتمد عليها الشاعر في صورته الفنية ، فالنداء و من خلال المناجاة و التشخيص أصبح من أهم الأساليب التي اتخذها للتعبير عن تجربته الشعرية ، و فيض وجدانه المتدفق و يدل على ترابط بين الشاعر و موضوعاته و بين المتلقي ، و يمنح تدفقا في التشخيص و استحضارا حيا للمنادى الذي يطل عليه من خلال الصورة الفنية ، التي تعبر عما في النفس من قوى و أنوار و أناشيد يبثها لعناصر الصورة.<sup>2</sup>

ومن يطلع على ما كتبه شعراء الرومانسية يقف عند ظاهرة جديدة أطلت على عالم القصيدة ، إلا وهي ظاهرة العنوان الذي صار الرسالة الواضحة لما تحمه من مضمون ، فالنداء تواصل و رجاء ، و توسل و استرحام و استعطاف انه المناجاة و الشكوى ، و " أبو القاسم الشابي " جعل بعض عناوين قصائده على صيغة النداء ، لتكون هذه المفاتيح قراءة أولى يتكئ عليها الشاعر للدخول إلى القصيدة ، و لتعلن للمتلقي عن مضمونها و هي : " أيها الحب ، أيها الليل ، يا رفيقي ، يا ابن أمي ، يا موت ، يا حماة الدين ، أيتها

2 - المصدر نفسه ، ص 213 .

- أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري ، ص 179 .<sup>2</sup>

الحالمة بين العواصف " ، فالشاعر يريد أن يرسل رسائله عبر هذه القصائد التي يبث فيها أفكاره، و دعواه و نجواه وآهاته و أحلامه ، فجاءت على صيغة النداء .

ونتابع صيغة النداء في قصيدة " يا شعر" ، التي جعلها الشاعر متكئا فنيا لعالم الصورة الفنية، حيث قام النداء بالجمع بين عوالم الصورة التي تمددت بين عالم الشعر و قلب الشاعر و الشاعر، فيقول:

يا شعر أنت فم الشعور، وصرخة الروح الكئيب

يا شعر أنت صدى نحيب القلب، والصب الغريب

يا شعر أنت مدافع علقته بأهد الحياة

يا شعر أنت دم، تفجر من كلوم الكائنات<sup>1</sup>

فالشعر مشخص بالنداء ، الذي جعله يتبوأ منزلة راقية عندما استحضره ليناديه ، و كان التشبيه يتلون ببواعث نفسية ، و يفيض الروح ليخلق الصلات المنبعثة من عناصر الصورة التي تحمل هموم الشاعر التي حملها للشعر الناطق باسمه و المعبر عن خلجات وجدانه ، ترتسم صورته لتحمل أدوات التعبير و المشاعر المتدفقة ، التي تخرج من الفم وسيلة الكلام ليحبيب عن المشاعر ، و يعبر بالصوت الذي يخرج من الروح التي تجسدت لتكون حاملا للأحزان و الكآبة ، والعاشق المقيم المحار بالغرابة يعود صداه يحمل الآهات و الألم ليصل إلى موطن الألم القابع في صميم القلب .

و يأتي النداء بلفظة مرادفة للقلب بعد مصدر يدل على كثرة الدعوات الموجهة لقلبه الذي لا يستجيب فيقول :

كم قلت: صبيرا يا فؤاد! إلا تكف عن النحيب ؟

يا قلب! لا تجزع أمام تصلب الدهر الهصور<sup>2</sup>

ثم تنتبثق دعوة جديدة يحاول فيها الوقوف في وجه الأحزان ، لكنه سرعان ما يعود ليقرر مذهب البكاء الذي تأصل في أعماقه ، و بدا يحلق في مقاماته التي ترتقي إلى الطهر و يدعو الشعر ليكون رفيقه في هذه الرحلة رحلة التطهير :

يا قلب ! لا تسخط على الأيام، فالزهر البديع

1- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 52 .

2- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 53 .

يصغي لضجات العواصف قبل أنغام الربيع<sup>1</sup>

فالدعوة للوقوف قويا في وجه الأحزان و الجراح ، تشبه الزهر الذي ولد وسط العواصف التي أصغى إليها الشتاء قبل مجيء الولادة في فصل الربيع ، و يتابع نداءه للقلب :

يا قلب ! لا تسكب دموعك بالفضاء فتندم

ويحدثنا في أبيات تالية عن أهمية الأحزان ، و يعود إلى خطاب الشعر من جديد فيقول :

يا شعر ! يا وحي الوجود      الحي ! يا لغة الملائك

غرد ، فأيامي أنا      تبكي على إيقاع نايك

و يأتي النداء متدفقا فالشعر هو وحي الحياة، و الشعر لغة عليا متفوقة، و الطلب يكون معادل مؤنس لحال الأحزان بالألفاظ رومانسية موحية، تتابع لتصل من جديد لأمل في الخلاص من الأحزان :

يا شعر ! أنت نشيد أمواج الخضم الساحرة

و في الأبيات التالية يصف ما في الطبيعة من حياة راجيا الفرح و الحياة راسما صورها عبر الألفاظ الموحية المتدفقة ، و يتابع دورة الأمل في نداء جديد للشعر :

يا شعر أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمة<sup>2</sup>

و يتابع في التعبير عن الحياة و يربط الحياة بالشعر الحامل لصورة الحياة الجامع لتناقضاتها :

يا شعر أنت نحييها لما      هوت لسباتها

يا شعر أنت صداحه،      في موتها و حياتها

و يأتي ختام القصيدة ارتباطا و تعاهدا و رجاء و توحدا ليصدع بارتباط ابدي لوجدان مليء كالحياة، مؤكدا دعوته ليكون الشعر الرجاء في نقل المشاعر عبر الصورة الفنية، و يضيف:

يا شعر! أنت جمال      أضواء الغروب الساحرة

يا همس أمواج المساء،      الباسمات الحائرة

يا ناي أحلامي الحبيبة      يا رفيق صبابتي

2- المصدر نفسه ، ص 54 .

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 59 .<sup>2</sup>

لولاك مت بلوعتي، وبشقوتي و كآبتي

فيك انطوت نفسي و فيك نفخت كل مشاعري

فاصدح على قمم الحياة بلوعتي يا طائري<sup>1</sup>

فجاءت الولادة في ختام القصيدة لتكون شاهدا على الشاعر الذي اعتنق مذهبا جديدا يخاطب من خلاله الحياة ، فصار الحامل محمولا و ناقلا لأعماق الوجدان و فيض الروح ، عبر حامل مشترك حمله الشاعر أحاسيسه و نفخ فيه من روحه ، فاكتسى الكون صورا فنية تعبر عما في الوجدان ، من آلام و آمال يفترقان ليجمعا من جديد تحت الوجود في ظل قلب الشاعر المتوهج ، فيتخضب الوجود بأطياف النفس التي تتدفق لتحمل رسالة الشاعر إلى الحياة .

إلى جانب النداء استعمل "الشابي" الصفة ، حتى يضمن التلاؤم بين واقعه النفسي و تلونات الصورة الشعرية، فهو يقدم صورة و يلونها بألوان إسقاطاته النفسية ،التي تخلق في كل مرة صورة جديدة تبعا لكل إسقاط ، مثال عن ذلك : يقدم صورة الليل و يلونها بألوان من إسقاطاته النفسية فيصفها بالفرح ، و الحزن ، و الجمال ، و الرهبة و الكآبة و الغرابة و العتابة ، إذ يقول :

فسالت الليل ، و الليل كئيب ، و رهيب

شاخصا بالليل ، و الليل جميل ، و غريب<sup>2</sup>

يقول " الشابي " في قصيدة " المساء الحزين " :

أظل الفضاء في جناح الغروب فالتقى عليه جمالا كئيب

البسه حلة من جلال شجي قوي جميل غلوب<sup>3</sup>

إن توالي الصفات في هذين البيتين أراد من خلاله الشاعر تنويع إيقاعه ، فوراء صورة الجلال تتدفق الصفات ( شجي ، قوي ، جميل ، غلوب ) .

ويبدو الشاعر و على عادة الرومانسيين في ولعهم في استخدام الصفة ، قد جعل لها دورا واضحا في الصورة ، فيكثر من استخدامها في قوله من نفس القصيدة :

- المصدر نفسه ، ص 70 .<sup>1</sup>

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 40 .<sup>2</sup>

- المصدر نفسه ، ص 185 .<sup>3</sup>

فأغفى على صدره المطمئن و في روحه حلم مستكين

قوي غلوب كسحر الجفون شجي لعوب ، كالزهر حزين

يبدو حسن التقسيم بين شطري البيت ، قد منح الصورة نغما لطيفا ، فلم الليل في الشطر الأول يعبر عن القوة و الغلبة للمساء على الوجود ، ففي روحه حلم في قوته ، يشبه قوة الأثر الصادر عن العيون و الصورة ابنة الخيال الطالعة من وجدان الشاعر ، و لقد جمع بين صفتين متناقضتين : شجي و لعوب كزهر حزين ، و الصورة تدل على التوتر النفسي للشاعر حيال موقفه من المساء ، و ما في نفسه من أحزان ألفت بظلالها على الصورة.

و كذلك قوله في قصيدة "النبي المجهول" :

فابعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل إن الخبيث منبع رجس

اطردوه ، و لا تصيخوا إليه فهو روح شريرة ، ذات نحس

هكذا قال شاعر ، فيلسوف عاش في شعبه الغبي بتعس<sup>1</sup>

فقد أكثر الشاعر من النعوت في القصيدة من أجل تأكيد غرض المعنى و توضيحه لقارئه و مستمعيه و يضيف شيئا من الجمال ، و يستدرك ما لم يستطع أن يعبر عنه باللفظة الواحدة المباشرة و هذا في : الخبيث، رجس ، شريرة ، فيلسوف ...

### د- صيغ أخرى :

ابرز الشعر حركات النفس و تواترها من خلال صيغ التعجب ، التي تعبر عن الدهشة و الاستغراب و الرجاء و التوسل و التمني أو الأمر ، و الأسلوب الإنشائي يلاءم الانفعالات و التوتر و الحيرة ، فأسرف الشاعر في استخدام أسلوب الإنشاء ، و من ذلك نتابع تساؤلات الشاعر التي تتكرر في الأبيات ، في صيغة الاستفهام باحثا عن جواب لخيبته في الشعب ، و عن تعجبه من حال الشعب الذي افتقد الشجاعة :

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس ؟ أين الطموح ، والأحلام؟

أين يا شعب روحك الشاعر الفنان ؟ أين الخيال و الإلهام

أين يا شعب ، فنك الساحر الخلاق ؟ أين الرسوم والأنغام ؟

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 90 .<sup>1</sup>

فأين المغامر المقدم !

إن يم الحياة يدوي حواليك

والصمت، والأسى، والظلام<sup>1</sup>

أين عزم الحياة ؟ لا شيء إلا الموت،

نلاحظ تراكم الصيغ الاستفهامية التي تعبر عن قلق و حيرة الشاعر ، من أحوال الشعب الذي ابتعد عن الحياة ، و يبدو تعب و استغرابه من الموت واضحا ، فجاء التكرار ليوافق تجربة الشاعر و شدة لهفته على الشعب و حاله ، فيستحضر عوالم الحياة ليضعها بين يدي الشعب باحثا عن أصحاب العزيمة وسط الموت ، كما نجد استخدامه لصيغ متكررة : أين الطموح ؟ ، أين الخيال و الإلهام؟ ، أين الرسوم و الأنغام ؟ ،..... ، و الرابط بينها انحدارها من اللغة الرومانسية ، و ما تحمله من إحياءات و دلالات ، وهو يجري وراء الانفعال و من ذلك قوله من قصيدة " صلوات في هيكال الحب " :

والفن وفوق النهى و فوق الحدود

أنت فوق الخيال، و الشعر،

وربيعي ونشوتي وخلودي<sup>2</sup>

أنت قدسي ومعبدي و صباحي

تحتشد الألفاظ في بؤرة التوتر فتدافع كالسيل ، لترمي بنفسها في حدود الصور التي لم تنضج ، و لكن قد تنمو أمثال هذه الألفاظ في مواضيع أخرى ، حيث تشارك وسط الصورة و تعطي أفقا جديدة من التتابع الممل للألفاظ ، كما يبدو في الأبيات التالية :

تنثر النور في فضاء مديد

و شمس وضاءة ونجوم

في سكرة الشباب السعيد

و ربيع كأنه حلم الشاعر

ولا ثورة الخريف العتيد<sup>3</sup>

و رياض لا تعرف الحلك الداجي

فاستطاعت هذه الألفاظ أن تبدو أكثر مناسبة، لأنها رافقت الصور التي منحت أريحية و قبولا، و فسحت لها مجالا لتشارك الصورة الفنية، و يقول في قصيدة "تحت الغصون":

والسنديان ، و الزيتون

ههنا في خمائل الغاب تحت الزان

من جمال الطبيعة الميمون

أنت أشهى من الحياة وأبهى

وفي، جيدك، الربيع، الثمين!

ما ارق الشباب في جسمك الغض

- المصدر نفسه ، ص 239 .<sup>1</sup>

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 180 .<sup>2</sup>

- المصدر نفسه ، ص 181 .<sup>3</sup>

و أدق الجمال في طرفك الساهي      وفي ثغرك، الجميل الحزين!  
 و ألد الحياة حين تغنين      فأصغى لصوتك المحزون  
 وارى روحك الجميل عطرا      ضائعا في حلاوة التلحين!<sup>1</sup>

و الشاعر في هذا المقطع اعتمد بشكل واضح على تكرار صيغ تتلاحق خلف بعضها ، مع بعض الألفاظ لتقارب في المعاني و الموسيقى ، و الإيحاءات و الظلال الرومانسية معتمدا على العطف بحرف الواو مثل : الزان ، و السنديان ، و الزيتون ، و الأحلام ، و الزهر ، و الشذى ، و الربى ، و ...  
 كما استخدم صيغة الإضافة مثل : خمائل الغاب ، جمال الطبيعة ، لسحر الأسي ، سحر السكون ، حياة الهوى ...، و جاءت صيغة الجار و المجرور في الأبيات التي يتحدث فيها عن جمال محبوبته فيأتي في قوله : أنت أشهى ، من الحياة ، من جمال الطبيعة ، ليجعل به من ذلك صفات محبوبته رمز الحياة مستعينا بنقل حاسة الرؤية إلى مجال الذوق ، ثم تأتي أشباه الجمل مع ما تضاف إليه من ألفاظ لتعبر عن عناصر الجمال التي اختصت في قوله : في جيمك الغض ، و في جيدك الربيع، في طرفك الساهي ...، وينتقل بعد ذلك ليسألها عن الذي تنشده له ، فيلتي توتر جديد و تتكرر أشباه الجمل ، مع بداية كل بيت ، لتضيف فيها من تصوير و موسيقى وظلال لهذه الصيغة .

حيث يأتي الجار و المجرور وبعده الاسم الموصول و صيغة الفعل المضارع الذي يضيف حركة و انتشارا و تأملا و تقاؤلا للصورة الفنية ، كقوله : للعبير الذي يرفرف ، للأغاني التي يرددتها ، للربيع الذي يؤجج ، للحياة التي تغني ، و استطاع الفعل أن يدب و من خلال التصوير حركة و حياة يمنحها للصورة ، ليعبر بذلك عن اثر الحبيبة الذي اخذ ينتشر في كل مكان من الطبيعة .

و نلاحظ بعض الإيقاع من تكرار بعض الصيغ مثل : المساء المطل ، للشفق الساجي ، لسحر الأسي ، لما فيها من توازن ، فاللفظة عند " الشابي " نفسية تخرج توا للوجود و دون تمعن من وسط التجربة ، فتحمل في طاقاتها و تتأثر بأبعادها التي تخرج من حياة الألفاظ في سياقها الجديد ، و ترى الشاعر كيف جعل للألفاظ مكانة مرموقة في قصائده ، تلك الألفاظ التي أغنت الصورة أحيانا و أخفقت أحيانا أخرى ، و كانت كحشد لفظي دون طائل من ذكرها ، حيث استدعاها التقارب اللفظي أو الموسيقي أو المعنى<sup>2</sup>.

## 2- الاستعارة ( التشخيص و التجسيد )

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 235 .<sup>1</sup>

- المصدر نفسه ، ص 237 .<sup>2</sup>

الاستعارة هي تبادل للمركبات أي تبادل الصفات بين الأشياء المادية و المعنوية ، أي إضفاء صفات مادية على المعنويات و العكس ، و ذلك عن طريق التشخيص و التجسيد .

فالتشخيص ذو قدرة على التكتيف و الإيجاز ، وهذا أمر يتناسب مع ذاتية المبدع الرومانسي ، أما التجسيد هو إكساب المعنويات صفات محسوسة مجسدة ، حيث تقدم الصورة فكرة عن طريق الإحساس .

إن الخيال هو الموقد للشعور ، وهو الفاعل الحقيقي في التجربة الشعرية عند الشاعر ، وتأتي الصورة وفق سياق خاضع .

و بما أن "الشابي" من رواد الرومانسية فهو يستعمل الاستعارة كنوع أساسي في بناء صورته التي تمزج بين الذات و الموضوع، و كثيرا ما يستخدم أعضاء الإنسان و الحيوان كطرف حسي أمام الطرف الثاني لرؤيته صورة جديدة ، تلك الصورة التي يحاول الشاعر أن يضع من خلالها حلولا للإنسانية التي وجدها الرومانسي تنساق وراء المادة تاركة خلفها الآلام و المآسي و الأحزان ، و يضع الحلول لهذه الأزمة التي خيمت على الإنسان ، وسلبته كرامته و حرته و إنسانيته ، من خلال الصورة الناتجة عن الاستعارة عبر التشخيص و التجسيد وفق رؤية يخوضها الشاعر عبر تجربته الشعرية .

و الشاعر يعبر عن رؤياه بصور الحب و الأحلام التي ملأت قلبه ، فلغة الحب و الصدق نبض للقلب و لغة الشعر ، فهو ربط بين الفن و القلب ، وعقد بينهما العهد الذي تلاحم فيه الشعر و الشاعر و الحب ، حتى غدى ترابطا لا انفصال بين عراه على امتداد الديوان ، و من ذلك نجده في قصيدة " جدول الحب بين الأمس و اليوم " :

هو جدول الحب الذي قد كان في قلبي الخضل

بمر اشف الأحلام منطلقا، يسير على مهل

يتلو على سمعي أغاريد الحياة الطاهرة

و يثير في قلبي أناشيد الخلود الساحرة<sup>1</sup>

تنهض صور الاستعارة من خلال حركة جدول الحب الذي جسده الشاعر، و قد انطلق من قلبه، و استحضر الأحلام مجسدة بفعل لها مرآشف ، لترتوي من جداول الحب النابت في

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 79 .<sup>1</sup>

ذلك النهر، و يشخص الحب بشاعر يتلو الحياة أفراح الطهر، و يسمو بالحب الذي هو درب الخلود و دعوة رافقت الإنسان عبر رسالات السماء.

و ترد ذات الشاعر متحدة بالشعر، الذي يشخصه الشاعر و يناديه على سبيل الاستعارة المكنية، و يبحث خلاله ما في وجدانه من مطامح عبر الخيال الذي يوائم بين الشعر و الحب في تشخيصه، و ترتبط العرى و تتوثق و تبدو الصورة اشد تماسكا و تضامنا، من ذلك ما جاء في قصيدة "يا شعر":

يا شعر أنت فم الشعور، و صرخة الروح الكئيب

يا شعر أنت صدى نحيب القلب، و الصب الغريب

يا شعر أنت مدامع علقته بأهداب الحياة

يا شعر أنت دم، تفجر من كلوم الكائنات<sup>1</sup>

يستحضر الشاعر شعره و يشخصه، و يجسم الشعور بشكل إنسان، و يصير الشعر فمه، فالشعر هو الناطق بلسان الشعور، و يجسم الشعور فتصرخ الروح و يحمل الشعر صرخته، وتحمل الصورة التي يعبر بها الشاعر، فالحياة تجسدت بإنسان و صار الشعر مدامعه هذه صورة الحامل للشعر، و يظهر التوافق بين الشعر و قلب الشاعر و كأنهما متوحدان فيما يحملان من مشاعر، فالجراح و الأحزان و الشقاء و المصائب و التعاسة اجتمعت فيهما، فالقلب إنسان ترتسم المآسي على محياه و تذيبه أحزان الناس، و نجد أمثلة كثيرة على ذلك في الديوان منها قصيدة "أيها الليل":

أيها الليل أيا أبا البؤس والهول و يا هيكل الحياة الرهيب

فيك تجثو عرائس الأمل العذ ب، تصلي بصوتها المحبوب<sup>2</sup>

فالصورة في البيت الثاني تفارق في اتجاهها الصورة الواردة في البيت الأول، فالصورة في البيت الأول جاءت بالتشخيص في مناداة الليل و عندما صار الليل عن طريق الكناية، أبا البؤس ليواسي البائسين، وهيكل الحياة الرهيب حيث يصيح السمع لكل البائسين، جاءت الصورة لتوحي بالأسى و الظلام و الخوف، وسرعان ما تنهض صورة أخرى لليل نفسه تلبس ثوب الأمل و الطمأنينة، و يتابع في القصيدة مزوجا بين الصورتين، فتارة الصورة تكون صادرة عن الليل أو تكون أثرا من آثاره من ذلك:

أيها الليل أنت نغم شجي في شفاه الدهور بين النحيب

- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 52.<sup>1</sup>

- المصدر نفسه، ص 72.<sup>2</sup>

إن أنشودة السكون التي ترتج      في صدرك الركود الرحيب  
تسمع النفس، في هدوء الأمانى      رنة الحق، والجمال الخلوب  
فتصوغ القلوب، منها اغاريدا      تهز الحياة هز الخطوب  
تتلوى الحياة من الم البؤ      س، فتبكي بلوعة و نحيب<sup>1</sup>

و نرى الأفعال المستعارة التي تؤدي دورها التعبيري في الصورة التي تنطق بالحزن ، و نرى من خلالها آدمي يتوجع و يبكي و يتألم ، و في الصورة ترأسل للحواس فالليل ندركه بالبصر و جعله الشاعر نغما ، و جعل للسكون أنشودة و تسمع النفس صوت الحق سبحانه و تعالى وسط السكون، و يسمع الجمال الرائع فنراه يسمع ما يرى ناقلا الحواس لشبه نفسي ، و القلوب تصوغ من أنشودة السكون أغاريد فرح الذي يهز الحياة كالمصائب العظيمة، فتلك الأغاريد التي ولدت عبر خيال الشاعر جديدة و مدهشة .

و كذلك نجد في قصيدة " أغاني الرعاة " تجسيدا للنفس التي تشرق بأثواب الأمان، و يرحل الأسى و الخوف و الطبيعة مقبلة تغني للحياة و تتشد و تطفح بما في نفس الشاعر من أشواق لا تنتهي و حب طبع عليه، فيقول الشاعر:

اقبل الصبح يغني للحياة الناعسة

و الربى تحلم في ظل الغصون المائسه

و الصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة

و تهادى النور في تلك الفجاج الدامسة<sup>2</sup>

جاءت الاستعارات عند الشاعر من أعماق النفس بعد أن عاش الشاعر التجربة ، فكانت الصور ومضة و إشراق في عالم من القتام ، و قد امتزجت أطراف الصورة مع بعضها و تلونت الطبيعة بما في النفس من مشاعر مقيدة و أضواء ، انبثقت لتشرق في أحضان الطبيعة ، فها هو الصبح يقبل و يغني وسط الحياة الناعسة المستبشرة ، و هاهي الربى تحلم بالبشر و الفيض الروحي على عناق بما في نفس الشاعر ، و النور يشخصه في صورة إنسان يتماشى في الطرقات الممتدة بين الجبال يلقي بأنواره ليملأ كل مكان ، و الشاعر يجد حالة الأنس الداخلي في وجوده في أحضان الطبيعة ، لتصبح موطن الاطمئنان و الأمان و يبقى الأثر النفسي يشع في الصورة الاستعارية التي تعبر عن وجدان الشاعر .

- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة ، ص 73 .<sup>1</sup>

- المصدر نفسه ، ص 212 .<sup>2</sup>

و يقول الشاعر في قصيدته " يا شعر " :

يا قلب ، لا تجزع أمام تصلب الدهر و الهصور

فإذا صرخت توجعا هزات بصرختك الدهور

يا قلب لا تسخط على الأيام، فالزهر البديع

يصغي لضجات العواطف قبل أنغام الربيع

يا قلب، لا تنتفع بشوك اليأس من بين الزهور

فوراء أوجاع الحياة عنوبة الأمل الجسور<sup>1</sup>

يصور الشاعر في هذه الأبيات محنته القاسية إزاء دورة الحياة و تقلباتها و يهتف بالإرادة و التجدد في عودة الإشراق و الأمل ، يقدم الشاعر لصبره و هدوءه من خلال مجسد لأيام ، فالشاعر يصور سخطه على هذه الحياة ، ثم تختفي و تتلاشى في الأفق مفسرا ملامح الأمل التي تسربت إلى قلب الشاعر اليأس من الحياة، و استقى أمله من زهر الربيع البديع الذي يحلم بأنغام الربيع قبل قدومه مجسدا صورة للأمل الذي يرسمه الزهر.

و يقدم الشاعر مجموعة من الصور التي تعكس عالمه الداخلي في قصيدته " قلبي التائه " فيقول:

أنت يا قلبي عش، نفرت عنه القطاه

فأطرته إلى النهر ، رياح عاتيات

فهو في التيار أوراق، و أعواد عراة

أنت حقل مجذب قد هزات منه الرعاة

أنت ليل معتم تندب فيه الباكيات

أنت كهف مظلم ، تأوي إليه البائسات<sup>2</sup>

في هذه الأبيات نرى الشاعر يستعير لقلبه من معطيات الحياة و أشياءها المادية المحسوسة عدة أشياء ، يكتف من خلالها سوء الحال التي وصل إليه قلبه ، في تعامله مع الحياة ومصائبها فقلبه عش نفرت منه القطاة ،

1 - أبو القاسم أشبالي ، أغاني الحياة ، ص 57 .

2 - أبو القاسم أشبالي ، أغاني الحياة ، ص 135 .

فأصبح خاليا من معنى الحياة ومبرراته ، وهو حقل مجذب ما عاد ينتفع به الآخرين و هو كهف مظلم لا يأوي إليه غير البائسات هربا من الحياة .

يقول الشاعر في قصيدة "أغنية الأحران":

كف عن تلك الأغاني الباسمة

أيها العصر

فحياتي الفت لحن الأسي

فهنا تشخيص لان الشاعر نسب صفة لا إنسانية و هي الغناء للعصفور و هو كائن غير عاقل.<sup>1</sup>

و يقول "الشابي" في قصيدته " إلى الطاغية ":

ستجري اوصاب الحياة، وتنت  
فتصغي إلى الحق الذي يتكلم<sup>2</sup>

البيت استعارة مكنية حذف تشبيهه بالإنسان و رمز له بأحد لوازمه التكلم ، حيث شبه الحق بالإنسان الذي يتكلم و ينصت ، وهنا تشخيص حيث رفع الحق الشيء المحسوس إلى درجة الإنسان و منزلته ، و قد تكررت هذه الظاهرة عند " الشابي " بحيث عمد في قصائده إلى تجسيد الحقائق النفسية و الشعورية و الذهنية في قالب مادي ومحسوس .

### 3-التشبيه

التشبيه هو الأداة البلاغية العريقة ، و التي قد جاءت قديما للتوضيح و التفسير ، فحظي التشبيه بالمكانة البارزة عند النقاد العرب القدامى ، بحيث أصبحت تقاس مهارة الشاعر بقدرته على مزج الحقيقة في الخيال في الصورة التشبيهية، و رغم ذلك سيطر على التشبيه في الموروث النقدي إشارات المقاربة و المقارنة و الوضوح و البيان .

اعتمد "الشابي" في بداياته على التشبيه البلاغي الذي يخضع لسلطة العقل ، و يهدف إلى الإيضاح و التفسير ، لذلك جاءت صورته وصفية بصرية لأنها تقوم على المستوى التقليدي ، حيث يعتمد على المشابهة المنطقية بين طرفي الصورة ، المشبه و المشبه به ، و لم يكن غرضه منه سوى إثبات وجود في بيئة جعلت

2 - المصدر نفسه ، ص 17 .

- المصدر نفسه ، ص 303 .<sup>2</sup>

القديم في المقدمة و له الريادة، و تصبح الصورة جامدة لأنها تقتصر على الزينة الشكلية و الإيضاح و التفسير .

و لكنه فيما بعد تجاوزها إلى الصورة النامية التي تتصف بالحركة و الظلال النفسية من خلال التشبيهات ذات الدلالة الوجدانية و الخيالية ، و التي اعتمدت على الخيال الذي أعطى صوراً جديدة تدل على تفوق الخيال في التعبير عما في النفس ، و أعاد تنظيم عناصر الصورة وفق الرؤيا التي جاءت من أعماق التجربة الشعرية .

### أ- التشبيه الحسي :

لقد انتشر في أشعار العرب ، و عرفه شعراء مدرسة التقليد في العصر الحديث ، فالشاعر الذي يستخدم هذا النوع " ينشئ أبنيته الفنية من التوليد المنطقي ، و إدراك العلاقة بينهما إدراكاً منطقياً ، و يقيم الصلات بطريقة خارجية موضوعية دون أن يربطها بشعوره " <sup>1</sup> ، و " ألسابي " عندما بنى صورته الفنية على هذا اللون من التشبيه ، لم يخرج عن هذه الحدود ، و ظهر ذلك في الصور التي ينقلها لنا لتدل على المقدرة الشكلية البعيدة عن العاطفة و الوجدان ، و على تقليد القدماء في نظمهم و صورهم ، وعلى تفوقه في هذا اللون أمام معاصريه ، و من ذلك قوله من قصيدة " الفتنة الساحرة " :

ماء الحياة بخدها متموج كتموج الأنوار بالمشكاة <sup>2</sup>

الصورة حسية واقعية تعتمد على الملاحظة للمبالغة و التوضيح، فأنوار المشكاة في تموجها و إضاءتها، تتفوق على الأنوار الصادرة عن المشبه وجه المحبوبة، و الصورة توضيحية خالية من الأحاسيس، و لم تخرج عن المؤلف في التراث الشعري العربي.

و أيضاً قوله :

فالحب في طغيانه كالسيل إما ينهمر <sup>3</sup>

أراد الشاعر أن يصور طغيان الحب ، فوجد صورة المشبه به السيل الذي ينهمر ، و شبه طغيان الحب بانهمار السيل الجارف الذي لا يقف في وجهه شيء ، و الغرض من الصورة توضيح آثار الحب الزائد ، و

<sup>1</sup> - نعيم أليافي ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، د ط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1983 ، ص 71 .

<sup>2</sup> - أبو القاسم ألسابي ، أغاني الحياة ، ص 30 .

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 31 .

هنا شبه اثر الحب المعنوي بالمشبه به الحسي السيل الجارف بغرض إظهار قوة الأثر ، و لم يخرج في هذه الصورة عن النمط التقليدي .

و من ذلك قوله في قصيدة "كهرباء الغرام":

أراك، فتخفق أعصاب قلبي و تهتز مثل اهتزاز الوتر<sup>1</sup>

الصورة تقريرية بأداة التشبيه مثل ، و لو خرجت دلالة الفعل بالصورة إلى أفق أوسع و دلالات ابعد من كون المشبه بالاسم ، و الصورة تدل على ما في نفس الشاعر تجاه الحب ، و هي تخضع للمنطق فصورة قلبه المهتز تشبه صورة اهتزاز الوتر رغم أنها تخضع لما قبلها ، و تمتد إلى ما بعدها فتتمو و تتغير ، أما إذا وقفنا عند هذه الصورة منفردة فتبدو باهتة بعيدة عن الطرافة و التوتر .

من قوله أيضا :

أنت كالزهرة الجميلة في الغاب لكن ما بين شوك ودود<sup>2</sup>

ففي الشطر الأول أتت الصورة حسية خارجية لا جديد فيها، بل هي تكرار للصور البلاغية التراثية، تعتمد على المنطق حيث الشكل الخارجي، فالمرأة كالزهرة في جمالها.

و من التشبيه التقليدي الذي يعتمد على المظهر الخارجي و الحواس قوله في قصيدة " غرفة من يم ":

والموت كالمارد الجبار، منتصب في الأرض ، يخطف من قد خانه الأجل

و الصورة حسية فالشاعر يشبه الموت الذي يقضي على الناس بالمارد ، الذي يحصد الأرواح التي يأتيها الأجل و الجامع بين طرفي التشبيه خارجي ، و الموت لا يشاهد بالعين بل نرى أثره فصوره بهيئة المارد الذي يقف في الدنيا ، ليأخذ أرواح من يأتيهم الأجل و جاءت الصورة لغرض الإيضاح .

و كذلك نجدها في قصيدة " إلى طغاة العالم ":

تأمل هنالك .. أنى حصدت رؤوس الورى ، و زهور الأمل

رويت بالدم قلب التراب و أشربته الدمع حتى ثمل

سيجرفك السيل سيل الدماء و يأكلك العاصف المشتعل<sup>3</sup>

- المصدر نفسه ، ص 19 .<sup>1</sup>

- المصدر نفسه ، ص 183 .<sup>2</sup>

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 255 .<sup>3</sup>

يتضح أن الشاعر اعتمد على التشبيه في القصيدة ، و كان الرابط منطقياً بين طرف التشبيه و الصورة عقلية ، و مدركة بالحواس هي تفسيرية ، و قد جاء التشبيه على صورة إضافية مثل : سيل الدماء ، و الصورة تصدر عن الحواس الخارجية التي تشكلها من خلال رابط منطقي يجمع بين المشبه و المشبه به .  
ومن التشبيه التمثيلي ما جاء في قوله :

و إذا ما استخفني عبث الناس      تبسمت في أسي و جمود  
بسمة مرة، كأني استل      من الشوك ذابلات الورود<sup>1</sup>

الصورة مستمدة من متعدد و التشبيه هنا تمثيل قائم على أن تلك البسمة تخرج موشاة بالحزن و الألم ، الناتج عن عبث الناس و سخفهم ، فالألم الناتج عن التبسم وسط الحالة التي يعيش بها أشبه بالألم الناتج عند من يريد ، و التشبيه قائم على المقارنة التي تتماشى مع سلطان العقل ، ولا نرى من اثر نفسي في المشبه ، و بذلك تتبين أن الشاعر في قصائده الأولى كان تقليدياً و لكن سرعان حمل بين جنباته الحياة بأطيافها و توتراتها و تناقضاتها .

#### ب- التشبيه النفسي :

هذا التشبيه هو الذي يتجاوز فيه الشاعر العلاقة الخارجية ليعبر بالخيال عن العلاقة الحيوية بين النفس والطبيعة ، حيث عالمه المليء بالحياة فالصورة التعبيرية تعتمد على ما تتركه من اثر في أنفسنا ، و يظهر من خلال شخصية الشاعر في شعره و صدقه في الإحساس و التعبير ، فهو يقوم على أساس تشابه داخلي أو تشابه في الواقع النفسي بين المنقول منه و المنقول إليه ، فاخذ " ألشابي " نهجا خاصا به بعدما اطلع على ما ترجم عن شعراء الغرب و مدارسهم ، وما أبدعه الأديباء في المشرق وفي المهجر ، الذي رأى أن الشعر حياة مشتركة بين الفكر و الشعور ، معبرا بخياله عن نسق جديد من الصور التي تزحم بالرؤى و الطريف و الجديد ، لتقرب الصورة من أن تكون هي القصيدة نفسها ، و من ذلك ما يعرف بالتشبيه النفسي .  
يقول الشاعر في قصيدة " قلت للشعر " :

أنت يا شعر، فلذة من فؤادي      تتغنى و قطعة من وجودي  
فيك ما في جوانحي من حنين      ابدي إلى صميم الوجود<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - المصدر نفسه ، ص 180 .

<sup>2</sup> - أبو القاسم ألشابي ، أغاني الحياة ، ص 127 .

تتضح العلاقة القائمة بين الشاعر و الشعر على الترابط و الحياة ، فالشعر فلذة من فؤاد الشاعر و قطعة من وجوده ، و كان الشعر ماء الحياة للشاعر و هواؤه الذي يتنفس ، و يتضح دور الشعور في التشبيه من خلال ما جرت الحياة في عروق الشعر ، ويتابع رصد العلاقة بين الوجود و الحياة :

أنت يا شعر قصة عن حياتي أنت يا شعر صورة من وجودي

أنت يا شعر- إن فرحت -أغاريدي - وإن غنت الكآبة - عودي<sup>1</sup>

و تبدو علاقة توحد فالشعر قصة حياة الشاعر ، و صورة عن وجوده وهو أغاريد الشاعر وعوده ، فاشعر ملازم له و مترابط معه و كأنهما توحد في روح واحدة لا يمكن الفصل بينهما ن وهذا التصور يرتبط مع الوجدان و الشعر ، و أهمية تكامل الدائرة بين التجربة الشعرية و الذات .  
و يتابع في القصيدة نفسها :

و يفنى الجميع كحلح بديع تألق في مهجة و اندثر

جاء المشبه في هذه الصورة حسي و المشبه به نفسي ، حيث يعطي الدلالة على سرعة انصرام الحياة و تبدلها من حال الوجود إلى العدم و الموت ، و الخيال يظهر في هذه الصورة من خلال التقاط الشاعر للصورة الذهنية ، و يخلص بها إلى المصير الحتمي للإنسان حيث تبدو له الحياة كالحلم الرائع الذي يتألق و بسرعة يزول .

و قد تنمو الصورة و تمتد عبر صور جديدة لتعكي دلالات جديدة، و تكشف عن رؤى ممتدة في أعماق الشاعر ، تكشف ما في نفسه و وجدانه عبر الخيال ، و من ذلك قوله في قصيدة " زوبعة في الظلام " :

لو كانت الأيام في قبضتي أنزيتها للريح، مثل الرمال

و قلت: " يا ريح، بها فذهبي و بدديها في سحيق الجبال "

" بل في فجاج الموت في عالم لا يرقص النور به والظلال."<sup>2</sup>

فالشاعر في صورته التي يذري فيها الأيام للريح ، تلك الصورة المتخيلة و النابضة بالألم من الأيام ، و التي يشبه فيها الأيام بالرمال ناقما و طامحا باحثا عن مخرج في صراعه المستمر مع الحياة التي تهرب منه بأفراحها ، و تصادر روحه الأسي ، لذلك أراد للأيام الزوال و العدم ، وهذه الرؤيا منبثقة من أعماق المعاناة

1 - المصدر نفسه ، ص 128 .<sup>1</sup>

2 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 251 .<sup>2</sup>

المعبرة بالخيال عن التجربة ، التي يعيشها الشاعر تدل على رغبته في أيام آخر يتحول فيها الأسي و الأحزان إلى عالم من الأمل و الفرح .

و قد تتراكم الصور و تترادف ، وذلك من طباع الرومانسيين في أشعارهم ، ومن ذلك قول الشاعر :

أيها الشعب ليثني كنت حطابا      فاهوي على جذوع بفأسي  
ليثني كنت كالسيول، إذا سالت      تهد القبور: رمسا برمس  
ليني كنت كالرياح، فاطوي      كل ما يخنق الزهور بنحسي

ليثني كنت كالشتاء، اغشي      كل ما اذبل الخريف بقرسي<sup>1</sup>

في تجربة الشاعر نجد صور الطبيعة هي وسائل التعبير المتدفقة ، و التي أرادها لتكون وسائل تغيير للشعب ، فتمنى أن يمتلك الشعب تلك القوى التي تبدو في صورته ، و التي يريد بها التغيير لذلك أجرى تلك الأمانى على الطبيعة التي توحد بها و جعلها شريكه الفعلي عند الغضب على أوضاع الشعب، فكل حركة في الطبيعة لها غاية تأتي لأجلها ، و يشارك الشاعر الطبيعة و يجعلها معادلا له تحمل همومه وأمانيه ، كالرياح و الشتاء و الأعاصير وسائل تغيير ، لذلك يتمنى أن يكون كتلك الوسائل جميعا، ليغير ما علق في المجتمع ، ويفعل فعل الشتاء الذي يزيل ما في الطبيعة من عوالق ، ويمهد السبيل للثورة للحياة للربيع القادم .و في قصيدته " صلوات في هيكل الحب " نجده يمزج بين صورة المرأة و صورة الطبيعة عبر الخيال، فتتساوى المعطيات وتتناغم الصور حاملة لغة التعبير الأولى لغة البراءة و الحياة، فيقول:

كلما أبصرتك عيناى تمشين      بخطو موقع كالنشيد<sup>2</sup>

إذا رأينا الصورة النفسية التي عبر بها عن مشيتها ، نجده قد نقل الخطوة من الحركة المادية وشبه أثرها بالنغم ، ليتجاوز بذلك حدود المنطق ، و تخضع الصورة للانفعال الذي يكشف عن هذه الصورة ، و التي تدل على ما في الجانب الخفي لنفس الشاعر من أحلام ، و لقد جاءت عفوية صادقة نابغة من وجدان الشاعر .

1 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 146 .<sup>1</sup>

2 - المصدر نفسه ، ص 179 .<sup>2</sup>

و الشاعر دائما يتوق إلى العالم الأول إلى الماضي عالم النور و الصفاء ، حيث كانت الحياة كالسما صافية طاهرة نقية ، و الأثر النفسي بين أشواقه للعودة إلى عالمه الأول حيث البراءة و التخلص من عالم الظلام الطارئ ، يبدو ذلك في قوله من قصيدة " جدول الحب بين الأمس و اليوم " :

بالأمس قد كانت حيلتي كالسما الباسمة

و اليوم، قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة<sup>1</sup>

الصورة تعبر عن التحول الذي أصاب الشاعر ، هذه الحركة التي نقلت الشاعر من الأمس المشرق بأنوار لا تخبو إلى حاضر ملؤه الوجوم و الأسى ، الحياة الأولى تشبه السماء بأنوارها وتلألؤها ، وتناقض الثانية التي تحول فيها إلى الأرض حيث التحول الحياة ، و صارت صورة للظلم و الظلام و الأحزان ، و الصورتان متناقضتان و تعبران عما في نفس الشاعر من توتر و قلق من الواقع الفاسد ، و شوق إلى الأمس رمز الطهر و النقاء .

فالشاعر في قصيدة " مناجاة عصفور " يؤكد تفرده في عالم الأرض و انتماءه إلى عالم الطيور ، حيث النور و السرور ، ونرى الحزن الذي صار فيه لهجره لعالمه حيث يقول :

أنا طائر ، متفرد ، مترنم لكن بصوت كآبتي و زفيري<sup>2</sup>

الشاعر شفاف كالطائر في البراءة و الطهر، تحول غناؤه إلى أصوات الكآبة و الزفرات ووجوده بين الناس جعله حزينا متألما، لأنه ارتحل من عالمه الطاهر عالم الأنوار إلى عالم الجسد عالم الخطيئة عالم البشر.<sup>3</sup>

و يقول في قصيدته "الغزال الفاتن" :

بذر الحياة بذره في فؤادي فأورقا

بلحاظ نوافث فجنى حظي الشقي

و سعى فيه مهره عاديا، ثم أعنقا

فمن خلال هذه القصيدة تحدث الشاعر عن محبوبته ووصف حالته معها بأدق الأوصاف .

وفي قصيدته "الدنيا الميتة" نرصد بعض التشبيهات، إذ يقول:

1 - المصدر نفسه ، ص 78 .<sup>1</sup>

2 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 110 .<sup>2</sup>

إني أرى ..، فأرى جموعاً جمّة لكنها تحيا بلا الباب

يدوي حوليها الزمان ، كأنما يدوي حوالي جندل و تراب

يظهر من خلال هذه الأبيات أن الشاعر ناغم على من حوله ، عقول بلا تفكير و لا تدبير فرغم كل ما يحصل في العالم من تغيرات و أحداث فهم لا يعقلون من ذلك شيئاً و كأنهم بلا أعين و لا آذان ، شبههم في حالهم هذا بحال الجندل و التراب ، ووجه الشبه هو الثبات و الجمود و انعدام الحركة و اللامبالاة .

#### 4- الأسطورة و الرمز:

##### 1- الأسطورة:

استطاعت الأسطورة أن تخلد أعمال كثير من الشعراء لأنها تتفوق بحضورها في عالم الشعر لما تمنحه من قدرات إضافية ، فتضفي عليه تميزاً و بقاء ، فهي عندما ولدت حملت الانفعالات الإنسانية وفق تصور الخيال ، و عليها تقاس أصالة الشاعر في مقدرته على استحضار روح الأسطورة و الغوص فيها ، و قد ذكر " ألشابي " دور الأسطورة في الإمامة التي كتبها لديوان الينبوع لأبي شادي خلال حديثه عن دور التواصل بين الشاعر و تراث الشعوب و آدابها الحاضرة : " بل يستلهم هاته الأمم و الشعوب و ما لها من أساطير و خرافات " .<sup>1</sup>

فالشابي يؤكد على دور الأسطورة في منح حياة الشعر طاقة وحيوية و هذا بعدما اطلع على الأساطير و أصولها ، لذلك نلمس الأسطورة في أغاني الحياة التي ملئت و بتفجع و أحزان الحاضر ، و تشوق إلى ماضي بعيد تتجلى فيه الحياة الأسطورية التي يتشوق إليها أبو القاسم ألشابي في أغاني الحياة : " وعود إلى الأصول هو هاجس أسطوري بل هو الأسطورة الحاضرة للأساطير جميعاً بل هو ضرب من الأسطورة الاجمع " .<sup>2</sup>

و يعتبر الغاب في شعر أبي القاسم ألشابي موضع الأسطورة حيث ينتقي اثر الزمان و العدم و ييزغ فجر الخلود و يبدو ذلك في قصيدة " تحت الغصون":

و سكتنا، و غرد الحب في الغاب ، فأصغى حتى حفيف الغصون

و بنى الليل و الربيع حواليك من السحر و الرؤى و السكون

1- أبو القاسم محمد كرو ، نثر ألشابي و مواقفه من عصره ، ص 26 .<sup>1</sup>

2 - حمادي صمود و آخرون ، دراسات في الشعرية ألشابي نموذجاً ، المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق و الدراسات ، بيت الحكمة ، المطابع الموحدة ، تونس ، 1988 ، ص 237 .

معبدا للجمال، و الحب شعريا مشيدا على فجاج السنين

تحتة يزخر الزمان، و يجري صامتا، في مسيله المحزون

و تمر الأيام، و الحزن، و الموت، بعيدا عن ظله المأمون

معبدا ساحرا، مباخره الزهر على الصخر و الثرى، و الغصون<sup>1</sup>

و الصورة في هذه الأبيات تحمل حلم الإنسان في الارتقاء و الانتقال من عالم الجسد و الفناء إلى عالم الخلود و البقاء و اللازمان ، و أشواقه إلى الزمن البدء زمن الأسطورة ، لذلك جعل طقوس العبادة تقام في الغاب ، و الغاب معبد قديم فهو معبد الجمال ، وبذلك حما الغاب عند الشاعر صفة القدسي و صفة الأسطوري، حيث انطوى بساط الزمن تحت أقدام الغاب و برز فيه عالم الخلود .

فحديث " ألسابي " عن الشوق إلى الماضي البعيد إلى عالم النور شوق صوفي يحاكي فيه روح الأساطير في البحث عن الخلود الذي تجلى في كثير من الأساطير، كأسطورة " تموز " البابلية و أسطورة "دونيس " الفينيقية و أسطورة " ايزيس و اوزيريس " المصرية و غير هذه الأساطير كثير، و كثيرا ما نشاهد الشاعر هاربا من ظلام الأرض ، ساعيا إلى عالم النور السماوي ، راجيا العودة إلى الخلود متخلصا من فكرة الفناء ، التي تحاصر الإنسان الجسد في الدنيا .

و في وسط الغاب حيث للغاب قربة خاصة ترفعه فوق عوادي الزمان ، و الشاعر عندما يدخل الغاب يشعر بعودة الروح الأولى و حياة الأنوار و الصفاء و سمو ، الشاعر في قصيدة الغاب شعر بدخول الروح إلى جسده من جديد ، فاستحضر من اللازمان حيث عالم لبدء و الولادة الأولى و ولادة أبينا ادم عليه السلام في عالم النور ، الذي وجد فيه في الجنة ، فالشاعر يعيش ذلك العالم في أشواقه المستمرة محاولا العودة إليه ، أنها لحظة الولادة في جنات الخلد ، و تتجلى عبر رحلة أشواق صوفية في قوله :

و سنى كيقظة ادم لما سرى	في جيمه روح الحياة
و شجته موسيقى الوجود، وعانقت	أحلامه في رقة و سلام
و رأى الفراديس الأنيقة، تنتثي	في مترف الأزهار والأكمام
و رأى الملائك كالأشعة في الفضا	تنساب سابحة بغير نظام

1 - أبو القاسم ألسابي ، أغاني الحياة ، ص 227 .

و أحس روح الكون تخفق حوله في الظل، و الأضواء و الانسام<sup>1</sup>

هاهي روح الشاعر تنبثق بولادتها و طهرها في الغاب في تشابه مع ولادة آدم عليه السلام ، ليختلط عبر التجلي الصوفي الطموح إلى غاية النفس التي تسعى إلى الأمثل و الأكمل ، فنهضت صورة الخلق الأول لسيدنا آدم ، التي استحضرها الشاعر محاولا السمو إلى تلك الاشراقة النورانية مستلهما منها حياة أبدية تنتفي فيها عوادي الزمن ، تلك الصورة التي ما فارقت الشاعر خلال " أغاني الحياة " فأشرقت صورة آدم نورا يقوي من روح الشاعر ، و يدفع إلى عالم الأرواح و الخلود إلى الجنة ، وهذا ما نجده في أشواق الشاعر و في أحلامه المستمرة للعودة إلى الحياة البدء .

و تبدو شخصية بروميثيوس التي ظهرت في قصيدة " نشيد الجبار " التي يقف بها متحديا الأعداء مؤمنا بتفوقه عليهم ، كما تفوق بروميثيوس على زيوس و سرق النار و أعطاها للإنسان و علمه الصناعات المختلفة " وتروي الأسطورة أن زيوس غضب على بروميثيوس و عاقبه بان قيده على صخرة و خلى الطيور تتقر عينيه فكانت العينان تستبدلان و تستمر حالة العذاب الأبدي ، لكن بروميثيوس رغم العقاب المر لا يستسلم و يظل ثائرا متحديا "

فالشاعر يقف بوجه المتاعب باعنا الحياة التي لا تستكين يعيش فوق الآلام و الأعداء متشوقا إلى عالم النور مقتربا من نهج بروميثيوس في مواجهة التحديات ، و مفارقا في الأشواق النورانية و الروحانية

سأعيش رغم الداء و الأعداء كالنسر فوق القمة السماء

أرنبو إلى الشمس المضيئة هازنا بالسحب، والأمطار، والأنواء

النور في قلبي و بين جوانحي فعلام أخشى السير في الظلماء

و أصيخ للصوت الإلهي الذي يحيي بقلبي ميت الأصداء<sup>2</sup>

و يتشوق الشاعر إلى عالم النور و الإيمان و بذلك خالف تمرد بيروميثيوس ، و مواجهته مع الآلهة بل نراه في شوق مستمر إلى العروج إلى عالم النور مصغيا آملا في سماع صوت الإله راجيا العودة إلى عالم الخلود عالم الأنوار ، ويبدو ذلك في قوله :

لأذوب في فجر الجمال السرمدى وارثوي من منهل الأضواء

1- أبو القاسم أشعبي ، أغاني الحياة ، ص 257 .<sup>1</sup>

2 - المصدر نفسه ، ص 278.

فالشوق من وحي الروح الإيمانية و الصورة تتحدث عن نفس تتشوق إلى عالم النور الأبدي .<sup>1</sup>

و صورة بروميثيوس المقيد الأصفاد في الأسطورة تتحول عند " ألسابي " إلى صورة نسر يواجه الأعداء و الآلام ، فوجه الشبه بين صورة بروميثيوس ألسابي و بروميثيوس اسخيلوس هو الاسم العنوان ، و لكنهما في المواجهة لا يتفان ن حيث نرى سمو الصوفية إلى عالم الأنوار عند ألسابي ، يختلف عما جرى عند بروميثيوس سارق النار في الأسطورة اليونانية ، و يبدو إلى أن بروميثيوس يتحول إلى شخصية اقرب لشخصية المسيح و نلاحظ تلك الصورة حيث يقول في المقطع الأخير من القصيدة :

وأقول للجمع الذين تجشموا هدمي و ودوا لو يخرب بنائي  
ورأوا على الأشواك ظلي هامدا فتخيلوا إنني قضيت ذمائي  
و غدوا يشبون اللهب بكل ما وجدوا ليشبوا فوقه أشلائي  
ومضوا يمدون الخوان، ليأكلوا لحمي، و يرتشفوا عليه دمائي  
إن المعاول لا مناكب والنار لا تأتي على أعضائي<sup>2</sup>

نشاهد في الصورة شخصية المسيح عليه السلام الذي يؤكل لحمه ، و يشرب دمه ، و صورة إبراهيم عليه السلام الذي تعد له النار ليلقى بها ، و هكذا نجد " ألسابي " يخلق في عالم من الأساطير و الرؤى الصوفية ، معتدا على الخيال يجري على قوله في الخيال الشعري : " أريد أن ابحت في الخيال من ذلك الجانب الذي يتكشف عن نهر الإنسانية الجميل الذي أوله لا نهاية الإنسان وهي الروح ، وآخره لانهاية الحياة و هي الله .

3

و في ذلك يبدو شوق الشاعر إلى عالم الصفاء و النور الذي يتشوق إليه تشوق المؤمن الصادق المخلص للقاء ربه الكريم حيث نرى الأساطير تنطوي صورها لتدور في فلك الروح و تأتي عبر التجليات الصوفية التي توافق ما في أعماق الشاعر من إيمان عميق .

و من الشخصيات الأسطورية التي ذكر الديوان ، شخصية " افروديت " في قصيدة "الجمال المنشود" ، ثم تبعتها شخصية " فينيس " في قصيدة " صلوات في هيكل الحب " و منها " اله الغناء و رب القصيد" ،

1 - أبو القاسم ألسابي ، أغاني الحياة ، ص 248 .<sup>1</sup>

2 - المصدر نفسه ، ص 21<sup>2</sup>

3 - أبو القاسم ألسابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص 63 .<sup>3</sup>

وردت هذه الشخصيات و من خلال الصورة الفنية لتعبير عن قوة الأسطورة و دورها في منحها نماء و تدفقا و حياة ، و هذا يظهر في الديوان على ما اطلع عليه من آداب و أساطير الأمم الأخرى حين يستحضر صورة عذارى " افروديت " الجمال في صيغة النداء في قصيدة " الجمال المنشود " :

يا عذارى الجمال والحب والأحلام بل يا بهاء هذا الوجود

قد رأينا الشعور منسدلات كللت حسنها صباح الورد

و رأينا الجفون تبسم... أو تحلم بالنور، ب الهوى، بالنشيد<sup>1</sup>

و بعد النداء يستمر في عرض صور الجمال ، و يأخذه خوفه من العدم إلى رؤيا يخرج بها إلى ما استمر في أعماقه من روحانية يتشوق إليها دائما ، و في ختام القصيدة يسمو فوق الجمال المادي ساعيا إلى جمال الروح الذي يبقى زمان الخلود :

غير باق في الكون الأجمال الروح غضا على الزمان الابد<sup>2</sup>

و ينفلت بذلك من الأسطورة اليونانية ليدخل إلى ما استقر في قلبه من إيمان، و يشرق الخلود في عالم الأرواح .

و تطل علينا صورة " فينيس " في قصيدة " صلوات في هيكل الحب " :

يا لها من وداعة و جمال و شباب منعم املود

يا لها من طهارة تبعث النقد س في مهجة الشقي العنيد

أي شيء تراك؟ ها أنت "فينيس" تهادت بين الورى من جديد<sup>3</sup>

من ينظر إلى عناصر الكون و قد منحها خيال الشاعر أبعادا فيها البراءة و الجدة ما يجعل هذه المحبوبة في إمكاناتها تتجاوز العادة و المتوقع ، يجدها تدنو من أجواء الأساطير و هاهي تخمل المقدرة على تطهير النفوس الشقية و بث الروح و الحياة من جديد ، و تحضر صورة " فينيس " الرومان " من أعماق التاريخ الإنساني تحمل آيات الحب و الجمال ، و هذا التساؤل ينمو معه اتجاه آخر ليختلط مع ما في نفس الشاعر من موروث استقر في الأعماق و تأتي الصورة من التراث الإسلامي ليحضر بقوة في النص :

1 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 157 .<sup>1</sup>

2 - المصدر نفسه ، ص 158 .<sup>2</sup>

3 - المصدر نفسه ، ص 178 .<sup>3</sup>

أم ملاك الفردوس جاء إلى الارض ليحيي روح السلام العهيد

و يحاول في هذه الصورة التراثية الإسلامية استلهام الصورة و استنطاقها ليرسم من خلالها صورة للجمال ، الذي يؤمن بأنه في عالم الأرواح، و تنهض من جديد آلهة الغناء :

أنت أنشودة الأناشيد هناك إله الغناء، رب القصيد .<sup>1</sup>

ليقف بذلك على أطراف الصورة الفنية لآيات الجمال ليولد من جديد جمال ازدان بأشواق " أشابي " و تجلياته ، ذلك أن " أشابي " انبثق عالم الأرواح بين يديه ، و فتح كتاب الإنسانية ليقراه بعينه فأزهر قلبه رؤى حملها خيال متفوق ، و اخذ يطوف بهذه الصورة للجمال الذي رسمه على أطراف الكون ، و في آيات الطفولة التي هي الحب و في الطبيعة التي احتضنت هذه الرؤى تنبثق آلهة الغناء لتعطي لهذه المحبوبة كما يبدو من أغاني الطبيعة و ألحانها التي تتجاوز التصور العادي ، و كان الشاعر يرى فيها حام الإنسانية من الأزل ن ويسبح في عالم الرؤى و التجليات الصوفية ، فتترأى صورتها فوق الخلق ، وتصيح رمزا خرج من أفواه الإنسانية و أساطيرها و دياناتها ، ليتجلى عبر خيال الشاعر العاشق على عادة الشعراء الصوفيين و لتكون هي الحبيبة الجميلة التي يتصور نفسه دائما معها، و هي فوق الوجود لتكون رمز الله المعبود، و تبرز الصورة في تفوق المحبوبة و ارتفاعها فوق الوصف، و كان الرؤية الصوفية رفعت مكانة هذه المحبوبة فوق الخلق، و عندها يصير الشاعر عبدا و تصير آيات الجمال معبودا، و يبدو ذلك في قوله:

أنت قدسي، ومعبدي، و صباحي و ربيعي، ونشوتي و خلودي<sup>2</sup>

و تتفق الصورة التي جمعت بأطراف الأساطير و في أحضان التجلي الصوفي الذي جاء عن طريق التضمين ، الذي امتزج مع رؤى الشاعر و أحلامه ، لتعبر أولا عن ثقافة " أشابي " الثرية المتعددة المشارب و عن إيمانه العميق ثانيا الذي يصفو دائما في تجليه و أشواقه إلى عالم النور ، و طالما ارتفعت هذه المحبوبة لتكون الصباح و الربيع و الخلود و هي عناصر يتشوق إليها الشاعر ليمتزج في عالم الأبد الذي يخرجها من دائرة الفناء ، لذلك نراه قد جمع فيها كل صفات المعبود .

لقد استطاع " أشابي " أن يعبر إلى عالم الأساطير وفق رؤياه التي جاء فيها النسق الأسطوري مرتبطا بالتجلي الصوفي ، مشدودا إلى أوتاد الإيمان الذي ينظم هذه الدوائر و يجمعها ، و ينفذ وفق الرؤيا الشابية باتجاه الأشواق إلى عالم البدء و الأضواء ، و الأسطورة صورة الخيال المغرية و التي حل فيها الإنسان الغاز الوجود المتناقضة ، و الأسطورة كما يرى " أشابي " في الخيال الشعري : " هي الكلمة الأولى التي توجسها

1- أبو القاسم أشابي ، أغاني الحياة ، ص 179 .

2- المصدر نفسه ، ص 180 .

الإنسان من تعابير الحياة ، وحاول أن يفهم منها معاني هذا الوجود المتناقضة و تتكيف الرؤى ، و تأتي الصورة ابنة الروح و الأشواق مليئة و جامعة لأطراف الوجود ساعية إلى عالم الوجود " .<sup>1</sup>

### ب- الرمز :

دعت الرومانسية لامتزاج انفعالات الشاعر بالطبيعة و توحيدها ، و " أشابي " صورها وفق ما في الوجدان و التوترات الخاصة بكل تجربة شعرية عبر عنها ، و قد توصل الشاعر من خلال التفاعل الحاصل بين الذات و الخارج إلى اكتشاف علاقة بين شيئين ، و اخذ ذلك التشابه ينمو في رحم البناء الشعري حتى صار رمزا دالا على حالة معينة ، ينصرف إليها هذا الرمز و يرتبط بها ، و يبدو الرمز من خلال تراسل الحواس ، أو تجريد المحسوس و تشخيص المجرد ، و " أشابي " شاعر الحياة كان دائم التشوق إلى الطبيعة التي تتغير و تتجدد باستمرار .

فالتبيعة مسكن الشاعر و بيته و هي تتشد ألوان الفرح والسرور ، حيث تولد السعادة من مشاهد الطبيعة و أنغامها و عطورها ، فتحلق الروح و يصبح الغاب كما يصوره رمزا للبراءة الأولى حيث التلاحم الأبدي بين عناصر الكون و الخلق سوية في عالم الرؤى ،

حيث يقول في قصيدة "الغاب":

بيت بنته لي الحياة من الشذى	والظل، والأضواء، و الأنغام
بيت، من السحر الجميل، مشيد	للحب، والأحلام، و الإلهام
في الغاب سحر ،رائع متجدد	باق على الأيام و الأعوام
و شذى كأجنحة الملائك، غامض	ساه يرفرف في سكون سام
و جداول تشدو بمعسول ألغنا	و تسير حالمة، بغير نظام
كم من مشاعر حلوة	سكرى، و من فكر، و من أوهام
غنت كأسراب الطيور ورفرفت	حولي، وذابت كالدخان، أمامي <sup>2</sup>

فالشاعر استطاع بخياله أن يجعل الغاب موطن الشاعر و الأحلام ، فخفقت الروح في عالم من السحر الحلال ، و تحول المشهد إلى صورة من عناق ابدي للرحمة و الجمال و السعادة ، فالغاب رمز الحياة لذلك

1- أبو القاسم أشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، ص 64 .

2 - أبو القاسم أشابي ، أغاني الحياة ، ص 256 .

جاءت بصورة مخالفة لحياة الناس في المجتمع ، حيث الحياة ملوثة بالشهوات ، و حياة الغاب رمز للطهر و البراءة ، لذلك يترك روحه في أحضان الطبيعة .

و الطفولة هي رمز السعادة البريئة، و العودة إلى الماضي و نجد مثل هذا الرمز في قصيدة "الجنة الضائعة"

كم من عهود عذبة	في عدوة الوادي النضير
فضية الأسحار مذهبة	الاصائل و البكور
كانت ارق من الزهور،	و من أغاريد الطيور
قضيتها و معي الحبيبة	لا رقيب و لا نذير
إلا الطفولة حولنا تلهو	مع الحب الصغير
أيام كانت للحياة	حلاوة الروض المطير <sup>1</sup>

يقوم الشاعر باستحضار الماضي الجميل ، فحضرت الطبيعة ترفل بما في نفس الشاعر من راحة و هدوء و اطمئنان ، إنها الطفولة رمز الطهر، و ترافقها مجموعة من الرموز منها ما يدل على السعادة ، و الحياة و فرح الروح و التفاؤل و الأمل ، حيث الزمن رغدا و الطفولة عذبة بلا هموم .

و استعمل الشاعر صورة الليل رمز للظلم، فهو يحمل أوجها متعددة لهذا الظلم من وجه غريب ظالم لا يعرف الرحمة، و قاتل صور الخير و الجمال كما في قول الشاعر في قصيدة " إرادة الظالم ":

و لابد لليل أن ينجلي      و لابد للقيد أن ينكسر<sup>2</sup>

فصورة الليل في هذا البيت رمز للظالم و الظلم، إلا أنهما سيزولان و يأتي الفجر و تولد من جديد الحياة بإرادة الناس الذين يكرهون الذل و المهانة.

يجمع الشاعر في قصيدة " إلى طغاة العالم " بين معاني الظلم و الموت، ومعاني الثورة و الحياة في صورة الظلام وذلك في قوله:

ألا أيها الظالم المستبد	حبيب الظلام، عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف	و كفك مخضوبة من دمتاه

1 - المصدر نفسه ، ص 207 .<sup>1</sup>

2 - أبو القاسم أشباجي ، أغاني الحياة ، ص 231 .<sup>2</sup>

و سرت تشوه سحر الوجود و تبذر شوك الأسي في رباه

رويدك لا يخدعك الربيع و صحو الفضاء، و ضوء الصباح

ففي الأفق الرح هول الظلام و قصف الرعود، و عصف الرياح<sup>1</sup>

ففي المقطع الأول صورة الليل الذي يعبر عنه بالظلام ، رمز المستعمر الظالم ، وصورة الشعب الضعيف المستسلم ، و تنهض في المقطع الثاني رموز التحول ، فالظلام دليل على الثورة في قوله هول الظلام، و الشعب قوي و متفوق لأنه سلك طريق المواجهة طريق الحياة و رؤيا الشاعر الواقعية ، و الرمز تحول و انعطف من السلب إلى الإيجاب فالرمز يحمله نقيضه في رحمه ، و الربيع في الأصل رمز الهدوء و الاطمئنان لكن الشاعر حوله إلى رمز الترقب و الحذر و القلق ، و حملت صور هول الظلام و قصف الرعود ، و عصف الرياح و صور التغيير و الثورة ، فهي رموز التي تحول بها الشعب إلى الحياة .

و يستحضر الشاعر صورة لمحبوبة الروحية في الصورة النقية التي ترمز إلى الحياة و الطهر ، فالمحبوبة تمنح الصورة دلالة رمزية جاءت من نقاء المحبوبة التي صاغها الله تبارك و تعالى ، فحملت صفات ميزتها و جعلتها تثبت الحياة و الأمل حولها في قوله من قصيدة " تحت الغصون " :

"طهري يا شقيقة الروح ثغري بلهيب الحياة بل قبليني"

"إن نار الحياة و الكوثر المنشود في ثغرك الشهي، الحزين"<sup>2</sup>

إن صورة المرأة في هذه القصيدة ، فيها نوع من التفرد و التميز ما يجعلها تحمل قيما مختلفة تستطيع بها أن تعيد إلى الأشياء طهارتها و تغسلها من الآثام و الخطايا ، و تتفوق على عوادي الزمن ، فالمرأة منا رمز المرأة التي تحول الأشياء بمقدرتها على منح الأمل و الحياة ، امرأة من عالم الروح تختلف عن النساء ، احضرها خيال الشاعر مع نزعة صوفية رأى فيها طهارة و تفوق جعلها تمنح الحياة سمو و الرفعة ، وفي ثغرها طهارة للروح و أمل بالعودة إلى الصفاء .

و يأتي رمز النور رمز الخير و الصفاء ، ليعبر به الشاعر عن عالم الروح ، وهو العالم السامي الذي رحل عنه عندما انفصم عن النور و تقيد بقيود الجسد التي حدت من حريته و كرامته التي يسعى إليها خلال حياته ، و يتحدث عن وطنه الذي رحل عنه في قصيدة "صوت التائه":

شردت عن وطني السماوي الذي ما كان يوما واجما مهموما

1 - المصدر نفسه ، ص 255 .<sup>1</sup>

2 - ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص 238 .<sup>2</sup>

شردت عن وطني الجميل أنا الشقي  
 فعشت مشطورا لفؤاد يتيما  
 في غربة روحية، ملعونة  
 أشواقها تقضي عطاشا هيما  
 يا غربة الروح المفكر انه  
 في الناس يحي، سائما مسؤولما<sup>1</sup>

فهو يحن إلى عالم النور الذي رحل عنه ، و يرى خلاصة من العالم و ما فيه من هموم ، في عودته إليه ، فهو يتفوق بتمسكه بالفجر على كل المصائب ، فالنور رمز لعالم الروح عالم الخير و الجمال ، ومن سار في هذا الطريق فلا خوف عليه ، و نلاحظ ذلك في قصيدة " نشيد الجبار " :

و أسير في دنيا المشاعر حالما  
 غردا-وتلك السعادة الشعراء  
 لا يطفئ اللهب الموجج في دمي  
 موج الأسي، و عواصف الأرزاء  
 و يعيش جبارا، يحرق دائما  
 بالفجر، الفجر الجميل، النائى  
 و أنا الخضم الرحب ، ليس تزيده  
 إلا حياة سطوة الأنواء<sup>2</sup>

ومن رموز الحياة و الانتصار في هذه الأبيات : الناي ، و القيثارة ، و البحر ، و الفجر ، فهي رموز يتصدى بها الشاعر لأعدائه و يتفوق عليهم ، ساعيا إلى فجر الحقيقة و الخير و الجمال ، فرموز الخير تتصارع مع رموز الشر و تتفوق عليها ، و يظهر رمز الفجر كالنور و الصباح رمز للخير و الإشراق ، وهما رمز الولادة الجديدة و العهد القادم .

تعتمد الصورة الشعرية في كثير من الأحيان في تشكيلها على الرمز، فالرمز يعبر عن حقيقة لا يمكن التعبير عنها بدونه، فهو وليد الإبداع الخيالي، أما الأسطورة فبواسطتها أجاب الإنسان عن تساؤلاته المختلفة، و تلتق الأسطورة مع الرمز في أن كلاهما يعتمد على تفجير الكلمة الشعرية في القصيدة و على النظرة الثاقبة التي تلقيها على الحياة النفسية.

نشاهد هذه الظاهرة كثيرا في شعر " ألشابي " إلا أنها تأتي في بعض الأحيان غامضة الدلالة حتى يصبح من العسير ملاحقة المستوى الشعوري للتجربة، و من ابرز مظاهر هذا الإيحاء قصيدته " جمال الحياة" فيقول:

فاحتست خمر ندى الدا  
 مس ، من كأس الاقاح  
 و اعتلت بلقيس عر  
 ش الليل في تلك النواحي

1 - المصدر نفسه ، ص 120 .<sup>1</sup>

2- المصدر نفسه ، ص 248 .<sup>2</sup>

ثم مالت لغروب

بعد إضرار الكفاح

و استوى الليل رغم الشمس في العرش الفساح<sup>1</sup>

تصور القصيدة مظهر من مظاهر غروب الشمس و قدوم الليل في موقف أشبه بالصراع و الكفاح بين مظاهر الكون المختلفة ، فالنهار تصارع الليل من أجل البقاء ، لكن النتيجة قدوم الليل و انقضاء النهار بأنواره و إشراقه ، معطيا صورة لدورة الحياة و من هنا جاءت الصورة الرمزية ( واعتلت بلقيس عرش الليل ) لتعطي معنى شعريا لحركة الزمن ، و الذي يولد الحياة و الموت ، فبلقيس رمز لبلوغ الكمال هذا الأخير سينهار فيما بعد أمام عنف الزمان و قوته مستسلما لقوانين الطبيعة .

وهناك صورة أخرى " ثم مالت لغروب " حيث ارتفع الشاعر باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي إلى مستوى الرمز ، و شحنها بمدلولات شعورية و فكرية كشف عن عمق الفكرة و تكامل الرؤية.

ففي قصيدته " مناجاة عصفور " يتعمد الشاعر إلى شيء من تشخيص طبيعته في صورة هذا العصفور ، فيصبغه بأحاسيسه و مشاعره التي تنبئ عن الشيء الذي خفي في نفس الشاعر فيقول:

يايها الشادي المغرد ههنا	ثملا بغيطة قلبه المسرور
متقلبا بين الخمائل، تاليا	وحي الربيع الساحر المسحور
غرد، ففي تلك السهول زنابق	ترنو إليك بناظر منظور
غرد، ففي قلبي إليك مودة	لكن مودة طائر مأسور
هجرته أسراب الحمام، و انبرت	لعذابه جنيه الديجور
غرد، ولا ترهب يميني، إنني	ثل الطيور بمهجتي و ضميري

فالعصفور الشادي المغرد المحلق الحر الطليق هو النموذج الذي يرنوا ليه الشاعر ، و هو يمثل في نظره الحياة الكريمة الجميلة السعيدة التي يحلم أن يعيشها ، و الشاعر يعيش بين نفسه و مجتمعه حالة من التوتر و عدم الاستقرار بلغت حد الغضب و التمرد ، جعلت منه يعيش بإحساسه الطائر المكسور الذي سدت أمامه كل الأبواب و حرمته من تحقيق أحلامه و قطفت عليه سبيل أماله ، فواقع الشاعر المعاش جعله يبحث عن نفسه في صورة العصفور الشادي الذي يمثل في نظر الشاعر نموذجا للحرية و الانطلاق ، و هذه الصورة الرمزية كشفت عن شخصية الشاعر الداخلية المخبأة وراء الشخصية التي يبدو بها في الخارج ، فالطائر

1- أبو القاسم أشبلي ، الخيال الشعري ، ص 32 .

المكسور يعبر و يصور الواقع النفسي للشاعر ، أما الطائر الشادي هو أحلام الشاعر و آماله و النموذج الذي يطمح إليه .<sup>1</sup>

وظف الشاعر بعض الرموز في قصيدته " من أغاني الحياة " من ذلك رمز الذئب، الذي يقصد به نوع من أنواع البشر المتطفلين، و رمز الثعلب يقصد به مظاهر الخداع و المكر عند البعض منهم .

كم تدنس عطرها الطاهر                      أنفاس الذئاب

لا ، و لا طاف بها                              الثعلب في بعض الصحاب

و هكذا غدت الصورة الرمزية وسيلة فنية عكست الصدى النفسي للشاعر .

### ثالثا: الوطن في وجه الاستعمار و طغاة العالم

الوطنية عند " ألشابي " تعني التغني و الإشادة الشعوب و تحريكها و إثارة الشعور فيها ، للنهوض من حياة النذل و الاستكانة ، ثم الثورة على أشكال العبودية و الاستعمار و يتمثل الإسهام في العمل الوطني من خلال العمل السياسي و الثوري و الاجتماعي ، بمعنى الإسهام النضالي في ساحة المعركة ، و النزول إلى واقع الجماهير و مساندتها لمواجهة القيود و الأغلال و بالتالي الوطنية ليست شعار يردد وإنما هي مشاركة فعلية و تلاحم شعبي يتم بين الفرد و المجتمع ، " فالشابي " كان متألما شديد الإحساس بالوضع القاسية التي يعيشها الشعب التونسي و يعانيتها تحت ويلات الاستعمار الفرنسي، كما انه تصدى لكل العمليات الإرهابية الاستعمارية ففضحهم في الكثير من قصائده، ذلك وفق تتبع مجموعة من الآراء المواقف له اتجاه وطنه والتي نلمسها في كثير من أشعاره .<sup>2</sup>

يعتبر " ألشابي " احد الشعراء العربية النابغين ، الذي أفردت به الصفحات الطوال لشعره و دراسته الأدبية ، و الذي كان صوته ولا يزال في مسمع الدنيا مدويا و مؤثرا، و لا تزال كتب الأدب تشيد بهذا التراث العظيم الذي خدم وطنه و اخلص إليه فكان في التزام نبضة من روحه التزام و تضحية في سبيل هذا الوطن الغالي فكان الوطن مصدر الهام، فسخر قلمه لخدمة وطنه و جعل من شعره وسيلة لخدمته، وهو بنفسه يقر لذلك حين قال :

1- ابو القاسم ألشابي ، أغاني الحياة ، ص 140 .<sup>1</sup>

2 - عزيز العكايشي ، مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم ألشابي ، 77 .<sup>2</sup>

لا انظم الشعر أرجو	به رضاء الأمير
بمدحه أو رثاء	تهدى لرب السرير
حسبي إذا قلت شعرا	أن يرتضيه ضميري
فما يسر بلادي	وما يسر المعالي <sup>1</sup>

أشاد " احمد زكي أبو شادي " مؤسس جماعة ابولو شعر " الشبابي " و طريقته في النظم فقال :

"إن شعر الشبابي شعر العبقرية و التفوق، فله قدسية نورانية يصعب تعريفها، لأنها تتميز بالجمال، وتتم رسالة سامية، ولو لم يقلها شعرا لتألفت في وجهه نورا"<sup>2</sup>. فكان بذلك من الشعراء الذين تميز شعره باتساع الخيال و تولد قريحته و قدرته على إبراز انطباعاته، فقد أسهم من خلاله بخدمة وطنه و شعبه، و دعا للتمسك بالحرية و المطالبة بها، و محاربة كل أنواع الفساد والظلم من خلال الثورة و المقاومة و مجابهة أيدي الاستعمار الأجنبي.

يقول " شوقي ضيف " في كتابه " دراسات في الشعر المعاصر " : " و هذا الشعر السياسي أو الوطني كان منتشرا في كل بلاد الشرق الأوسط في مصر و الشام و العراق ، و لكن شاعرا لم يبلغ في هذه البلدان ما بلغه الشبابي في تونس " .<sup>3</sup>

من خلال هذا القول نتأكد بان " الشبابي " كان رجلا يسري في دمه حبه لوطنه و للحرية و الكرامة ، فعند قراءتنا لشعره نجد فيه هموما روحية أكثر ما هي مادية ، و كان حزينا و هذا الحزن امتدت جذوره إلى واقع المجتمع ، الذي أصبح يثير الكآبة و الحزن في نفسه ، فجسد هذه الأحزان و الهموم و نسجها في أشعاره، فتمثلت في الوطنية .

تلك الوطنية التي تعتبر شعور ذاتي يرضخ الإنسان بموجبها إلى دوافع نفسية و منازع ذاتية ، يتألب فيها المجموعة البشرية المنتمي إليها تألبا وجدانيا انفعاليا ، و الشعور الوطني عند " الشبابي " حاد يصل إلى الذوبان و الانصهار في الرمز الوطني الأوفى " لفظ تونس " فتقوم بين الشاعر و رمز عاطفته علاقات من الحب و الإخلاص ثم النضال .<sup>4</sup>

1- احمد محمد عبد الهادي ، ديوان أبي القاسم الشبابي ، ص 86 .

2- المرجع نفسه ، ص 14 .

3- خليفة محمد التليسي ، الشبابي و جبران ، ص 160 .

1 - عبد السلام مسدي ، مع الشبابي و المتنبي و الجاحظ و ابن خلدون ، ص 56 .

و لشدة هذا الشعور الوطني الحاد لم يعط " أشابي " مفهوما مباشرا للوطنية بل عبر عنها بثورة عارمة ، ضمنها في شعره فكانت ثورته على الشعب و الظلم ، وهذا ما نستشفه من وطنية شاعر أحب وطنه و أراد الذود به ، و هنا ما ذكره " محمد العروسي المطوي " في قوله أن هذا الشعور أولا في الانشقاق و الحسرة و إبداء العطف و الحنان و الاستعداد للفداء ، ثانيا في إثارة الشعب ضد الظلم و الطغيان ، و فساد الأوضاع و باطل التقاليد ، و يشتمل ثالثا في تهديد الظالمين و الطغاة بثورة الشعب و طغيانه كوسيلة الجارف الغشوم ، ثم يتمثل هذا الشعور في تشاؤم " أشابي " و يأسه و صبب جل غضبه عليه ، ثم الاعتزال و الهروب إلى عالم

خيالي اختاره ليعيش فيه، مع عالمه العاطف الذي شده من آماله وآلامه الإشفاق و العطف.

فقد أسهم " أشابي " في الدفاع عن الوطن و القضايا من خلال آرائه و مواقفه السياسية و الثورية ووقوفه مساندة للقضايا الاجتماعية .

### 1- موقفه السياسي:

كان على عاتق " أشابي " هموم شعبه ، وقضايا الوطن و السياسية من حرب و نهب و استعمار ، فادى ذلك إلى توحيد بين همومه و هموم قومه ، و غدت القضية الذاتية قضية اجتماعية سياسية في آن واحد ، فقد اكتسب شعره نفسية اجتماعية سياسية وطنية ، فتجده يتحدث إلى المستعمر و يرسل له صوته فيثور و يهدد ويتوعد بنبرات حادة و أصوات مدوية و أمل بانهزام المستعمر ، وهذا ما نجده في قصيدته " إلى طغاة العالم "

فيقول :

ألا أيها الظالم المستبد	حبيب الظلام، عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف	و كفك مخضوبة من دماه
و سرت تشوه سحر الوجود	وتبذر شوك الأسى في رباه
رويدك، لا يخدعك الربيع	و صحو الفضاء، وضوء الصباح <sup>1</sup>

1- احمد محمد عبد الهادي ، ديوان أبي القاسم أشابي ، ص 209 .

فالشاعر يصف المستعمر الفرنسي بمجموعة مواصفات يظهر من خلالها جبروته و استغلاله للشعب التونسي، فهو يصفه بالظالم المستبد عدو الحياة و صديق الموت، الذي يعبت بمصير الشعوب الضعيفة و يسفك الدماء، فيشوه سحر الوجود بذر أشواك الحزن في كل مكان.

من خلال التزامه بالقضايا السياسية للوطن نجده يركز على أهم نقاط تقوم بها الحياة وهي موضوع الحرية ، فهو من رواد الحرية في وجهها الوجودي والوطني إذ لا سعادة من دون الحرية ، فنجده يخاطب أبناء الوطن و يدعوهم للسعي وراءها ، لأنه قادر على تغيير مصيره بنفسه فيقول :

خلقت طليقا كطيف النسيم      و حرا كنور الضحى في سماه  
تغرد كالطير أنى اندفعت      و تشدو كما شاء وحي الإله  
و تمرح بين ورود الصباح      و تنعم بالنور أنى تراه  
و تمشي، كما شئت، بين المروج      و تقطف ورد الريافي رباه<sup>1</sup>

يصور و يصف الشاعر الحرية لأبناء وطنه ، من اجل بعث روح النخوة و العزيمة في نفوسهم مستمدا أوصافها من الطبيعة ، فالحرية أساس الوجود يجدها في عليل النسيم ، وهي مثل النور حرا و كالطير الذي يطير بجناحي الحرية يغرد فرحا بها، فخلق الإنسان حرا كالنسيم و الضوء و الطير لا يحده احد ، يعانق الورود وينعم بالنور و يعدو في المروج ، فالشعر يقر بمبدأ الحرية لكنه لا يبديها صريحة مباشرة بل يستمدها من الطبيعة التي هي أساس الحياة .

كما نجد الشاعر يتغنى بوطنه في قصيدته " تونس الجميلة " فيقول:

أنا يا تونس الجميلة في لجج      الهوى قد سبحت أي سباحه  
شرعتي حبك العميق و إنني      قد تذوقت مرة و قراحه  
لست انصاع للواحي و لو مت      و قامت على شبابي المناخ  
لا أبالي، وإن أريقت دمائي      فدماء العشاق دوما مباحه<sup>2</sup>

فهذه الأبيات تحمل في طياتها أمال الشاعر و أحلامه ، فيعبر عن ضميره بعمق وإخلاص ، فهي تحمل جذرة وطنية و حبا وتعلقا كبيرا بتونس الجميلة ، فهوى يهوى وطنه و يعاني من اجله و يفديه بروحه و لا

2- إيليا الحاوي ، أبو القاسم أشابي ، ص 135 .<sup>1</sup>

3- محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ، أشابي و مدرسة ابولو ، نشر و توزيع عبد الكريم عبد الله ، القاهرة ، 1986 ، ص 218 .<sup>2</sup>

يخشى الأعداء ، قدمه في سبيله ، فالشاعر مؤمن باقتران النصر و متفائل بالغد القريب المشرق الذي ينتظر بلاده .

و يقول أيضا :

لست ابكي لعسف ليل طويل      أو ريع غدا العفاء مراحه  
 إنما عبرتي لخطب ثقيل      قد عرانا، و لم نجد من أزاحه  
 كلما قام في البلاد خطيب      موقظ شعبه يريد صلاحه  
 البسوا روحه قميص اضطهاد      فأتك شائك يرد جماحه

ففي هذه الأبيات اقتترنت صورة الليل بالسعف ، و الليل هو ذلك المستعمر الذي بقي زمنا طويلا في ارض الشاعر ، إذن تأتي نقطة تقاطع قوتين متصادمتين ، و يتحول اللفظ المصاغ على عمود الشعر جولة صراعية بين الوعي الفردي و الجماعي ، تطابق فيها الأنا " و هو ضمير الشاعر " مع ضمير الغائب " صوت المصلح " ، مثلما تطابق ال " انتم " : ضمير المخاطبين أبناء الشعب ، مع ال " هم " ضمير الحاضرين المستبدين .

و يقول في قصيدته " صوت تائه " :

شردت عن وطني السماوي الذي      ما كان يوما واجما مغموما  
 شردت عن وطني الجميل أنا الشق      ي، فعشت مشطور الفؤاد يتيما  
 في غربة روحية ملعونة      أشواقها تقضي عطاشا هيم<sup>1</sup>

إن تونس وطن الشاعر و مسقط رأسه ، و موضع هواؤه و مرتع طفولته ، فهذه الأبيات تثبت ذلك الهوى و تصور مقدار حبه له ، و تجسد عبر الأفعال " شردت " معاناته التي حفرت له القهر بفعل القوى الخارجية فرضت عنه ، فتقبلها و حاول الخروج عنها ، و هذا الفعل يحمل في ثناياه الحزن و التعذيب و الأسى الذي كرهه بشكل متوال، و كان تشريده عن وطنه و عن الدنيا بكل ما فيها ، و لذلك وصفها بأنها " روحية ملعونة " فخلق مع كل فعل صورة من صور العذاب و التشريد .<sup>2</sup>

## 2- موقفه الثوري :

<sup>1</sup> - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 138 .

<sup>2</sup> - زهير احمد المنصور ، ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، الطبعة 1 ، 2001 ، ص 25 .

طبع " أشابي " أشعاره بطبائع نفسية و انفعالات شخصية التي يفيض بها الشاعر لحب الوطن و التعلق به ، و التطلع للحرية من اجل أن يصارع الظلم و الاستبداد ، فقد كان من دعاة الثورة و التمرد ، فقد كان الشاعر شديد الأيمان بقوة الشعب و إرادته ، فكون له قصائد ثورية عزز بها طموح شعبه و من خلالها يعلن عصيانه للمستعمر ، حيث يظهر ذلك في قصيدته " إرادة الحياة " التي تبعث نفحات الطموح و الشوق إلى الحياة ، و يصور فيها تجربته و معاناته الذاتية لواقع الحياة و الظلم و العبودية الذي يبحث عن الحرية في ظل القهر و الاستغلال ، فيقول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

و لا بد لليل أن ينجلي

و لا بد للقيد أن ينكسر

و من لم يعانقه شوق الحياة

تبخر في جوها و اندثر

كذلك قالت لي الكائنات

و حدثني روحها المستتر<sup>1</sup>

فيبدأ الشاعر موضوعه بالإقرار أن القدر يستجيب لكل شعب يريد الحياة، حيث يكسر قيود العبودية و يطرد ظالم البؤس، فمن لم يكافح هلك و اندثر هي سنة الكائنات في الوجود، و الشاعر يعلن أن مصير الإنسان بيده إذا هو عزم و صمم ، فهذه المقاومة النفسية بالإرادة و العزيمة هي التي تمكنه من عبور الآلام و تخطيها ، ثم يعود إلى التنويه بشوق الحياة و أن المرء الذي ينفق حياته متضجرا خاملا لا يسعى سعيه ، و لا ينهض غالى الكرامة ليمنح عمره معنى و يحقق ذاته في الوجود ، و الشعوب الخاملة التي يقتصر همها على العيش المتيسر بأدنى أساليبه ، فالمنتصرون هم الذين يعانقون شوق الحياة .

و يؤكد الشاعر على ضرورة نهوض أبناء وطنه و عزمهم على الثورة ضد المستعمر و مواجهته فيقول في قصيدة " سر النهوض " :

لا ينهض الشعب إلا حين يدفعه

عزم الحياة، إذا ما استيقظت فيه

و الحب يخترق الغبراء، مندفعاً

إلى، إذا هبت تناد

والقيد يؤلفه الأموات، ما لبث

أما الحياة فيبها و تبليه<sup>2</sup>

يؤكد أن نهوض الشعب لا يكون إلا إذا استيقظ فيه عزم الحياة ضد هذا المستعمر ، و بالحب يستطيع رد العدو و ردع محاولاته ، فهذه المعركة التي هم فيها رمز الحياة و الكرامة فما دام الإنسان فيها إلا وهي تبليه

2 - إيليا الحاوي ، أبو القاسم أشابي ، ص 183 .<sup>1</sup>

1- إيليا الحاوي ، ابو القاسم الشابي ، ص 184 .<sup>2</sup>

و ترسم له ملامح الحزن و الألم ، و يظل عزمه و إصراره الشيء الوحيد الذي يصنع له الوجود و يمنحه العزة .

لم يقف إحساس الشاعر الدقيق بالألم عند نفسه ، بل تعداها إلى أمته إذ وجدها ترزخ تحت كابوس هذا المستعمر ، و تستشعر منه ألما مريرا ، و هو لم ينبعث من قلبها و صميمها كما ينبعث ألمه من قلبه و صميمه، فقد أدلها الفرنسيون و حولوا حياتها إلى جحيم لا يطاق :

يقولون صوت المستذلين خافت و سمع طغاة الأرض " أطرش " اصخم  
و في صيحة الشعب المسخر زعزع و تخر لهاشم العروش و تهدم  
و لعة الحق الغضوب لها صدى و دمدمة الحرب الضروس لها فم

إذا التف حول الحق قوم فانه يصرم أحداث الزمان و يبزم<sup>1</sup>

نلاحظ أن الشاعر يتحسر على وطنه و يصور واقعه المرير ، و الاضطهاد الذي تعرض له ، حيث يهتف بالثورة عل الاستعمار مطالباً الحرية و العدالة و الإنصاف ، الذي يهدف إلى التنديد بكل مظاهر العسف ، و هي مرحلة استنهاض الشعب و إيقاظه ، موحياً بمدى حبه لوطنه و شعبه .

كما يظهر التزام الشاعر بقضايا وطنه من خلال نشر الوعي، وإيقاظ أبناء وطنه من سباتهم ليفتح أعينهم عل ما هم عليه، و هذا ما نجده في قصيدته " إلى الطاغية " حيث يقول:

لك الويل يا صرح المستعبدون قيودهم من غد إذا نهض المستضعفون ، و صمموا  
إذا حطم المستعبدون قيودهم و صبوا حميم السخط أيان تعلم  
أعرك أن الشعب مغض على قذى وإن الفضاء الرحب و سنان، مظلم ؟  
ألا إن أحلام البلاد دفينة تجمجم في أعماقها ما تجمجم  
هو الحق يغفي ..ثم ينهض ساخطا فيهدم ما شاد الظلام ، و يحطم  
إذا صعق الجبار تحت قيوده<sup>2</sup> يصبح لأوجاع الحياة و يفهم

2- شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، 50 . 1

1 - إيليا الحاوي ، أبو القاسم أنشائي ، ص 113 . 2

فمن خلال القصيدة يبدو الشاعر متفائل بمستقبل الشعب، واثق كل الثقة من أن الظالم لابد أن يهزم في البلاد في يوم من الأيام.

و عبر عن التزامه للثورة في دعوته للشعب للتجاوب معها في قوله :

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس أين الطموح و الأحلام ؟  
 أين يا شعب روحك الشاعر الفنان أين الخيال و الإلهام ؟  
 أين يا شعب فنك الساحر الخلاق أين الرسوم و الأنعام ؟  
 أن لم الحياة يدوي حواليك فأين المغامر المقدم<sup>1</sup>؟

و يتضح أن " الشبابي " يخاطب شعبا أحس منه بفقدان حب الوطن و حب الحرية و التعلق بها، حين افتقد الطموح لتحقيق الحرية و صنع التاريخ ، بل انه اتجه إلى الفن و الإبداع ليعبر فيه عن معاناته و حسرته في البحث عن الحقيقة ، ليس له تراث في الرسم أو الموسيقى فهو شعب يعيش على شاطئ الخوف و الكسل و اللامبالاة، فهو لا حضور له على مسرح الحياة و التاريخ فعالمه منطقي كعالم الموتى، لا شيء إلا الموت و الأسى و الظلم.

و يؤكد الشاعر انه لا يملك إلا أن يستمر في رحلة الحياة ، و قد يدفعه اليأس في بعض الحالات للفرار إلى الغاب من اجل أن يلتمس لروحه الثائرة الطمأنينة و السكينة فيقول :

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شع بي لأقضي الحياة، وحدي بيأس  
 إنني ذاهب إلى الغاب، على في صميم الغابات ادفن نفسي  
 ثم لنساك ما استطعت، فما أنت بأهل لخمرتي و لكاسي  
 سوف أتلو على الطيور أناشي دي، وأقضي لها بأشواق نفسي  
 فهي تدري معنى الحياة وتدري أن مجد النفوس يقظة حسي

من الواضح انه لم يذهب للعيش في الغابات حقا ، بل اضطر إلى الفرار من مجتمعه نتيجة لعجزه عن القيام بدور ايجابي في توجيه الحياة و الناس ، انه فرار إلى داخل النفس حتى لو اتخذ من القرية أو الغابة ملاذا .

كرهت القصور و قطانها و ما حولها من صراع عنيف

2- المرجع نفسه ، ص 141 .<sup>1</sup>

و كيد الضعيف لسعي الضعيف و عصف القوي بجهد الضعيف<sup>1</sup>

فهو يعلل سبب الهروب و مغبتها، نتيجة صراع أهل القصور و اغتصاب القوي لحق الضعيف، و تربص الضعيف بالقوي و حقه عليه، فكانت ويلات و دموع و فقل و ترمل، و كذلك يضيفي على القصيدة جوا من الحزن و الأسى اللذان يخيمان على مصرع الحق و سيادة البغض في العالم.

و يقول أيضا :

يجيء الشتاء شتاء الضباب      شتاء الثلوج، شتاء المطر

فينطفئ السحر، سحر الغصون      و سحر الزهور، و سحر المطر

و تهوى الغصون، و أوراقها      و أزهار عهد حبيب نضر<sup>2</sup>

يرمز الشاعر في هذه الأبيات إلى مظاهر الطبيعة، فهي تنطبق على كل الكائنات الحية و على البشر بصورة اخص ، و هو يبتغي من وراء ذلك أن يذكي الشوق إلى قلوب الناس و قلوب التونسيين خاصة ، و إلى الحياة التي ينادي بها من البناء و المعرفة و الحضارة و العمل المنتج بمختلف أنواعه و مظاهره ، حتى تخرج الأمة من ظلالها الدامس إلى اشراقة النور البهيجة ، حتى تحقق لنفسها حياة حرة كريمة .<sup>3</sup>

فواقع الحال أن الشاعر هو ابن الثلث الأول من القرن العشرين ، بكل ما تشتمل عليه هذه المرحلة من تناقضات و حركات سياسية و ثورية و اجتماعية و حضارية في الوطن العربي مشرقا كان أم مغربا، و كان له مشاركات في الالتزام على صعيد الشعر و الفكر و الذي شغله من قضايا مجتمعه قضيتان كبيرتان ، أولاهما : السيطرة الفرنسية و الثانية : التخلف ، و عن كل من هاتين القضيتين تتفرع عدة قضايا كان " الشبابي " يتصدى لهل بشعره ، من هذه القضايا الظلم و الاستبداد و فساد المدينة ، و خمول الشعب و شقاؤه و جهله ، و انحطاطه و استسلامه لما يتخبط فيه من ضعف و مشكلات .<sup>4</sup>

قد ورد في ديوان الشاعر حوالي 10 قصائد حول الكفاح و نضال المستعمر ، و أن اهتمامه بهذا النوع من الشعر يدل على انه يريد أن يغير الوضع الراهن ، لذلك أدرك أن الاستعمار لا يفكر إلا في تشويه سمعة الشعب التونسي و نهبه و احتلاله ، فيمكن أن نسمي " الشبابي " رائدا من رواد الحركة التحررية للشعب

1- أبو القاسم الشابى ، أغاني الحياة ، ص 119 .

2- المصدر نفسه ، ص 74 .

3- احمد ابوحاقة ، الالتزام في الشعر العربي ، ص 243 .

4- أبو القاسم الشابى ، أغاني الحياة ، ص 252 .

التونسي ، الذي حاول أن يبعث الحيوية و الحماس في ضمير أبناء شعبه لمواجهة المستعمر و لتحرير الوطن من كابوس الاحتلال .

### 3- موقفه من القضايا الاجتماعية :

بالرغم من أن " أشابي " جل قضاياه التي صورها ذات أبعاد ثورية و سياسية من خلال تجسيد الظلم و الاستبداد و فساد السلطة في البلاد ، إلا أن للقضايا الاجتماعية نصيب في أشعاره ، و من القضايا البارزة في هذا المجال قضية المرأة التي نالت مكانة رفيعة في شعره ، ذلك من خلال دعوة الشاعر إلى بعث المرأة العربية عامة و المرأة التونسية خاصة ، و إعطاءها مكانتها في المجتمع و الثورة على واقعها المر ، و المطالبة بتعليمها فكانت نظرتة للمرأة قريبة من النظرة الصوفية لها ، حيث اتخذها مثالا للرقة و الحنان و العطف ، فكان يسمو بجمالها و حسنها عن شوائب الجسد إلى جمال الروح و صفاء النفس ، من خلال تصوير معنى الأمومة و العطف مثلا <sup>1</sup> ، في قصيدة " حرم الأمومة " حيث يرى الطهر و الأمان يتدفق من ذلك النبع العذب ، فيقول :

الأم تلثم طفلها و تضمه ، حرم سماوي الجمال مقدس

تتأله الأفكار و هي جوار تعود طاهرة هناك الأنفس

حرم الحياة بطهرها و حنانها ، هل فوقه حرم اجل و أقدس؟

بوركت يا حرم الأمومة والصبا كم فيك تكتمل الحياة وتقدس<sup>2</sup>

يقف الشاعر في هذه الأبيات عند صورة الرحمة التي أرادها الله سبحانه و تعالى في الأرض ، و قد تجسدت في صورة الأم مع طفلها .

و يقول أيضا :

إلا فؤاد، ظل يخفق في الوجود إلى لقاءك و يود لو بذل الحياة إلى المنية، و افتدك فإذا

رأى طفلا بكاك، و إن رأى شبعا دعاك أعرفت هذا القلب في ظلماء هاتيك اللحد؟ هو

قلب أمك، أمك السكرة بأحزان الوجود يشدو بشكوى حزنه الداجي إلى النفس الأخير<sup>3</sup>

1 - عزيز العكاشي ، مظاهر الإبداع في شعر أبي القاسم أشابي ، 81 .

2 - أبو القاسم أشابي ، أغاني الحياة ، ص 261 .

3- احمد محمد عبد الهادي ، ديوان أبي القاسم أشابي ، ص 229 .

فالشاعر يصور صورة الأم و حبها و عطفها على أولادها ، و مدى تعلق أولادها بها في كل مرحلة من مراحل الحياة ، القلب الحنون و العطوف على أطفالها ، فهي لا ترغب بالفراق و لا تحتمل البعد عنهم ، فقلبها ينبض دائما للقاء أولادها حتى آخر نفس من عمرها .

و يصور الشاعر صورة اليتيم الذي يبث شكواه لعناصر الطبيعة، عله يجد حذبا أو شفقة بعد يتم و لكن دون جدوى، فيرتد إلى نفسه يتجرع قسوة الحياة و ظلمها، و هو الصغير اليتيم فيقول :

و لما ندبت ، و لم ينفع  
و نادي أمي ، فلم تسمع  
رجعت بحزني إلى وحدتي ،  
و رددت نوحى على مسمعي،  
و عانقت نوحى في وحدتي لوعتي  
و قلت لنفسي ألا فاسكتي

يقول في قصيدة " الاعتراف ":

ما كنت احسب بعد موتك يا أبي و مشاعري عمياء بالأحزان  
إنني ساظما الحياة واحتسي من نهرها المتوهج النشوان  
وأعود إلى الدنيا بقلب خافق للحب و الأفراح، و الألمان<sup>1</sup>

يصور " الشابى " فقدان له لوالده الذي كان متعلقا كثيرا به، فقد فقده في سن صغير، فعبر عن حسرته و حزنه جراء هذه المصيبة التي داهمت حياته، فغيرت مجرى حياته التي أصبحت مليئة باليأس و الحزن، و يضيف فيقول:

حتى تحركت السنون، وأقبلت فتن الحياة بسحرها الفتان  
فإذا أنا ما زلت طفلا، مولعا بتعب الأضواء و الألوان  
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها ضرب من البهتان والبهتان

2- احمد محمد عبد الهادي ، ديوان أبي القاسم الشابى ، ص 41.

ابن آدم في قرار نفسه عبد الحياة الصادق الإيمان<sup>1</sup>

فالشاعر يصف حزنه الشديد لفقدانه لوالده ، و صبره و رضاه بالقدر الذي كتبه الله سبحانه و تعالى له ، فهو متشبع بالثقافة العربية و الدين الإسلامي ، إلا انه كان يدعو للفرح و السرور و مواصلة الحياة من خلال الإيمان بما كتبه الله للإنسان .

يريد الشاعر برؤيته الإنسانية من خلال الرؤية الرومانسية أن يبحث في مشكلة القيم و العلاقات الإنسانية ، التي يتوقف نبضها عند حدود النفع و المصلحة ، و تتوقف بل تنقطع عندما تكون الحاجة ماسة لرفع الظلم ، و ينظر في بعض القيم الهدامة لبناء الإنسانية المشيد على النقائص و النقائص و المفاصد و الشرور التي أراد أن يفضحها من خلال صور الباطل المتفوق في المجتمع الإنساني ، موضحا تلك الصور في قصيدة " أبناء الشيطان " : و القوي الظلوم يعصر من آلامها السود لذة و مداما يتحساه ضاحكا ، لا يراها خلقت في الوجود إلا طعاما<sup>2</sup> ، ثم ينظر في فساد المجتمع، و افتضح الأمر للعيان، و لا أمل في تغيير، بل مظاهر خادعة تطوي عناصر الفساد و الرذيلة :

و فتاة حسبتها معبد الحب، فالفت قلبها ماخورا

و نبيل وجدته في ضياء الفجر قلبا مدنسا شريرا

و زعيم اجله الناس، حتى ظن نفسه إليها صغيرا<sup>3</sup>

فهذه عناصر لصورة الفساد الخلقي و الاجتماعي ، و أخرى للسقوط الإنساني في أحوال التدني و الطمع التي لوثت الحياة البشرية بالمفاصد و الشرور ، بل أصبح الإنسان موطن الشر في كل مكان و هو يدعي الخير و الفضيلة حينما يتمكن من ذلك ، فقد حاول الشاعر ترصد هذه الصور في الطبقة المثقفة التي تفرض سيطرتها في كل مكان ، و هذا ما يظهر في قصيدة " فلسفة الثعبان المقدس " التي صدرها قطعة نثرية يقول فيها : " فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان ، و كما تحدث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحور بلغة الفلسفة الصوفية حين حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه ، فسماه " تضحية " و جعله السبيل الوحيد للخلود المقدس " .

1 - المرجع نفسه، ص 42 .

2 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 176 .

3 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة، ص 177 .

فهو يعرض صورة الثعبان في مكره و حيلته ، و صورة الشحرور الذي يحاول استنكار و استهجان سياسة الثعبان ليقضي عليه ، لأنه يريد أن يعيش فرحا ، و يرى الشاعر إن العدالة في الدنيا لا تكون إلا بالقوة و المواجهة :

"وسعادة الضعفاء جرم، ما له عند القوي سوى اشد عقاب"  
 "ولتشهد الدنيا التي غنيتا حلم الشباب وروعة الإعجاب"  
 "إن السلام حقيقة مكذوبة، والعدل فلسفة للهيبة الخاني"  
 "لا عدل، إلا إن تعادلت القوى و تصادم الإرهاب بالإرهاب"<sup>1</sup>

و يرد الثعبان على الشحرور ، انه إذا أراد البقاء لابد أن ينضوي تحت رايته و يطيعه ، فهي صورة الشحرور الضعيف المستسلم للثعبان و فلسفة القوة التي لا ترحم ، فيرد عليه الشحرور قائلاً :

فأجابه الشحرور، في غصص الردى، و الموت يخنقه: "إليك جوابي"  
 " لا رأي للحق الضعيف، و لا صدق ، و الرأي، رأي القاهر الغلاب "  
 " فافعل مشيئتك التي قد شئتها، وارحم جلالك من سماع خطابي "  
 و كذلك تتخذ المظالم منطقاً عذبا لتخفي سوء الأراب"<sup>2</sup>

فانتصر الشر في صورته الطاغية، و لكن هذه سنة الطغاة في الحياة التي لا ترحم الجبناء و لا الضعفاء، لذلك يجب التحلي بالقوة لمواجهة الظالمين.

و كذلك عبر " أئشابي " عن قضية التضحية و المسؤولية ، و التي تعد من أنبل الصفات التي أراد الشاعر أن يغرسها في قلب كل تونسي ، فحث أبناء وطنه على ضرورة التضحية و الوقوف جنبا إلى جنب في كل محنة من المحن ، و هذا ما نجده في قصيدة " قيود الأحلام "، فيقول :

و أود أن أحيا بفكرة شاعر فأرى الوجود يضيق عن أحلامي  
 لكني لا استطيع، فان لي أما، يصد حنانها أوهامي  
 و صغار أخوان، يرون سلامهم في الكائنات معلقا بسلامي

1 - المصدر نفسه، ص 267 .<sup>1</sup>

2 - أبو القاسم أئشابي ، أغاني الحياة، ص 268 .<sup>2</sup>

كهفا يصتد غوائم الأيام

فقدوا الأب الحاني لضعفهم

و يزود عنهم شرة الآلام

و يقيم وهج الحياة، و لحفها

ضحيت من ارفي بها أحلامي<sup>1</sup>

فانا المكبل في سلاسل، حية

يصور الشاعر أحلامه و طموحاته التي يسعى إليها ، و هي أن يعيش حرا كشاعر أو فنان ، إلا أن الحياة الصعبة التي يعيشها لم تمكنه من ذلك ، فعائلته التي ترى فيه مصدر الحنان و الرزق و السلام ، تحمله مسؤولية حمايتهم و رعايتهم ، فما كان عليه سوى التضحية بأحلامه و آماله من اجل إسعاد الآخرين .

و يتطرق الشاعر لقضية تصوير الشباب و أحلامهم التي بينونها، و كيف تتحطم و تتهدم في بلد ملؤه التعب و الشقاء، فيقول:

تحطمها مثل الغصون المصائب

ألا إن أحلام الشباب ضئيل

فقالت: ترامتها الرياح الجوائب

سالت الدياجي عن أمانى شبيبي

تلقفتها سيل القضا، و النوائب

و لما سالت الريح عنه أجنبي :

على الشاطئ المحموم ، و الموج صاخب<sup>2</sup>

فصارت عفاء و اضمحلت كدرة

فالشاعر في هذه الأبيات يصور أحلام الشباب و طموحاتهم، التي تحيط بها المصائب و العراقيل و المشاكل، لذلك يجب أن يتحلى بالعزيمة لمواجهة هذه المحن عن كريق التفاؤل و السعادة ، فيقول في قصيدة " السعادة " :

في كفها الغار، أو في كفها العدم

خذ الحياة كما جاءتك مبتسما

غنت لك الطير، أو غنت لك الرجم

و ارقص على الورد و الأشواك متندا

و لجم شعورك فيها، إنها صنم

و اعمل كما تأمر الدنيا بلا مضمض

إن شئتها ابد الآباد تبتسم<sup>3</sup>

هذي سعادة دنياك ن فكن رجلا

- احمد محمد عبد الهادي ، ديوان أبو القاسم الشابي ، ص 44 .<sup>1</sup>

- أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة، ص 40 .<sup>2</sup>

- احمد محمد عبد الهادي ، ديوان أبو القاسم الشابي ، ص 112 .<sup>3</sup>

يدعو الشاعر الشباب من خلال هذه الأبيات إلى ضرورة التفاعل مع الحياة و مواصلتها ، مهما كان العذاب و الأسى بالتقاؤل و الرضا بالقضاء و القدر ، و بما كتبه الله للإنسان مهما كان ، و يحث على ضرورة السعادة و السرور و الابتعاد عن التعاسة و الحزن .

#### 4- موقفه القومي و الإنساني :

تأثر " أبو القاسم الشابي " بالأوضاع المأساوية التي كانت تعيشها بلاده جراء ويلات الاستعمار ، و ما خلفه من دمار و خراب ، و الحال نفسه في البقاع العربية التي كانت هي الأخرى تحت وطأة الاحتلال الأوروبي الذي عاث فسادا ودمارا ، فهيجت مشاعر " الشابي " فحركت قلمه للتجاوب و الوقوف معها لمواجهة الطغاة ، فحمل بذلك شعره نزعة وطنية قومية إنسانية علا من خلالها بالقيم و الأخلاق و بحقوق البشرية ، هذا ما يلمس في قصائده لما كانت تحمله من إحساس قوي لا يخص شعبه فقط ، و إنما هو موجه لكافة الشعوب التي تعيش ويلات الاستعمار .<sup>1</sup>

إن " الشابي " يؤمن بان الشعر ذو هدف اجتماعي يسمو به عن المصالح الشخصية ليصبح عاملا للتغيير و التطوير و البناء الحضاري لدى الأمم ، و بموجب ذلك يصبح الشاعر مسؤولا اجتماعيا و قوميا يخدم المجتمع الذي يعيش فيه ، و الأمة التي ينتمي إليها ، فيقول :

يا قوم ما لي أراكم	قطنتم الجهل دار؟
أضعتم مجد قوم	شادوا الحياة فخارا
ابقوا سماء المعالي	بما أضاءوا منارا
حاكوا لكم ثوب عز	خلعتموه احتقارا
يا ليت قومي أصاخوا	لما أقول جهارا <sup>2</sup>

بما أن الشاعر العربي عليه أن يستنشق جو عصره ، و يكون مرآة قومه للتعبير عن آلامهم و آمالهم ، فهذه الأبيات مظهر لنشيد قومي عربي ، يتحدث فيها الشاعر عن بطولات قومه في غابر مجدهم و حاضر نضالهم ، انه يعتر بقوم كانوا قرناء المجد و الفخر ، و لكن من ورثوا ذلك أضاعوا ذلك المجد فخلعوا ثوب العز و بدلوه بالخزي و العار .

و يقول أيضا :

1 - عز الدين العكايشي ، مظاهر الإبداع الفني في شرايبي القاسم الشابي ، ص 84 .<sup>1</sup>

2 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، ص 88 .<sup>2</sup>

سكتم حماة الدين سكتة واجم  
و نمتم بملء الجفن، و السيل داهم  
سكتم، و قد شتمتم لايلاما، غصونه  
علائم كفر نائر و معالم  
مواكب الحاد وراء سكوتكم  
تضج، و ها أن الفضاء مآثم  
أفيقوا قليل النوم ولى شبابه  
و لاحت للآلاء الصباح علائم<sup>1</sup>

في هذه القصيدة نجد أن الشاعر تملكه الإحساس الديني القومي ، فقد كان خطابه موجها لحماة الدين الذين سكتوا وحرصوا عن الكلام فلم يقفوا موقفا شديدا مع بلادهم ، فندد بالحالة السيئة التي آل إليها رجال الدين لأنهم سكتوا عن مظاهر الفساد في البلاد فنتج عنه الحاد و كفر ، و انتشر بين أفراد المسلمين ، فدعاهم إلى ضرورة تحمل المسؤولية في الدفاع عن الدين الإسلامي .

يشير الشاعر إلى محنة قومه و هم محرمون من هناء العيش في بلادهم المغتصبة، مثلما هم من الحقوق التي يتمتع بها ببقية الشعوب في أوطانها:

يا قوم، عيني شامت  
للهل في الجو نارا  
تتلو سحابا ركاما  
يتلو قتاما ماثرا  
تلفي الشديد صريعا  
تبقى الأديب حمارا<sup>2</sup>

لخص " ألسابي " موقفه القومي من الخطاب القومي بهذه الأبيات ، على انه مستقل و صاحب قومية تشمل في داخلها الوطن و الإنسان و التراث و ما يحتوي عليه من كرامة ، فانه يتحدث نيابة عن المصابين من أبناء الأمة العربية تجاه التخاذل و الضعف و التزدي في الأحوال العربية ، كما يعبر عن منطلق القوم و ضميره بصدق ، و هو إن مات في ريعان شبابه و لكن شعره باق في ضمير الأمة .

و يؤكد الشاعر على التزام الشعر بقضايا الإنسان العربي الذي تحاصره الأنظمة السياسية ، انه يهجم على من يؤثرون العبودية ، يخدمون السلطة و يخضعون لها ، فهو يتخذ من الشعر سلاحا لمواجهة الطغاة الذين يقطعون لسان الشعب العربي الرفيع و إصابة الأمة بالهوان :

و تدفق المسكين نائرا ماذا جنيت أنا فحق عقابي ؟

و سعادة الضعفاء جرم، ما له عند القوي سوي اشد عقاب

1 - عز الدين العكايشي ، مظاهر الإبداع الفني في شعر أبي القاسم ألسابي ، ص 85 .<sup>1</sup>

2- أبو القاسم ألسابي ، أغاني الحياة ، ص 87 .<sup>2</sup>

لا عدل إلا تعادلت القوي  
و تصادم الإرهاب بالإرهاب  
و سعادة النفس التقية أنه  
يوما تكون ضحية الأبواب  
لا رأي لحق الضعيف، ولا صدري  
والرأي، رأي القاهر الغلاب<sup>1</sup>

عاش الشاعر آلام مجتمعه و طموحات أمته بكل ما في بيئته من متناقضات ، عبر عنها بشعوره الشفاف و اندماجه الكلي في وجدان أمته ، و ارتباطه الفعال بميراثه الحضاري و طموحاته إلى مستقبل يتبرعم في طياته الأمل الحالم ، ثم اندماجه العميق في الطبيعة من حوله .

و يقول في قصيدة " خله للموت " :

كل قلب حمل الخسف وما  
مل من ذل الحياة الأزدل  
كل شعب قد طغت فيه الدما  
دون أن يثار للحق الجلي  
خله للموت يطويه ... فما  
حظه غير الفناء الأنكل<sup>2</sup>

يوجه الشاعر خطابه من خلال أبيات القصيدة لكل قلب فارغ راغب بالذل و الهوان في هذه الحياة ، لكل شعب يعاني الاستعمار و القتل و الظلم و لإيثار لحقه و لا ينتصر له و لشعبه ، فلا تأخذه العزة للدفاع عن وطنه و حقه فيراهم كأنهم أهل الموت و الفناء لأنهم لا يدافعون عن حقوقهم و أرضهم و ممتلكاتهم .

و يقول في قصيدة " في ظل وادي الموت " :

نحن نمشي و حولنا هاته الاك  
وان تمشي ..، لكن لأية غاية ؟  
نحن نشدو مع العصافير للشم  
س، و هذا الربيع ينفخ نايه  
نحن نتلو رواية الكون للمو  
ت و لكن ماذا ختام الرواية  
هكذا قلت للرياح فقالت :  
سل ضمير الوجود ، كيف البداية؟<sup>3</sup>

يحاول الشاعران يعرف سر هذا الكون و سر هذه الحياة و يتعرف على ما تحمله من خبايا ، و كيف تصنع مصيره و تغير مجرى حياته و محور أحلامه و آماله ، فالشاعر ينسج رواية لحياته ، الحياة تتفاجأ بمصير

1- ابو القاسم الشابي ، اغاني الحياة ، ص 37 .<sup>1</sup>

2- احمد محمد عبد الهادي ، ديوان أبو القاسم الشابي ، ص 54 .<sup>2</sup>

3- المرجع نفسه، ص 82 .<sup>3</sup>

آخر ، و كيف كانت بدايتها و نهايتها ، فهذه التساؤلات هي التي حيرت الشاعر و كانت مصب اهتمامه و تفكيره .

و يقول في قصيدة " إلى الله " :

يا اله الوجود هذي جراح	في فؤادي، تشكو إليك الدواهي
هذه زفرة يصعدها الهمو	م إلى مسمع الفضاء الساهي
هذه مهجة الشقاء تتاجيك	فهل أنت سامع يا الهي؟ <sup>1</sup>

يرفع الشاعر من خلال هذه الأبيات شكواه إلى الله ، لما حل به من مآسي و آلام، فهو يصعد زفرة في الفضاء لتصل مسمع الله ، ليعبر بها عن سر شقائه في هذه الحياة و ما يعانيه فيها ، فهو يحث القاري على ضرورة الاستعانة بالله عز وجل في كل الأمور و أن يتوكل عليه في كل شيء .

في الأبيات الأخيرة من القصيدة يقول :

يا الاهي قد انطق الهم قلبي	بالذي كان، فاغتر يا الاهي
قدم اليأس والكآبة داست	قلبي المتعب، الغريب، الواهي
فتشظى ، وتلك بعض شظايا	ه ... فسامح قنوطه المتناهي
فهو رب معبد الحق و الاي	مان و النور و النقاء الإلهي <sup>2</sup>

يدعو الشاعر في نهاية القصيدة الله بالعفو و المغفرة ، لأنه يعلم أن الله هو المسير و المدبر لكل أمور الحياة ، فهو معبد الحق و الإيمان و النور و النقاء ، فهو راض بما كتبه له إلا أن الألم و الماسي و الإحزان قد طالت به ، فأثقلت كاهله و حطمت أحلامه ، فلم يجد له من معين سوى الشكوى لله عن سوء هذا الحال .

ورد 3 قصائد حول الشعر القومي في ديوان " الشابي " ، فمن خلال أشعاره القومية يظهر انه شاعر يعيش في قلب الأمة العربية و ليس منفصلا عنها ، بل يعاني من آلامه الجسدية و لكنه في الوقت نفسه يعاني من آلام الأمة العربية بحيث يسام و يتضجر بألمها و يفرح بفرحها .

1- احمد محمد عبد الهادي ، ديوان أبو القاسم الشابي ، ص 166 .<sup>1</sup>

2- المرجع نفسه ، ص 619 .<sup>2</sup>





الخط

ت



## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و خاتم النبيين و إمام المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه و من اهتدى بهداه إلى يوم الدين و بعد:

لقد طرح حضور " الأنا " و " الآخر " في النصوص الشعرية الكثير من القضايا المتعلقة بالهوية و الانتماء و الصراع من اجل تأكيد الذات من خلال المرور عبر جسر الآخر ، و هو ما لمسناه بوضوح عند دراستنا صورة الأنا و الآخر في شعر " الشابي " ، و لقد استقر البحث عبر مراحل المختلفة على جملة من النتائج تعلق البعض منها بالجانب النظري، فيما يتعلق البعض الآخر بالجانب التطبيقي نذكر منها :

## خاتمة

- 1- لم يصل المنظرون إلى وضع مفهوم محدد للآنا و الآخر ، بسبب تداخل هذين المصطلحين مع المصطلحين الآخرين هما " الذات " و " الغير " ، مما جعل الفلاسفة و المفكرون يختلفون حول تعريف واحد لهذين المصطلحين .
- 2- ارتبطت علاقة الآنا و الآخر ضمن النصوص الشعرية بثنائية " الشرق " و " الغرب " ، التي برزت من اثر اللقاء الحضاري و التاريخي بين الشرق و الغرب خاصة في القرن التاسع عشر ، حيث أدى هذا من إثر اللقاء جملة من النتائج التي كان لها أثر في تشكيل موقف و صورة احدهما في نظر الآخر .
- 3- إن مشكلة الشرق و الغرب في مؤلفات " الشابي " مبحث هام ، كان من مشغلا حقيقيا من مشاغل هذا الشاعر و المثقف العربي موضوعا بارزا من موضوعاته .
- 4- العلاقة بين الشرق و الغرب أضيق ما يكون عنده في شعره و مذكراته و رسائله-أي في نصّه الإبداعي- إذ هو لا يتجاوز حدود فرنسا و تونس، في حين يتسع مجالها في كتابه النقدي " الخيال الشعري عند العرب " إل اليونان و الرومان... و أروبا الرومانسية و يشمل العرب كلهم من جهة ثانية.
- 5- إن الآخر في صورته أكثر حضورا في الشعر الشابي هو غرب الاستعمار و الدمار و عدوّ الشعوب، هو الغرب السياسي العسكري، لكن في نثره الآخر هو غرب الفنّ و الشعر و على عكس صورة الغرب بدت صورة الشرق (الذات) قريبة حبيبة في الشعر سلبية كريمة في النثر.
- 6- تنوعت ثقافة الشابي ما بين عربية و غير عربية، ساعده على نبوغه الفكري و نضوجه الشعري، إذ لم يقتصر على الثقافة العربية الأصيلة في القديم و الحديث، و إنّما نال قسطا كبيرا من الثقافة الغربية عن طريق الترجمة.
- 7- تأثر الشابي بشعراء المهجر تأثرا كبيرا و سحر بهم و انبهر فيهم، و تجلّى هذا مفهومه للشعر و موقفه من الحب و العاطفة الإنسانية، و مفهوم حب الوطن، و الحديث عن الألم و الكآبة و التشاؤم، و التجاوب مع الطبيعة و مظاهرها المختلفة.
- 8- تأثر الشابي بشعراء المهجر تأثرا كبيرا و سحر بهم و انبهر فيهم، و تجلّى هذا مفهومه للشعر و موقفه من الحب و العاطفة الإنسانية، و مفهوم حب الوطن، و الحديث عن الألم و الكآبة و التشاؤم، و التجاوب مع الطبيعة و مظاهرها المختلفة.
- 9- اعتمد الشابي في صورته الألفاظ رومانسية، و العبارات و التراكيب الجديدة و التشبيهات و المجازات ذات الطبيعة الوجدانية و الخيالية، فألفاظه كانت محملة بالدلالات الشعورية و الرمزية و عباراته و تشبيهاته كانت تدور حول مظاهر الطبيعة البديعة.

## خاتمة

- 10- تعدُّ الثورة الوطنية في شعره من أهم الثورات التي خاضها في حياته و ذلك لما كان يعاني منه مجتمعه من وطأة الاستعمار الفرنسي، ممَّا جعله يثور ثورة عارمة عليه و على الظلم و الرجعية و الخمود و الاستكانة في بني وطنه
- 11- وجَّه الشاعر ثورته الأدبية إلى موضوعات الشعر و أغراضه و أسلوبه ممثلاً في الألفاظ و العبارات و الصور الشعرية و الموسيقى، فحاول الخروج بالأدب العربي من نطاقه الضيق المحدود و تحريره من القيود التي تكبله و التكلف و الافتعال، فثار و جدَّد في لغة الشعر و موسيقاه و صورته و موضوعاته.
- 11- كان أهم مظهر للتجديد عند " الشابي " طريقته الفنية التي كانت تتوفر فيها البساطة مع ما لديه من قدرة ، فتاتي عبارته سلسلة بعيدة عن الممارسات البديعية و المحسنات المتكلفة ، و سمة أخرى انه خالف المجددين الذين يتناولون شعوبهم ساخطين من أوضاعهم .
- 12- فقد استطاع أن يبلغ " الشابي " وحدة عضوية في بعض شعره الذي تتطور فيه القصيدة نحو الذروة و يعتمد نموها على جميع مكونات القصيدة ، فكان بذلك شعره شعر الحياة دونما تمويه أو تصنع ، شعر التدفق الذي يصدر من أعماق مشاعر المعاناة .
- 13- أما من الناحية الفنية الجمالية في قصائد الشاعر نلمس التجديد في اللغة و الصورة الشعرية ، فهو يملك لغة بسيطة واضحة و هي إلى جانب ذلك لغة شاعرة و معبرة ، أما من حيث التصوير " فالشابي " له حدس تصويري راق حتى لا نكاد نعثر على بيت واحد يخلو من صورة ما ، نلمح فيه رمزا أو موروثا أسطوريا أو تشبيها يجسد فيه رؤياه و أحلامه و ألامه ليكون لنفسه طريقا يسلكه وسط مذهب الرومانسية ، وترك بصماته الواضحة في محيط الأدب العربي في المغرب و المشرق على حد سواء ، و عاش حياته للشعر الذي لم يتوقف عنه رغم مرضه ، فجاء معبرا عن الحياة و التصدي .
- 14- إن إبداع " الشابي " من خلال الدفاع عن وطنه يبين بل يؤكد عمق التجربة الشعرية لديه و صدقها ، فهي بعمق جرح الوطن و غزارة دمائه النازفة و همومه الطافحة ، فقد كانت الأم و ماسي وطنه تعذبه و تألمه فأجاد التعبير عنها أيما إبداع .
- 15- خاض " الشابي " في أغراض شتى منها : الشعر الثوري الذي عايش واقعا استعماريًا فهو م الثائرين عليه و الحرص على ضرورة التحرر منه بالنضال و الجهاد و الكفاح و الإرادة ، و استشراف غد أفضل من أجل العيش في كنف الحرية، الغزل الذي حظي بجزء كبير في قصائده لأنه شاعر رومانسي، يعيش بأحلامه خياله متغزلا بالمرأة فهذا ما اكتسب شعره سمة أساسية تتسم بالوجدانية و العاطفة القوية، ما جعل

## خاتمة

---

الخيال الشعري عنده يبقى في ذاته خيالاً رومانسياً يتصل بالطبيعة اتصالاً حميماً تتماسك فيه حدود الحب و الجمال و الطبيعة، إلى جانب تصوير الأسي و الموت من خلال التشاؤم و الكآبة و الحزن.

16- و يبقى "الشابي" الأديب الذي أدب نفسه بكل ما هو قديم من مدرسة التراث القديم ، و تألق بشعره المتجدد فوق أفنان الإبداع الخلاق ، فاطرب الغرب بنغم الشرق ، و لفق الشرق بتيار التجديد القادم من الغرب فتهد من لسعة تلك اللقحة بكلمات مشاعر هائجة لا يزال صخبها يرن في أذان عصرنا .  
و في الأخير نسال اله الكريم أن يكون هذا العمل نافعا لنا و لكل طلبة العلم ، و لو بقليل المعلومات ليضيفوها إلى رصيدهم المعرفي .

و الحمد لله أن وفقنا في إتمام هذا البحث و الصلاة و السلام على المصطفى الأمين .

قائمه

هاتفه

الله ص

أدر

و

المراجع

ع

## قائمة المصادر و المراجع

١ - المصادر :

1 - أبو القاسم الشابي ، أغاني الحياة ، دار الكتب الشرقية ، القاهرة ، ط 1 ، 1955 .

2 - أبو القاسم الشابي ، مذكرات ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، ( د ت ) ، 2012 ،

3 - أبو القاسم الشابي ، الخيال الشعري عند العرب ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر، 2012

## ب - المراجع :

1 - أبو القاسم محمد كرو ، آثار الشابي و صداه في الشرق ، ط 1 ، المكتب التجاري للطباعة و النشر ، بيروت ، 1961.

2 - أبو القاسم محمد كرو ، دراسات عن الشابي ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط5، 1981.

3 - ابوزيان السعدي ، حول شاعرية الشابي ،مجلة الفكر، ع1 ، السنة 30 ، أكتوبر ، 1984 .

4 - احمد حسن يسيح ،ديوان أبو القاسم الشابي، دار الكتب،بيروت،لبنان، 2005 .

5- احمد ياسين السليمانى، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة و النشر و التوزيع،دمشق،سوريا،ط1، 2005.

6- احمد محمد عبد الهادي ،ديوان أبي القاسم الشابي ،مكتبة الآداب ، القاهرة،ط1 ، 2006.

7 - احمد ابوحاقة ، الالتزام في الشعر العربي،ط1،دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

8 - إيليا الحاوي، أبو القاسم شاعر الحياة و الموت، دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،ط1، 1972.

9- بوشعيب الساوري، تمثيلات الهوية و الآخر، قراءة ثلاثية نصوص روائية في الرواية الجزائرية، رابطة أهل العلم، ط1، 2008.

10 - حمادي صمود، هشام الريفي، محمد قوبعة، محمد لطفي اليوسفي ،عبد الله صولة، دراسات في شعرية الشابي نموذجاً، المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق والدراسات، بيت الحكمة، المطابع الموحدة،تونس، 1988

11 - جبران خليل جبران، الأجنحة المنكسرة، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ( د ت).

12 - خليفة محمد التليسي، أشابي جبران، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط 5، 1984 .

13 - رجاء النقاش ،أبو القاسم الشابي ن شاعر الحب و الثورة ،

- 14 - ريتا عوض ،أبو القاسم أأشابى ،د ط، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ببيروت،1984 .
- 15 - زكريا إبراهيم، مشكلة الانسان، دار مصر للطباعة، (د ط)، مصر،(د ت) .
- 16 - زهير احمد المنصور، ظاهرة التكرار في شعر أأشابى ،الدار العربية للموسوعات،بيروت،الطبعة 1، 2003 .
- 17 - سحر عبد الله عمران، أبو القاسم أأشابى عبقرية فريدة وشاعرية متجددة، دراسات و مختارات، د ط، دار البعث،دمشق،2009 .
- 18 - سلمى الخضراء الجيوشى، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، 2001.
- 19 - عباس يوسف الحداد ، الأنا في الشعر الصوفى، ابن القارض أنموذجا ،دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سوريا ،ط2، 2009 .
- 20 - عبد القادر القط، الاتجاه الوجدانى في الشعر المعاصر، دار النهضة العربية ،بيروت،ط2، 1981 .
- 21 - عبد المجيد الحر، أبو القاسم أأشابى أعطى الحياة إرادتها و اخذ منها كابتها و حزنها، دار الفكر العربي ،بيروت،ط1، 1995 .
- 22 - عوينة احمد، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاق، الإسكندرية،(د ط)،(د ت).
- 23 - عبد السلام المسدى، قراءات، الشركة التونسية للتوزيع،(د ط)،1981 .
- 24 - عمر فروخ، أأشابى شاعر الحب و الحياة، منشورات دار العلم للملايين ،بيروت،1960 .
- 25 - عبد العزيز النعمانى ،أبو القاسم أأشابى رحلة طائر في دنيا الشعر،ط1،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،1997 .
- 26 - عبد القادر الغزالى، الصورة الشعرية و أسئلة الذات، قراءة في شعر حسن حقيقى، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء،ط1 .
- 27 - لطيف محمد ،جدلية الحياة و الموت في شعر أبى القاسم أأشابى ،دار الزمان للطباعة و النشر و التوزيع،2012 .
- 28 - محمد نبيل طريفى، أبى القاسم أأشابى و رسائله، دار الكتب المصرية،صيدا،بيروت،ط1، 2002 .

- 29 - مأمون صالح، الشخصية (بنائها، أنماطها، اضطراباتها) ، دار الأمان، ط1، عمان ، الأردن، 2008 .
- 30- ميجان الروفي و سعيد اليازغي ، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2007 .
- 31 - مصطفى عمر التبر، البعد الجغرافي في صورة الآخر مقارنة
- 32 -محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، أشابي و مدرسة ابولو، نشر و توزيع عبد الكريم بن عبد الله، القاهرة، 1986.
- 33- محمد الحليوي ،رسائل أشابي ، دار المغرب العربي، تونس، مؤسس جائزة عبد العزيز، ط1، 1924.
- 34 - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار الملايين ،ط1، 2007 .
- 35 - نعيم اليافي، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983.

### ج - الرسائل الجامعية :

- 1 - آلاء محمد ناجي، شعر أبي القاسم الشابي في ضوء نظرية التلقي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، 2011-2012 .
- 2 - عدنان علي نزهة، الصورة الفنية في شعر أبي القاسم الشابي، جامعة أم درمان السودان، 2005 .
- 3 -فاطنة الزهراء بوخاري ،البعد الوطني في شعر أبي القاسم الشابي، مذكرة ماستر، دراسة فنية نقدية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2015- 2016 .
- 4 - قريشي فتيحة، سليمان لامية، الكأبة عند أبي القاسم الشابي ،مذكرة ليسانس، قسم اللغة و الأدب العربي جامعة المدية، 2008 - 2009 .
- 5 - نور الهدى رواق، الأنا و الآخر في ديوان أبي نواس، مذكرة ماستر، قسم الآداب و اللغة العربية، كلية الآداب و اللغات ،جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015 - 2016 .

### د - المقالات :

- 1 - أبو زيان السعدي، أبو القاسم الشابي شاعرية الحياة الحرية، مقال في مجلة ثقافية جامعية، رقم العدد 179.

- 2 - احمد ياسين عبد الله السليمانى، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر ، منتدى الايوان 2007 .
- 3 - رجح طيبون، تجليات الأنا و تمظهرات الآخر في الشعر العربي المعاصر ،مجلة البحوث و الدراسات ،عدد 6،جوان 2006 .
- 4 - سهل ليلي، التناص الأسطوري في شعر أبي القاسم الشابي ،مجلة النص ،جامعة محمد خيضر، بسكرة،العدد2014،16 .
- 5 - عبد الحفيظ بن جلولي، ا لأنا و الآخر جدول القبول و الرفض ، القدس العربي ،2019 .
- 6- فادية المليح حلواني، صورة الآخر في الشعر العربي بين القديم و الحديث ،مجلة الحوار، ثقافة الاختلاف،2012 .
- 7- محمد تركي، في ظلال التأويل بحث مكامن شعرية النص عند أبي القاسم الشابي، مقال في مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية ،جامعة المسيلة،مجلد3 ،2018 .
- 8- نعم كاطر، الآخر في الشعر العربي الحديث ، مجلة الاغاء الثقافية ،دبي ،2010 .
- 9- نعيم عموري و سناء كامل و احمد شعلان ، قصيدة إرادة الحياة لأبي القاسم الشابي ،دراسة سردية، في مجال الدراسات الأدبية ، اللغوية بجامعة ماليزيا،2010 .
- 10- يوسف محفوظ التنويري، الآخر و الكأبة النحوية ،2012 .

# ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بحث إشكالية العلاقة التقابلية بين الأنا و الآخر، كما تمثلت في شعر أبي القاسم الشابي، تذهب الدراسة إلى استقراء الموقف الذي تنطلق منه الأنا في علاقتها بالآخر على تعدد أشكاله و صورته، و هو موقف يتسم في شكله الغال بالتوتر و التمرد و الغضب و الالتباس، و تقف على النص الشعري محاولة استكناه محمولاته و دلالاته المضمرة التي تكشف في بعض وجوهها عن أزمة الذات المركبة، و صراعها مع محيطها الذي لم تصل العلاقة به، في أكثر الأحوال إلى الانسجام المنشود، و تبحث الدراسة أخيرا في معاناة الأنا و اخفاقاتها التي تأتت بتأثير من عمق المفارقة الحادة بين مرمى الطموح الذي ظلت تعيشه هذه الأنا، و تعقيدات و صراعات الواقع الذي لم يرتهن لبلوغ هذا الطموح المتنامي أو يستجيب له.

**الكلمات المفتاحية:** الأنا و الآخر، التجربة الشعرية، الحالة النفسية، أبي القسم الشابي.

## Summary:

This study aims to examine the problem of the reciprocal relationship between the ego and the other, as represent in the poetry of abu al-qasim al-shabi. Rebellion angor and confusion, and the poetic text is an attempt to find its predicates and implicit connotation that reveal in some of its faces the crisis of the complex self, and its struggle with its surroundings, with which the relationship, in most cases, did not reach the desired harmony. The suffering of the ego and its failures that came under the influence of the sharp paradox between the goal of ambition that this ego has been experiencing, and the complexities and conflicts of reality that did not depend on achieving this growing ambition or responding to it.

Key words: the ego and the other, the poetic experience, the psysiological stat, abu al-qasim al-shabi.

شكر تقدير

إهداء

مقدمة

مدخل: مفهوم الأنا و الآخر..... 1

1- مفهوم الأنا..... 1

2- مفهوم الآخر..... 3

3- علاقة الأنا بالآخر..... 4

الفصل الأول: الأنا و تحولاتها..... 7

أولاً: الذات المتألّمة و المثال البعيد..... 8

1- الموت..... 8

2- المرأة..... 14

3- الكآبة و الغربة..... 21

ثانياً: الأنا من خلال الطبيعة..... 26

1- الطبيعة المثقلة بالألم و الكآبة..... 28

1.1. مرارة الموت..... 28

1.2. الكآبة المجهولة..... 35

2- الطبيعة المشحونة بالغضب و التحدي..... 42

2.1. التمرد السياسي..... 42

2.2. الغضب الاجتماعي..... 47

3- الطبيعة المفعمة بالتفاؤل و الإشراق..... 52

3.1. الرؤية التقديسية للغاب..... 52

57.....	3.2. تجربة الحب.....
62.....	ثالثا: الأنا من خلال الوطن.....
62 .....	1-الوطن و الوطنية.....
67 .....	رابعا: احتقار الذات للثقافة العربية و المحلية.....
76 .....	الفصل الثاني: صورة الآخر بين التقبل و الرفض.....
78 .....	أولا: الثقافة الجديدة أو سحر الغرب.....
84 .....	ثانيا: اتصال الذات بالآخر.....
87 .....	1-التكرار، التضاد، النداء، الصفة، صيغ أخرى.....
102 .....	2-الاستعارة (التشخيص، التجسيد).....
107 .....	3-التشبيه.....
114 .....	4-الأسطورة و الرمز.....
125 .....	ثالثا: الوطن في وجه الاستعمار طغاة العالم.....
127 .....	1-موقفه السياسي.....
129 .....	2-موقفه الثوري.....
134 .....	3-موقفه من القضايا الاجتماعية.....
139 .....	4-موقفه القومي و الإنساني.....

خاتمة

قائمة مصادر و المراجع

ملخص

فهرس الموضوعات